

الهوية الثقافية  
الحضرمية

فيصل العطاس  
(النعيري)  
السيد الماوي

مناطق حضرموت  
غير المكتشفة



حوار ينشر لأول مرة  
مع الشاعر والملحن

عمر أبي بكر العيدروس



## سعيد مبارك مرزوق

( 1911 – 1981م )

- وُلِدَ في مدينة سيئون - حضرموت
- شاعر ومبتكر لبعض ألحان الدان الحضرمي، غنى من ألحانه محمد جمعة خان وأبو بكر سالم بلفقيه وغيرهما.
- تساجل مع أبرز الشعراء مثل مستور حمادي وسالم عبدالقادر العيدروس ومحفوظ التوي. وغيرهم.





## الحضرمي

# والعيش بوطنين

-وقد طوحت به الأسفار بعيداً- ليست منفصلة عن  
فطرة الحنين إلى الأم- الرحم- الحزن، ولعله عندما  
يرسل أبنائه أطفالاً دون العاشرة إلى حضرموت  
ولسنوات معدودة ينطلق لا شعورياً من هذه الفكرة،  
فكرة العودة إلى حزن الأم.

إنه يعيش عالماً حليماً يترأى له جميلاً هو حضرموت،  
رغم أنه يعرف (يقرأ ويسمع) كل تفاصيلها المأساوية  
وعلى مدى قرون، ومع هذا يظل يحلم بالعودة إليها،  
وإن عاد يعود وقد استنفد شبابه ليستمتع في حزنها  
بالتنعم ببعض ما جمعه في أسفاره، فمعنى الهوية هنا  
غير منفصل لديه عن الإحساس بوجوده الطفولي الأول.

والحضرمي في العالم الواسع المتنوع، عالم المهاجر،  
يعيش عالماً آخر حيواً حقيقياً يتخطى به هذا الوجود  
العاطفي إلى وجود آخر، فمجال تحقيق الثروة وإثبات  
الذات والنجاح هو ثمرة علاقات أخرى تفاعلية تجارية  
وحياتية، شعارها الجد والحزم ومنطقية التعامل، ولعله  
بذلك يشعر بشيء من التوازن بين أن يكون له وطن  
يعيش فيه واقعياً، ووطن يحن إليه عاطفياً.



د. عبد القادر علي باعيسى  
رئيس التحرير

يهاجر الحضرمي طويلاً، ويظل يحلم بالعودة إلى  
حضرموت، مجرد حنين أزلي، أشبه بحلم العودة إلى  
رحم الأم، ويجد سعادته في التعبير عن بره بأمه من  
خلال اهتمامه بإخوته عن طريق تقديم المساعدات  
الاجتماعية لهم ودعم الجمعيات الخيرية، ويزكي  
هذه القيمة الاجتماعية فيه تدينه بوصفه المجال  
الحيوي الذي يعطيه الإحساس بالطمأنينة من حيث  
إنه لم يتنكر لأهله (ذوي القربى).

وعندما يستعيد الحضرمي إحساسه الفطري ببلاده  
في مهجره كأنما هو يستعيد هويته، فالهوية عنده

# محتويات العدد

آراء



## الهوية الثقافية الحضرية

أ.د. عبدالله حسين البار

ص 10

أضواء

## عادات واعتقادات موروثة عبر الزمن



هاني عبود الغتيني

ص 21

ترجمة



## الخصي وطريق الرقيق

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

ص 26



## مناطق حضرموت غير المكتشفة

د. عبدالله الفلق

ص 30

## حضر موت الثقافية

مجلة فصلية

السنة الثامنة العدد (34)

أكتوبر - ديسمبر 2024م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراستات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعيد

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

أ.د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ.د. عبدالله صالح بابعير

أ.د. ناجي جعفر الكثيري

أ.د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

أ.د. صادق عمر مكنون

أ.د. أحمد سعيد عبيدون

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق شروط فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتلزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

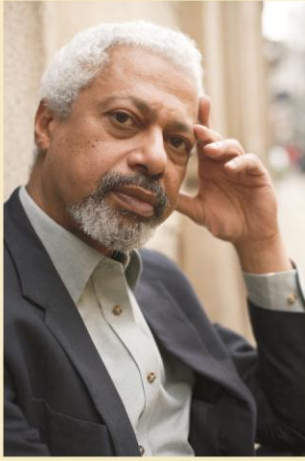
موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان : المكلا - حي الشهيد - (مهد باشراف سابقا) - ت: ٢٥٠١٢٥



## كتابات



### عن فيل همنغواي وأفريقية عبدالرزاق قرنج

إيمان العولقي

ص 105

## حوار



### مع الشاعر والملحن الكبير عمر أبي بكر العيدروس

صالح حسين الفردي

ص 57

## حديث البداية

- الحضرمي والعيش بوطنين.... د. عبدالقادر علي باعيسى - رئيس التحرير... 3

## أضواء

- بيان هام صادر عن الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل حضرموت "حول استيلاء" السلطة على ما كانت تسمى بالدولة الكثيرة ..... 15
- أ. د. عبدالله سعيد بن جزار الجعدي
- ركن التراث الحضرمي
- (جواهر تاريخ الأحقاف - لابن شملة باحسان).... د. محمد علوي بن يحيى ... 18

## ترجمة

- السلام في حضرموت (ج ٢) ديليو. آتش. إنجرامز، أو. بي. إي ..... 34
- ترجمة: نجيب سعيد باوزير - نورة نجيب باوزير

## دراسات

- قراءة في بيان جمعية الأخوة والمعاونة الصادر سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م
- لإظهار أثر الجمعية في المجتمع ..... أ. صالح مبارك عصبان ..... 44
- أصالة التجديد في مسار الفكر القومي عند علي عقيل (ج ٢).... د. زهير برك الهويل ..... 52

## شخصيات

- من أخبار الشيخ المكي: سعيد بن صليق جان بضم مؤت (ج ٢).... محسن علوي باعلوي... 79
- حضامة استثنائيون.. عمر حسين البار (ج ٢).... شكري نصر مرسل... 86

## نقد

- التشكيل البصري لسيماينية علامات الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات) (ج ٢)
- للشاعر سالم عبدالله بن سلمان ..... عبدالله رجب عمر باصديق ..... 93
- قصيدة النشر كما أراها ..... مبخوت العزي ..... 101

## كتابات

- كتاب "الحج والعمرة الأعمال والتاريخ والتجربة" لخالد الثقافي الهندي... أحمد جدير... 108

## إبداع

- تطوير (سرد) راي برادبري Ray Bradbury ... د. أحمد محمد الجذع... 109
- الخزرجي هنا اختفى (شعر) ..... حسين عبدالله بامطرف... 111
- تجاعيد الزمن المنسي (شعر) ..... د. سعيد العوادي ..... 112
- القدس قدسي (شعر) ..... يعقوب برك بلسعد ..... 112
- إنها هي (شعر) ..... عمر محمد العمودي... 113

## توقيع قلم

- "لا تضرب في حديد بارد"..... أ. د. عبدالله سعيد بن جزار الجعدي... 114

## شخصيات



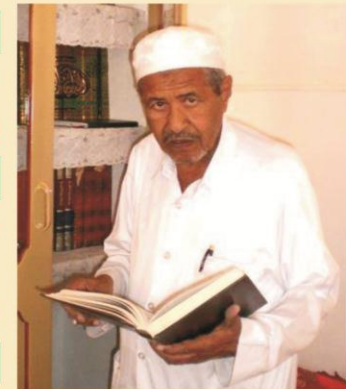
### فيصل العطاس (النعيري) السيّد الماويّ

بقلم: ثانس بتورس  
ترجمة: صائل البهسني

ص 70

## نقد

### فلسطين في ديوان (قدس لبيك) للشاعر والأديب سالم زين باحميد



ص 88



أ.د. أحمد سعيد عبيدون

## كتابات

### المنشد قوقح يتذكر

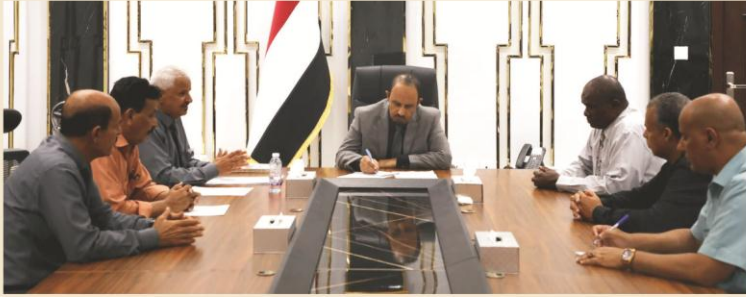
سليمان مطران

ص 102





# المحافظ بن ماضي يطلع على النشاط الثقافي والتاريخي لمركز حضرموت للدراسات التاريخية



التقى محافظ حضرموت الأستاذ مبخوت مبارك بن ماضي، بالمكلا، ٢٩ / ٩ / ٢٠٢٤م أعضاء اللجنة العلمية بمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر برئاسة رئيس المركز الدكتور عبدالله سعيد الجعدي.

لدعمه لأنشطة وفعاليات المركز واهتمامه بالقطاع الثقافي والأدبي والتاريخي، مُهدين له نسخاً من آخر إصدارات المركز الثقافية "مجلة حضرموت الثقافية".

وأشاد المحافظ بجملة النشاطات الثقافية والتاريخية التي يقيمها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، مؤكداً أن المركز يعد وجهة ثقافية وتاريخية مهمة في ظل الظروف الحالية، مشيراً إلى أهمية التنوع المعرفي، وتفعيل النشاط الثقافي والأدبي والتاريخي في المحافظة.

واطلع المحافظ خلال اللقاء على أنشطة المركز، وخطة نشاطاته لما تبقى من العام الحالي ٢٠٢٤م، ومقترح خطته الثقافية والأدبية والتاريخية للعام القادم ٢٠٢٥م.

واستعرض اللقاء مقترحات لإنعاش الواقع الثقافي والتاريخي، والانطلاق من المركز والمراكز الثقافية والتاريخية بوصفها نوافذ ثقافية وسند للمشروع الثقافي الرسمي لإبراز حضرموت وثقافتها ورسالتها الإنسانية.

وتقدم رئيس وأعضاء اللجنة بالشكر لسيادة محافظ حضرموت

## منتدى عميد الوفاء الثقافي يقيم فعالية بعنوان (مقارنة لرؤية المؤرخ بامطرف للأوضاع السياسية في حضرموت قبل الاستقلال و الواقع الراهن)



القعيطي وإسهاماته الصحفية.

وكانت الفعالية ذات حديث شائق تحاكي فترة زمنية سياسية واجتماعية فارقة في حضرموت سطرها المؤرخ بامطرف بعمق ورؤية مستشرقة وواقعية لتكون شاهداً تاريخياً مهماً لحضرموت.

أدار الفعالية د. محمد حسين بن الشيخ أبوبكر وحضرها عدد من المثقفين والمهتمين في القاعة وعبر برنامج الزوم على الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي.

إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان "مقارنة لرؤية المؤرخ بامطرف للأوضاع السياسية في حضرموت قبل الاستقلال والواقع الراهن" في ٢٣ / ٨ / ٢٠٢٤م.

وفي خلال الفعالية التي تم بثها على الزوم تحدث د. أحمد باحارثه عن حياة الفقيه المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف التي عاشها بين الترجمة للمستشارية البريطانية والعمل في أروقة قصر السلطان







## فعالية بعنوان "المدافن وطقوس الدفن القديمة في حضرموت في ضوء الاكتشافات الجديدة"



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي التابع لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مساء السبت الموافق ١٤ / ٩ / ٢٠٢٤م بمقره بمدينة المكلا محاضرة بعنوان (المقابر وطقوس الدفن في حضرموت القديمة في ضوء اكتشافات جديدة) للأستاذ رياض أحمد باكر موم

مدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف بساحل حضرموت، أدارها أ. أيمن سالم باحميد، وحضرها وتابعها عبر الفضاء الإلكتروني عدد من الأساتذة والمهتمين، تطرق فيها أ. باكر موم

بالشرح والصورة إلى عدد من المدافن والمقابر الفردية والجماعية وأشكالها المختلفة التي عرفتها حضرموت في العصر البرونزي، مشيراً إلى أن بعضها يمتد إلى العصر الحجري، ولافتاً في أثناء محاضراته إلى ما تتعرض له الآثار في حضرموت من سطو وتهديم شخصي، وبناء المساكن والمزارع والمؤسسات وشق الطرقات فوق الآثار، داعياً ومعه مجموع الأساتذة الحاضرين إلى حمايتها والحفاظ عليها، بل عدم التنقيب عنها وحفظها في باطن الأرض حتى تتسنى الظروف المناسبة لإظهارها.



## منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية (إسهامات الحضارة في المعارف الملاحية)

وفي خلال المحاضرة عرج الأستاذ باهارون على علاقة الحضارة بالعلم الفلكي وصولاتهم وجولاتهم في ابتكار المعارف البحرية وعلاقاتهم التجارية التي زادت من خبرتهم في قيادة الملاحية. وفي خلال الفعالية قدم باهارون تعريفاً بعدد من الربابنة ومعارفهم الملاحية البحرية أمثال بالخرمة وبامعبيد وبن عروة وغيرهم.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان (إسهامات الحضارة في المعارف الملاحية) يوم السبت الموافق ١٢ أكتوبر ٢٠٢٤م تحدث فيها أ. محمد علوي باهارون وأدارها أ. عمرو خالد بلخشر.





# منتدى عميد الوفاء الثقافي يقيم فعالية المشروع الحضاري في أدب باكثير

العدد (34)  
أكتوبر  
ديسمبر  
2024م

ورواياته ومسرحياته وكيف استطاع أن يجد لنفسه طريقاً مميزاً بين الأدباء في عصره، وعن كتاباته الأولى نظام البردة وترجماته المسرحية مثل مسرحية روميو وجوليت وكتاباته الصحفية المسرحية ذات الفصل الواحد في الجانب السياسي. وحظيت الفعالية بمداخلات عدد من الحضور المهتمين والمتقنين في القاعة وعبر الزوم (ZOOM).

تعتبر هذه الندوة الرابعة عشر للمنتدى منذ تأسيسه في بداية هذا العام ٢٠٢٤م.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء فعالية بعنوان المشروع الحضاري في أدب باكثير تحدث فيها د. طه حسين الحضرمي وأدارها أ. عبدالله خالد مقيدحان.

وفي الفعالية تحدث الدكتور طه حسين عن الأديب علي أحمد باكثير ونشأته وأسهب في الحديث عن كتاباته

## منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية "الصورة في النص الغنائي الحضرمي"

وأدارها أ. محمد عبدالقادر باعيسى.

وفي خلال الفعالية تحدث د. الهويل عن المقاربات بين الصور المتناصة في الشعر الغنائي الحضرمي، وتتبع تحليل الصورة بمفهومها البياني (التشبيهي، والمجازي والاستعاري) وبهيتها الحرة، عند شاعرين أو أكثر، فبدأ الشاعر المحضار عنصراً مشتركاً في هذه التصويرات مع عدد من مجاليه.

حضر الفعالية عدد من الشخصيات الاعتبارية والأكاديميين والشباب، وعلى شبكة الانترنت (ZOOM) وتفاعل مع الفعالية عدد من الحضور.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء فعالية (الصورة في النص الغنائي الحضرمي) يوم السبت ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤م بقاعة منتدى عميد الوفاء بمدينة المكلا حاضر فيها د. زهير برك الهويل







العدد (34)

أكتوبر

ديسمبر

2024م

## منتدى عميد الوفاء الثقافي ينفذ فعالية بعنوان

### (المحضر شاعر الحب والحياة)

أبسياته فسر معناها الباطني مسهباً في وصف جمال الكلمة الشعرية التي يقولها الشاعر حسين المحضر المحب للحياة بحسب وصفه، قائلاً: إن الحب والهوى عند المحضر يعني الحياة كلها، وأن المحضر مؤرخ لكن بطريقته الخاصة التي ينقلها لنا عبر الشعر.

وقد عبر الحضور عن ارتياحهم بهذه الفعالية من خلال تفاعلهم مع الأبيات التي تقال للشاعر المحضر. علماً بأن هذه الندوة هي السادسة عشرة لمنتدى عميد الوفاء الثقافي منذ تأسيسه.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي فعالية بعنوان (المحضر شاعر الحب والحياة) يوم السبت الموافق ١٦ نوفمبر ٢٠٢٤م تحدث فيها أ. رياض عوض باسرا حيل وأدارها: أ. حسن هادي باعكيم، وفي خلال المحاضرة أبحر الأستاذ رياض باسرا حيل في حديثه عن الشاعر الكبير حسين أبو بكر المحضر الذي عاش معه أكثر من ١٥ سنة رفيقاً له ومتوقفاً أمام كم كبير من

## منتدى عميد الوفاء ينفذ فعالية

### (باحريز أمير الشعر الشعبي)

وبدأت الفعالية بتعريف معنى الشعر الشعبي من دراسات مختلفة ونشأة الشاعر وعلاقته بالشعر الشعبي منذ طفولته تيمناً بجده. وفي سياق الفعالية أسهب البروفيسور الصيغ في حديثه عن مواقف الشعر التي حدثت لباحريز وارتباطها بأحداث من وقائع تاريخية وعلاقته بحافته ومواقف حدثت في زمن معين. في ختام الفعالية شارك الحضور بمدخلاتهم وإضافاتهم لبعض المعلومات وتساؤلاتهم حول بعض الموضوعات تعقيباً على محتوى الفعالية.



إعلام المركز / خاص:

نفذ منتدى عميد الوفاء الثقافي يوم السبت ٣٠ نوفمبر ٢٠٢٤م، فعالية بعنوان (باحريز أمير الشعر الشعبي) تحدث فيها أ.د. عبدالعزيز سعيد الصيغ وأدارتها د. تقوى العبد باموسى.





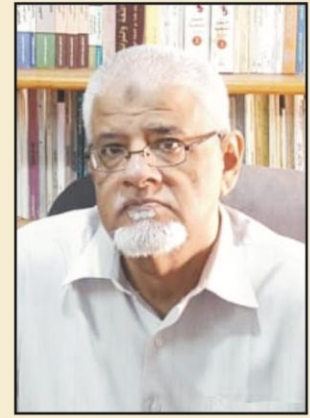
(١ - ٢)

وفي بيت باكثير جملة جواب الشرط هي قوله: (لجاءك آية في النابغينا). وأما جملة فعل الشرط فهي قوله: (ثقت يوما حضرميا). وباستعمال الأداة (لو) امتنع وجود الجواب لامتناع وجود الشرط. فامتنع حدوث آية النبوغ لعدم وقوع فعل التثقيف، وخرج البيت من سياق المدح المرتجى إلى سياق الهجاء. وهو مالم يقصده الشاعر، ولكن اللغة تنزاح بالشعر عن مقاصده حين لا ينتبه الشاعر لقوانينها الصارمة.

هل يعني هذا أن (حضر موت) لم تعرف ثقافة، ولم تشهد مثقفين على توالي أدوارها التاريخية؟

إن الإجابة عن سؤال كهذا السؤال لا تكون بإيجاب مطلق ولا بسلب قاطع، وإنما هي متروحة بين بين.

ففي كتب من سلفوا من علماء حضر موت وهم مثقفوها في أدوار تاريخها من شك من جهل أهل الجهة واستعصائهم على الثقافة ونفورهم من الإقبال على العلم والمعرفة كما نجد في كتاب (مقال الناصحين بحفظ شعائر الدين) للشيخ محمد بن عمر باجمال (٩٠٥هـ - ٩٦٤هـ)، حيث يقول: "وقد عمّت البلوى في جهة حضر موت بعموم الجهل في أهلها، وبالجهل تفسد الأعمال والأحوال، وتخرّب البلاد والعباد، وتشيع الفاحشة والفساد. فالجهال أشبه بالشياطين في أقوالهم وأفعالهم، وأقرب إلى البهائم في طباعهم وحظوظهم" ص ١٦٧.



أ. د. عبدالله

بن حسين البار

يوم هتف الأستاذ علي أحمد باكثير ببيته الذائع المشهور

ولو ثقت يوما حضرميا لجاءك آية في النابغينا

كبر الحضارم ملء أفواههم ولما يزوالوا يكبرون لذلك البيت الذي يشهد لأوائهم ولأواخرهم بالتميز في الحياة ثقافة ونبوغا. لكنهم وفيهم العلماء باللغة لم ينتبهوا إلى ما في التركيب اللغوي للبيت من عدول عن مقصود الشاعر، وخروج من سياق إلى سياق.

فالشاعر صاغ بيته في (أسلوب الشرط الامتناعي) مستعملاً الأداة (لو)، وهي أداة شرط غير جازمة تفيد معنى امتناع الامتناع كما يقول أصحاب العربية. وهم يقصدون (بامتناع الامتناع) امتناع حدوث جواب الشرط لامتناع تحقق فعل الشرط.





أ. د. عبدالله البار، في أثناء محاضرتة بعنوان:  
(الهوية الثقافية في حضرموت في مفترق طرق)  
التي قدمها د. عبدالقادر باعيسى  
في منتدى عميد الوفاء في يوم تدشينه

"والحاصل أن حضرموت مركز برهوت، وفيها كم من برهوت، خاصة في الوديان والجيلان والسيطان بين القبائل والبدوان، يعتكر بينهم الشيطان. فإن سألت عن وصفهم المنعوت فهم لا يرفقون ولا يشفقون، ولا ينفقون ولا يتقون، وهم للموسر يحسدون، وللمعسر لا يرفدون، فإن الله راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" أ.هـ.

حال من الاجتماع البشري لا وجود بواقع علمي ولا ثقافي مزدهر وصور من خلال النفسية يتمثلها سلوك إنساني غير مهذب بعلم ولا ثقافة. وهي صورة منبثقة من واقع ملموس ومعيش وليست نتاج مخيال تجاوز الواقع إلى أخيلة لا وجود لها في ذلك المجتمع وفي أحوال إنسانه يومذاك.

تلك صورة سلبية عن حال الثقافة ومنتجها في القرنين العاشر والاثني عشر الهجريين. ومما لا شك فيه أن لها أشباهاً ونظائر في ما تقدم من الزمان وما تأخر. لكنها صورة تقابلها صورة أخرى تضادها في مدلول الهيئة ونتاج التشكيل، وهي التي يمثلها القائلون باتسام (حضرموت) بالثقافة والعلم، ويزدهون بما اشتملت عليه مدنها البارزة من عهود موعلة في التاريخ، حتى قال قائل منهم: "إنه كان في بلد (تريم) نحو ثلاثمئة مفتيا، وفي (شبام) نحو مئتين مفتيا وفي الهجرين قريب ذلك". أ.هـ.

صورة معتمدة للحال الثقافي في حضرموت يومذاك أجواء القرن العاشر الهجري ناهيك بالإيماء إلى خفوت الازدهار العلمي في ذلك العصر في عموم حضرموت. والعلة في ذلك الحالة التي كانت عليها تلك الجهة وأهلها كما نعتها الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه (الرياض المونقة بالألفاظ المتفرقة في المعاني المتفرقة)، حيث قال: "إن مثل غالب أهل حضرموت، التي هي من الساحل إلى مأرب، ومن عين بامعبد إلى سيحوت كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت، قد شغلهم القوت عن عالم الملك والملكوت، وعمتهم الغفلة باللهو عن اللاهوت، والسهو عن الناسوت. فأعمالهم أعمال من يزعم أنه لا يموت، وطبائعهم طبائع الخيلاء والتكبر والحسد والحقد والجبروت ممزوجة بالبراء كذا- والباروت".

”  
إنّ مثل غالب أهل حضرموت،  
التي هي من الساحل إلى مأرب،  
ومن عين بامعبد إلى سيحوت  
كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً، وإنّ  
أوهن البيوت لبیت العنكبوت،  
قد شغلهم القوت عن عالم الملك  
والملكوت، وعمتهم الغفلة باللهو  
عن اللاهوت، والسهو عن الناسوت.  
فأعمالهم أعمال من يزعم أنه  
لا يموت، وطبائعهم طبائع الخيلاء  
والتكبر والحسد والحقد والجبروت  
ممزوجة بالبراء - كذا- والباروت  
“

من كتاب (الرياض المونقة بالألفاظ المتفرقة في المعاني المتفرقة)  
للحبيب علي بن حسن العطاس





” (إن الثقافة هي ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والتقاليد والقوانين وجميع المقومات والعادات الأخرى التي اكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع ومن مفردات هذا المركب تنبع الثقافة الوطنية التي تمنح المجتمع هويته وتسمه بخصائص ومميزات في الحياتين المادية والمعنوية

عالم الانثروبولوجيا تايلور

والفتيا لا تكون إلا لمن تبحر في علوم الشريعة فقهاً وحديثاً وتفسيراً وأصولاً ناهيك بعلوم العربية، وخصّ النحو منها بمقام. وسوى هذا علوم أخرى كالنصوف والتاريخ وعلوم الفلك والكيمياء والطب، في القرنين السابع والثامن الهجريين كما أنبأ عن ذلك صاحب كتاب (الحياة العلمية في حضر موت). وقد فصل إجمال هذا القول وأسهب. والسؤال الذي نطرحه هنا الآن هو: هل شكلت هذه الحركة العلمية في حضر موت مجتمعاً تهذب سلوكه وتنوع اهتمامه الثقافي وتعدد منجزه الإبداعي ليشمل فنون العمارة والآداب وعلوم الألحان وما إلى ذلك. وأنضجت من سلوك أهل الجهة فتهذبت طرائقهم في العيش بما يتلاءم مع ذلك النهوض العلمي الذي تجلّى في دينك القرنين وما امتد بعدهما من أدوار التاريخ؟ هذا السؤال يفضي بنا إلى الوقوف على مدلول لفظ (الثقافة) كما عرفها علماء الانثروبولوجيا ومن لفّ لهم من الباحثين.

### في تعريف الثقافة

يذهب الناقد البريطاني تيري ايغلتن إلى أن (كلمة ثقافة هي واحدة من بين الكلمات التي يكتنفها التعقيد، لأن مفهوم الثقافة عام وعائم، ومتعذر على التعريف المانع الجامع). ومن هنا (افتقرت الدراسات الثقافية إلى مجال بحثي واضح ومحدود) مما (يبعث الدهشة) في أذهان من يتلقون مثل تلك الدراسات. والعلة في هذا الحال أن (نقطة انطلاقها الدراسات الثقافية رحبة وواسعة جداً، كما أنها تستخدم جميع المفاهيم الغامضة التي تتضمنها الثقافة بوصفها شاملة لكافة الممارسات ودراساتها).

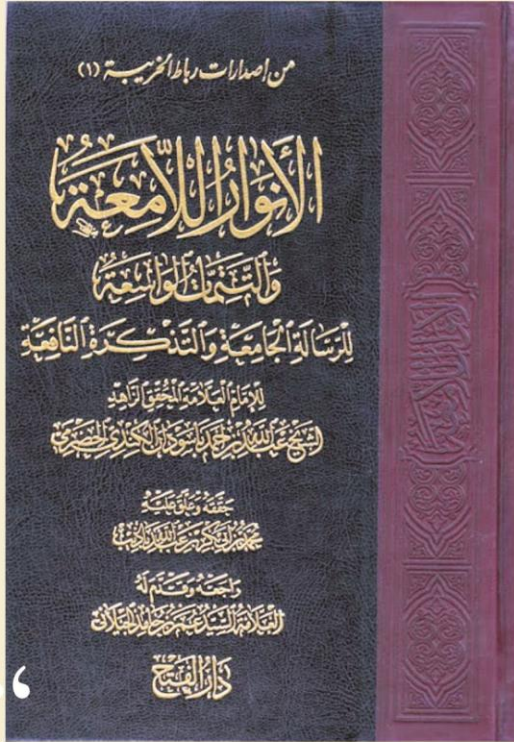
لكن هذا الوصف لم يكن بمانع من الوقوع على تعريفات لمفردة الثقافة تتعالى بها من حدها المعجمي إلى فضاء المصطلح. ولعلّ عالم الانثروبولوجيا تايلور هو أول من عرف الثقافة تعريفاً شاملاً، وشايه في ذلك من تلوه في الزمان إذ قال: (إن الثقافة هي ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والتقاليد والقوانين وجميع

المقومات والعادات الأخرى التي اكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع). أ.هـ.

ومن مفردات هذا المركب تنبع الثقافة الوطنية التي تمنح المجتمع هويته وتسمه بخصائص ومميزات في الحياتين المادية والمعنوية. وتعريف تايلور المعروف سلفاً هو الذي مضت عليه معاجم علمية، واعتمدته منظمات دولية، فجاء تعريف الثقافة في مؤتمر منظمة اليونسكو المنعقد في المكسيك عام ١٩٨٢م (بمعناه الواسع يمكن أن ينظر إليها على أنها جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعاً بعينه أو فئة اجتماعية بعينها، وهي تشكل الفنون والآداب وطرائق الحياة كما تشمل الحقوق السياسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات).

"والوعي العميق بهذا التعريف هو الذي يأذن بالانفتاح على مفهوم (المثاقفة) من حيث إن الثقافة لا تزدهر في إطار الانغلاق.





## مكونات الثقافة الحضرمية

تنقسم مكونات الثقافة في حضرموت إلى قسمين:

مكونات الثقافة الرسمية ولغتها العربية الفصحى. وتشمل على:

- **الثقافة الدينية**، وهي الأبرز في مكونات الثقافة في حضرموت، وتشتمل على مجالات شتى، منها (الفقه) وقد اتسع التأليف فيه حتى شمل متوناً كبرى مستلهمة من كتب الفقه (الشافعي) تحديداً لكونه المذهب المعتمد لدى الحضارمة من عهود سحيقة في التاريخ. وعلى الرغم من اتكائهم في معرفة المذهب على مصادره الكبرى كالمناهج للننوي ومن أشبهه من شراح المذهب والمؤلفين في تفصيلاته فقد ساهم الحضارمة بمجهود بارز في الكتابة عن ذلك المذهب، وكرروا كثيراً من الأقوال التي سلفت، فلم يأتوا بجديد فيه إلا في بعض الشروح المتسعة لبعض الرسائل المختصرة كما في كتاب (الأنوار اللامعة والتمتات الواسعة للرسالة الجامعة والتذكرة النافعة) للشيخ عبدالله بن أحمد باسودان. وعلى الرغم من كون متن الرسالة مختصراً من كتب الإمام الغزالي، والشرح مشوب بكثير من معطياتها فإنك لا تعدم فيها أثارة من إبداع في التأليف. وقل إن لم نقل ندر أن تجد مثل ذلك في سواها من كتب الفقه، فهي تكرر لما سلف، ونهل مما هو موجود أصلاً. ومن هنا جاء القول بأثر الفقه وكتبه في صبغ الثقافة الحضرمية بالتقليد، فهو رافد أساسي من روافد العقل الذي طمح إلى تجديد بتحرره من عقال يقيد حركته فكبت به خيول التجديد فاستحال تقليداً، ووسائل تعليمية تغني واحدة منها عن عشرات من أمثالها.

لكن ثقافة الظاهر كما دل عليها شيوع علم الفقه في حضرموت لم يكن بمانع من بزوغ ثقافة الباطن كما جلاها شيوع علم التصوف فيها. على أن العلة التي أحالت علوم الفقه إلى رسائل يكرر بعضها بعضاً كانت سبباً في استحالة ثقافة (التصوف)

إلى طقوس ومراسيم هي في الأصل عادات اجتماعية لكنها غدت عند أهل حضرموت في مرتبة المعطى الديني الذي يتجاوز التاريخ ليتصل بالوحي. فانطفأت إشارات التفكير الصوفي كما تجلى في بدائع مبدعة لشعراء ومفكرين صدوا به إلى مراق عليا، وجعلوه دليلاً على علاقة حميمة بين الإنسان وخالقه، وتعبيراً عميقاً لصلوة القرب من الذات المحمدية فأصبح في ثقافة الحضارمة زيارات لقبور أولياء صالحين، أو توسلات متوارثة مكررة أو وعظ وإرشاداً يتسع له شعر منظوم كما في قول القائل:

الزم باب ربك واترك كل دون    وأسأله السلامة من دار الفتون  
لا يضيق صدرك فالحادث يهون    الله المقدر والعالم شؤون  
لا يكتر همك ما قدر يكون

لو ولم وكيف قول ذي الحمق    يعترض على الله الذي خلق  
وقضى وقدر كل شيء بحق    يا قلبي تنبه واترك الظنون  
إلى آخره.





ومن عجب أن مجالي الفقه والتصوف وقد كثر التأليف فيهما من قبل صاروا ملخصات مختصرات تمنح صورة معرفية نمطية متمثلة في أدعية مهتدين سلفوا وتقدموا في الزمان، أو استحالا من مكتوب مقروء إلى شفاهي مسموع فقل الإقبال على المجاهدة في طلب العلم وممارسة العبادة مكتفين باللباس الدال على هيئة أصحاب العلم دون محتوى. بل نأوا عن المرجعية التي شكلت هويتهم الثقافية ذات زمن، وأعني بذلك كتب الامام الغزالي حتى انحصر الاهتمام بها على قلة من الحضارمة.

٦٦

وكثير من أمثاله مما جرى على السنة الشعراء أو الخطباء والواعظين. أما أن تلقى إبداعاً شعرياً أو نثرياً يشف عن تجربة في الوجود تكابد في البعد قلقاً واضطراباً فتبحث عن خلاصها في صور الحياة المعيشة فلا تلقاه حتى تصل إلى مبتغاها في آخر المطاف بالاتحاد بالله كما في رباعيات الخيام. أو تجربة الذات الأخرى الملتزمة بأفاق الإسلام لكنها تصدم بعجزها عن التعبير عما يخالجها من فكر وإحساس فتبحث حائرة عن سبيل لإعلان صوتها حتى تجده فتجهر بدعوتها في الالتزام بالدين والالتحام بقضايا المستلهمة من كيانه الوجودي لتخرج العصر من دائرة الغفلة إلى دائرة الصحو واليقين. فمثل هذه التجارب المبدعة لا تكاد تجد لها حضوراً في النتاج الثقافي في حضرموت، مما وسم الثقافة فيها في إطار التقليد والوقوع في أسر (ليس في الإمكان أبدع مما كان) مع أن للعبارة تأويلاً أعمق وإشارة إلى صور من التجديد لاتحد، ولكنهم لم يدركوها ومن هنا شاع فيهم سلوك (قع جويد)، وهذه أعلى صور الاستاتيكية ظهوراً.

ومن عجب أن مجالي الفقه والتصوف وقد كثر التأليف فيهما من قبل صاروا ملخصات مختصرات تمنح صورة معرفية نمطية متمثلة في أدعية مهتدين سلفوا وتقدموا في الزمان، أو استحالا من مكتوب مقروء إلى شفاهي مسموع فقل الإقبال على المجاهدة في طلب العلم وممارسة العبادة مكتفين باللباس الدال على هيئة أصحاب العلم دون محتوى. بل نأوا عن المرجعية التي شكلت هويتهم الثقافية ذات زمن، وأعني بذلك كتب الامام الغزالي حتى انحصر الاهتمام بها على قلة من الحضارمة.

ومع أن علوم الحديث والتفسير والعقائد وما أشبهها من مكملات الثقافة الدينية فإن اشتغال أهل حضرموت بها منعدم مكتفين في ذلك بما يجدونه في متونها الكبرى كالبخاري وبعض شروحه وتفسير البغوي وبعض من أمثاله وما وقف

عليه القارئون في كتب الغزالي في مجالات معرفية متنوعة أما أن يكون لهم تأليف مذكورة في تلك المجالات فهذا من النادر. حقاً وجد فيهم من درس علم الحديث لكنه لم يؤلف فيه عظيماً، ومن تحدث في تفسير آيات متفرقات من القرآن أو بعض سورة وأثر عنهم بعض صفحات مكتوبة في تفسيرها لكنها لم تشمل القرآن كاملاً لتصبح مجلدات متعددة الأجزاء كما صنعوا في كتب الفقه أو كتب التصوف، فظل التفسير لديهم خطرات عابرة وليس علماً راسخاً. واكتفوا بتفسير البغوي مرجعاً معتمداً لديهم وفضلوه على سواه كما ارتضوا بكتب الغزالي مرجعية لكثير من تصوراتهم في الفقه والتصوف والعقيدة. ومن هنا غلب على ثقافة أهل حضرموت النقل فألسوا له قيادهم وانصبغت به تفصيلات حياتهم من بعد. (... يتبع)



إن الوثائق مثل النجوم  
تستمد ضيائها من  
ذاتها، لكنها لا تبخل  
بنورها على من اقرب  
منها، وحاول استنطاقها

## بيان هام صادر عن الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل حضرموت

### "حول استيلاء" السلطة على ما كانت تسمى بالدولة الكثيرة

القومية على حضرموت بشقيها يأتي ليؤكد وحدة التراب،  
ووحدة الشعب، ووحدة المصير، في الجنوب اليمني المحتل..  
ويحطم كل هواجس وأوهام الاستعمار الإنجليزي السلاطيني  
في فصل الولايات الشرقية عن الولايات الغربية.  
لقد تحركت البارحة جحافل الجيش الشعبي للجبهة  
القومية؛ لتحتل تاربة والحوطة، وتحاصر تريم وسيئون،  
وترغم (الحكومة الكثيرة سابقاً) لتسليم السلطة للجبهة  
القومية.. وأمام ذلك الزحف الثوري المكثف والمنظم لم  
يستطع المسؤولون فيما كانت تسمى (بالكثيرة) إلا التسليم،  
وهكذا أشرق صباح هذا اليوم على الداخل، وأعلام الجبهة  
القومية ترفرف على سيئون وتريم، مُعلنَةً زوال الحكم  
السلاطيني الرجعي الوراثي، وحلول حكم الشعب بقيادة  
الجبهة القومية الغراء..

إن الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل لم  
تحقق هذه الانتصارات إلا بعد أن قدمت قوافل من الشهداء،  
الذين ضحوا ليهبوا لنا الحياة الحرة الكريمة.. إن الحرية  
التي تبنيها جماجم الشهداء هيئات أن تضيق أو تسرق، إن  
الجبهة القومية التي تحملت مسؤولية التحرير السياسي  
والاجتماعي في هذا الظرف الحاسم من تاريخ أمتنا العربية،  
لقادرة على أداء تلك المسؤولية بكل أمانة ورجولة..  
وهي قادرة أيضاً على التصدي لكل محاولات التخريب  
الاستعمارية الرجعية وإفشالها.



أ. د. عبدالله سعيد بن جساس الجعدي

#### نص الوثيقة

يا جماهيرنا الكادحة...

يا طلائع أمتنا العربية الثائرة...

باسمكم.. وباسم ثورة الرابع عشر من أكتوبر الظافرة، بقيادة  
الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل.. نعلن سقوط  
ما كانت تسمى ((بالدولة الكثيرة)) في يد ثوار الجبهة القومية  
المغاوير، واستيلاء الجبهة القومية عسكرياً واقتصادياً وإدارياً  
على ما كان يسمى ((بالقطاع الكثيري في حضرموت)).

يا شعبنا المناضل العظيم في كل شبر من أرض الجنوب الثائر..  
إن المكاسب والانتصارات التي تحققها الجبهة القومية،  
لتدل على مدى قوة هذا التنظيم الثوري عسكرياً وبشرياً،  
ومدى ارتباطه العضوي بمجاميع الشعب الثائرة، ذات  
المصلحة الحقيقية في التغيير الثوري. إن استيلاء الجبهة





وإن التفاف الجماهير الكادحة حول  
الجبهة القومية ليصنع كل تشكيل في  
الجبهة القومية وثورتها وجماهيريتها.

يا شعبنا العظيم ...

إن المعركة لم تنته بعد، إنها بالكاد بدأت ..

وإن الأهداف العظيمة التي نحارب من

أجلها لا تتلخص في الاستقلال السياسي

ووحدة أراضي الجنوب، وتطبيق قرارات

الأمم المتحدة فحسب .. إنها معركة

سياسة اجتماعية واقتصادية في آن واحد ..

وهي معركة طويلة ومتجددة، تطالبنا

باستمرار بالمزيد من النضال اليومي الدائب

الصامد الصامت .. وإن قوى الشعب

بمختلف فئاته مطالبة بالالتفاف حول

الجبهة القومية، والالتحام بثورة الرابع

عشر من أكتوبر، التي أتت لتحرر الإنسان

العربي في الجنوب اليمني المحتل سياسياً

واقتصادياً وفكرياً .. إنها معركة المصير

العربي الواحد، التي يجب أن تراهن قوى

الثورة العربية بكل إمكانياتها البشرية

والعسكرية على كسبها ..

يا طلائع جيشنا الشعبي المغاوير ..

يا جماهير شعبنا البطل

إن الاستقلال السياسي التي تسعى الجبهة القومية إلى

تحقيقه بالعنف الثوري ليس إلا البداية، والوسيلة التي

ستمكن جماهير شعبنا الكادحة من القضاء على جميع

معالم التخلف، التي فرض على شعبنا لسنين طويلة ..

والمرحلة القادمة مرحلة البناء والتعمير .. مرحلة التشييد

والتغيير ستكون أصعب بكثير، وستتطلب مزيداً من الالتفاف

بيان صادر من الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمن المحتل حضرموت  
حول استيلاء السلطة على ما كانت تسمى بالولاة الكثيرة

يا جماهيرنا الكادحة ...

يا طلائع جيشنا المهيبة الثائرة ...

بأسكم ... وأسامة ثورة الرابع عشر من أكتوبر الثائرة بقيادة الجبهة القومية لتحرير الجنوب

اليمني المحتل ... نعلن سقوط ما كانت تسمى (( بالولاة الكثيرة )) في يد ثوار الجبهة القومية المناهض

واستيلاء الجبهة القومية عسكرياً واقتصادياً وإدارياً على ما كان يسمى (( بالقطاع الكثري من حضرموت ))

يا شعبنا المناضل العظيم في كل شبر من أرض الجنوب الثائر ... أن الكلاب والانتصارات التي

تحققها الجبهة القومية ، لتدل على مدى قوة هذا التنظيم الثوري عسكرياً وبشرياً ، وصدور ارتباطه

المعشوق بمجابهة الشعب الثائرة ذات الصلة الحقيقية في التغيير الثوري ... أن استيلاء الجبهة القومية

على حضرموت يشهد بأن لولا وحدة السرايا ووحدة الشعب ووحدة المصير في الجنوب اليمني المحتل

... وحطم كل ما واجهنا الاستعمار الإنجليزي السلاطيني في فصل الولايات الفرعية من الولايات

الشرعية ...

لقد تحركت البارحة جيئات الجيش الشعبي للجبهة القومية لتحتل تارسة والحولمة وتحاصر

ترهم وسبون وترسم ( الحكومه الكثرية سابقا ) بتسليم السلطة للجبهة القومية ... وألم ذلك الزحف الثوري

الكثف والفظم لم يستطع الموثقون في ما كانت تسمى ( بالكثيرة ) إلا التسليم ، وكذلك اشرق صباح هذا

اليوم على الداخل وأصنام الجبهة القومية ترزف على سبون وترسم مملنة زوال الحكم السلاطيني الرجعي

المرائي ، وحطم حكم الشعب بقيادة الجبهة القومية الثائرة ...

أن الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل لم تحقق هذه الانتصارات إلا بعد أن قدمت

قوافل من الشبيبة الذين ضحوا ليحيوا لنا الحياة الحرة الكريمة ... أن الحرية التي تبغونها جاجسم

الشبيبة ... ضيقت أن تصبح أو تسرق ... وأن الجبهة القومية التي تحلت مسؤولية التحرير السياسي

والاجتماعي في هذا الطرف الحسم من تاريخ أقطا الشرعية ، لتأخذ على أمانة تلك المسؤولية بشكل

أمانة مرتجلة ... وفي تارة أخرى على التصدي لكل محاولات التخريب الاستعمارية الرجعية وأنشالها

وإن التفاف الجماهير الكادحة حول الجبهة القومية ليصنع كل تشكيل في الجبهة القومية وشريتها وجماهيريتها

يا شعبنا العظيم ...

أن المعركة لم تنته بعد ، إنها بالكاد بدأت ... وأن الأهداف العظيمة التي نحارب من أجلها

لا تتلخص في الاستقلال السياسي ووحدة أراضي الجنوب ، وتطبيق قرارات الأمم المتحدة فحسب ... انقضا

معركة سياسية اجتماعية واقتصادية في آن واحد ... وهي معركة طويلة ومتجددة ... تطالبنا باستمرار

بالتحيز من النضال اليومي الدائب الصاعد الصامت ... وأن قوى الشعب بمختلف فئاته مطالبة

بالالتفاف حول الجبهة القومية والالتحام بثورة الرابع عشر من أكتوبر التي أتت لتحرر الإنسان العربي في الجنوب

اليمني المحتل سياسياً واقتصادياً وفكرياً ... إنها معركة المصير

العربي الواحد، التي يجب أن تراهن قوى

الثورة العربية بكل إمكانياتها البشرية

والعسكرية على كسبها ...

يا طلائع جيشنا الشعبي المغاوير ..

يا جماهير شعبنا البطل

إن الاستقلال السياسي التي تسعى الجبهة القومية إلى

تحقيقه بالعنف الثوري ليس إلا البداية، والوسيلة التي

ستمكن جماهير شعبنا الكادحة من القضاء على جميع

معالم التخلف، التي فرض على شعبنا لسنين طويلة ..

والمرحلة القادمة مرحلة البناء والتعمير .. مرحلة التشييد

والتغيير ستكون أصعب بكثير، وستتطلب مزيداً من الالتفاف

الجماهيري حول الجبهة القومية، التي ستقود معركة البناء

والتصنيع، تماماً كما قادت معركة التحرير بالاعتماد على

الجماهير المسحوقة.

عاشت الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل ..

وعاش المناضلون الشرفاء ..

تاريخ ٢٨ جماد ثان ١٣٨٧ هـ

موافق ٢ أكتوبر ١٩٦٧ م

تاريخ ٢٨ جماد ثان ١٣٨٧ هـ  
موافق ٢ أكتوبر ١٩٦٧ م





بأن شمس السلطنة الكثيرة غابت وصارت من الماضي، وأن شمس عهد جديد قد أشرقت رغم أن المسافة الزمنية بين لحظة توقيع تسلّم السلطة وكتابة البيان وإعلانه لا تتعدى الساعات المعدودة.

حفل البيان بمفردات العصر القومي الناصري، المفردة في الحماسة الثورية، من ذلك: "يحطم كل هاجس وأوهام الاستعمار الإنجليزي السلاطيني" "إن الحرية التي تبنيها جماجم الشهداء هيئات أن تضيق أو تُسرق" "إنها معركة المصير العربي الواحد التي يجب أن تراهن قوى الثورة العربية.. على كسبها"، وإذا اتسق هذا الخطاب مع سياق عصره فإنه حمل شحنة ملتزمة تجاوزت الواقع المحلي، ولهذا فعلى الرغم من أن (سقوط) السلطنة الكثيرة كان سلمياً، ولم تُرق فيه قطرة دم واحدة فإنه أقحم في النص لفظاً (العنف الثوري)، كما أن الروح الجامحة في تصوير سقوط البلديات كأنها (زحف ثوري كبير)، ولدت ممارسات لاحقة شديدة العنف والشطط ما كانت ضرورية، ولا يبررها مقاربات التجاوزات (الثورية) عند الشعوب الأخرى.

ويبدو أن الحاضنة الشعبية للجبهة القومية (في القطاع الكثيري من حضر موت) لم تكن بحجم التأييد في القطاع القعيطي، لهذا تضمن البيان مفردات بدلالات مواربة، مثل (الزحف الثوري)؛ لتتوارى خلفها جماعات قبلية محدودة (ثورية) من خارج الحاضنة الشنفرية للسلطنة الكثيرة، ومما يَسِّر السقوط السلمي للسلطنة الكثيرة هو إجبار سلطانها الأخير (حسين بن علي) على العودة مع سلاطين المحمية الشرقية إلى المملكة العربية السعودية في السفينة نفسها التي أقتلهم من ميناء مدينة جدة في قصة تاريخية معروفة، وربما أن هذه اللحظة هي لحظة السقوط الفعلية للسلطنة الكثيرة، وهذا يدفعنا إلى مقارنة تتعلق بالمصير المشترك لحضر موت؛ بوصفها هوية ثقافية، وكتلة جغرافية واحدة لا انفصام لها، وأن في إدراك ذلك تكمن قوتها ومنعتها وإرادتها الحرة.

## التعليق

لهذه الوثيقة (البيان) أهمية تاريخية خاصة؛ لأنها أول وثيقة صادرة، تمثل سلطة اللجان الشعبية للجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل في مناطق السلطنة الكثيرة (القطاع الكثيري في حضر موت)، وهي لاحقة لوثيقة الاستلام والتسليم التي وقعت بينهما، وهذه الوثيقة مؤرخة في اليوم نفسه الذي سقطت فيه السلطنة الكثيرة (٢ أكتوبر ١٩٦٧م)، أي بعد مرور أسبوعين من تسلّم الجبهة القومية للحكم في مناطق السلطنة القعيطية في (١٧ سبتمبر ١٩٦٧م)، وبهذا تحولت قيادة الجبهة القومية من حركة ثورية تحريرية إلى سلطة أمر واقع في كل أرجاء حضر موت.

وقد حصل مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على نسخة أصلية من هذه الوثيقة مع وثائق أخرى من الأستاذ مبارك عامر بن حاجب السعدي، ونجدها هنا فرصة لدعوة الأهالي ممن لديهم وثائق تاريخية أن يقدموها للجهاز الرسمية والمراكز المتخصصة؛ لغرض دراستها، وتبسيط الأضواء التاريخية عليها. ومما جعلنا نطمئن على أصالة الوثيقة وسلامتها بوضعها تحت مجهر النقد التاريخي الظاهري والباطني القيام بفحص نوع الورق وطريقة الطباعة ومقاربة الأسلوب الخطابي فيها مع ألفاظ والجمل في بيانات سابقة مشابهة للجبهة القومية.

إن نص البيان هو إعلان عام لسقوط السلطنة الكثيرة بيد ثوار الجبهة القومية، موجه بشكل مباشر إلى "جماهيرنا الكادحة" و"طلّاع أمتنا العربية الثائرة" و"الشعب المناضل العظيم" و"طلّاع جيشنا الشعبي المغاوير" و"جماهير شعبنا البطل"، وهو موجه أيضاً بصورة غير مباشرة للمعارضين الافتراضيين للعهد الجديد، لهذا حرص النص على استخدام ألفاظ إيحائية، وضعت في النص بين قوسين من قبيل (ما كانت تسمى بالدولة الكثيرة) (الحكومة الكثيرة سابقاً)، وهي إشارة لا تخفى على اللبيب، أو على من له سمع وهو شهيد

# (جواهر تاريخ الأحقاف - لابن شَمْلَةَ باحنَّان)



كتابنا لهذا العدد كتابٌ تاريخيٌّ موسوم بـ (جواهر تاريخ الأحقاف)، لمؤلفه العلامة الفقيه (محمد بن علي بن عَوْض)، المعروف بـ (ابن شَمْلَةَ باحنَّان)، الذي يتَّصل نسبه بالصحابي الشهير الأشعث بن قيس الكندي، (رضي الله عنه).

(١٣٨٣هـ)، مخلفاً عدداً من المؤلفات النافعة، أبرزها: (التحفة السنية شرح المختصر اللطيف) في الفقه، و (قُرَّة الطرف في تعليم قواعد التهجي ورسم الحرف)، و (الدُر الثمين في أصول الدين وتعليم التلاميذ ما يجب على المسلمين)، و (تاريخ الأحقاف)، وهو كتابه الجامع المسمى (القول الشاف في تاريخ الأحقاف)، في تسعة أجزاء، مع مقدمة وسمها بـ (الإتحاف)، ومنه انتخب هذا الكتاب، الذي عليه مدار حديثنا، في هذه الحلقة.

ولكتابيه (جواهر تاريخ الأحقاف) طبعتان: أولاًهما - بمطبعة (الفجالة) بمصر، عام (١٩٦٣م)، والأخرى - بمطبعة (دار المنهاج للنشر والتوزيع)، بجدة/ المملكة العربية السعودية، وهي الطبعة الأولى، الصادرة في عام (١٤٢٠هـ)، الموافق (٢٠٠٨م)، وتضم (٥٦٠) صفحة.

ويؤرخ هذا الكتاب تاريخ حضرموت السياسي، من عهد البعثة النبوية، حتى عام (١٣٧٨هـ). وقد التزم فيه المؤلف التنويه بأبرز الأحداث التي وقعت في كل قرن هجري، ثم يختتم كل قرن بذكر شيء من تاريخها العلمي، كذكر أبرز

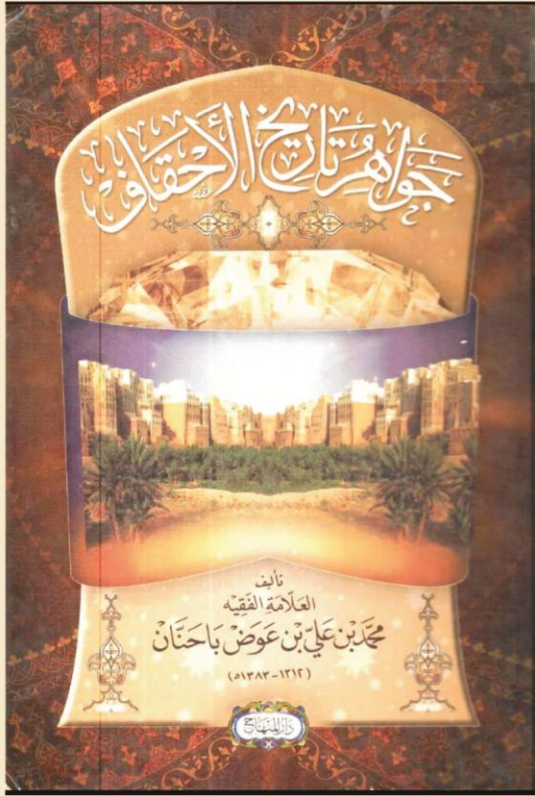


د. محمد علوي  
بن يحيى

وُلد مؤلف الكتاب في مدينة (تريم)، بمحافظة (حضرموت) اليمنية، عام (١٣١٢هـ)، وحينما وصل إلى سن البلوغ، التحق بطلب العلم، في رباط (تريم)، الذي كان يُشرف على نظارته العلامة المربي السيد (عبدالله بن عمر الشاطري)، ثم تنقل في طلبه للعلم بين قري وادي حضرموت ومُدُنُه، متكلماً على أكابر علماء عصره.

ثم انتقل - بعد إتمام سن الطلب - إلى مرحلة التعليم، فانتفع بعلمه المئات من أهل بلدته (تريم)، ثم سافر إلى بلدة (دوعن)، ومكث فيها معلماً ومؤلفاً، حتى وافاه الأجل عام





بن عيسى الشهير بالمهاجر): "هاجر من (البصرة) إلى (حضر موت)، ونزل أولاً - بالجبل، من وادي (دوعن)، ثم انتقل منها إلى (الهجرين)، قال في (المشرع الروي): ومن أسباب ارتحاله: ضعف مُلك بني العباس، ودخول النقص في الدنيا والدين، وغلبة أهل البدع، وظهور طائفة الزنج، وظهور القرامطة، وهجومهم على البصرة، سنة (٣٠٧)، وحصول حوادث أخرى، من القوارع الإلهية، كهبوب العواصف، ومطر الأحجار، وكثرة العلل والأمراض، فذكر (الشلي) من أسباب ارتحاله النقص في الدنيا والدين، والأحداث السياسية، والقوارع والآفات السماوية... [ص: ٣٥١ - ٣٥٢].

ويقول في مبحث (دولة الأقيال من كندة وآل جميل الحارثيين الكنديين): "كانت دولة آل أقيال لها حظها الأسمى، في المجد، منذ أمد بعيد؛ فهم يُنسبون إلى أقيال (كندة)، وأما (آل جميل) فهم يُنسبون إلى جميل بن فاضل الحارثي الكندي... وكانت دولتهم أولاً تابعة، بالحلف والموالاة، لدولة (آل راشد) من كندة، منذ قيامها، حتى إذا استدار الزمان، وقضى مُدبر الأكوان، على دولة آل راشد بالضعف، وبداء الانحلال فيها، وسمها

العلماء الذين اشتهروا فيه، وسنوات وفياتهم. وقد استعان بعدد من المصادر والمراجع: التاريخية، والتفسيرية، والحديثية، المتعلقة بهذا المجال.

وعلى الرغم من أن هناك الكثير من المؤرخين، قد خص إقليم حضر موت بالذكر المستفيض: إما في مؤلفات مستقلة، وإما في فصول مضمنة، في مؤلفات تاريخية - فقد انماز مؤرخ هذا الكتاب، الذي استغرق في جمع مادته الأصلية، ثم تهذيبها في هذه الجواهر، ما يناهز الثلاثين عاماً - بمميزات قد لا توجد في غيره، يُوردها ناشر الكتاب، في مقدمة الطبعة الأولى منه، بقوله:

"... والمؤلف - في كل هذه المراحل - يمتاز بدقة النقل، وتمحيص الرواية، وعمق الفهم، وغزارة المادة، وسعة الاطلاع، إلى مقدرة فذة، في تحقيق الغامض، والتأليف بين المتناقض، والإنصاف الذي يعصمه من التحيز إلى فئة؛ وبهذا جاء الكتاب ذخيرة في التاريخ الحضرمي، وأنساب الحضارم". [ص: ١٧].  
أما المقصود بجهة (الأحقاف) المذكورة في عنوان كتابه - فقد ذكر المؤلف اختلاف العلماء في تحديده، بقوله:

"... وقد ذكره الله (جل ذكره) في التنزيل؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَعَادُوا بُدْعَهُمْ بِالْأَحْقَافِ﴾ [سورة الأحقاف، الآية ٢١]، قال العلماء: الأحقاف: جمع حقف، من احقوق الشيء؛ إذا عوج. ونخلص فيه، من تفسير العلماء، ثلاثة أقوال: فقال بعضهم: إنه الرمل المعوج، وقال فريق: إنه الجبل، وآخرون: إنه الوادي الشهير ب(وادي حضر موت). كل محتمل؛ لأن (عاد) الأولى سكتتها جميعاً، وأحسن الاحتمالات، والصواب: الثاني والثالث... [ص: ٣١].

### مختارات من نصوصه:

من المراحل التاريخية، التي أرخ لها (با حنان)، نقطف بعضاً منها:

يقول في مبحث (هجرة الإمام أبي السادة الأشراف أحمد





العلامة الفقيه المؤرخ/ محمد بن علي بن زاكّن باحنان الأشعثي الكندي

بِمَيْسَمٍ (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) - كان أوّل مُبْرِزٍ لِلْمُلْكِ، من آل أفيال السلطان (عبدالرحمن بن راشد بن أفيال الكندي)...

وفي سنة (٦٢٢)، كانت (شِبَامُ) تابعة لـ (بني حَرَام)، وفيها (جَمِيل بن فاضل الحارثي الكندي)، و(مسعود بن يَمَانِي)، وكانا على وفاق، فخالف جميل على مسعود بن يمانِي، وانتفض عليه أهل (شِبَام) في ربيع الأول العام المذكور، فأجلى ابن يمانِي جميلًا عن (شِبَام)، ونكّل بأهل (شِبَام)..." [ص: ٤٢١ - ٤٢٢].

ويقول في تاريخ ظهور التُّبَاك (التبغ)، وبدعة قَنَصِ الوُعُول ونحوها؛ بِنُدُقِ الرِّصَاصِ، في حضر موت: "وفي سنة (١٠١٢) ظهر بحضر موت شُرْبُ التَّنِّ (التُّبَاك)، وقد أَرَخُوا ظهورَهُ بتاريخ مناسب لحاله، وهي كلمة (بَغْي). وفي ذلك العصر كانت بدعة القَنِصِ، على الكيفيّة المعهودة، وكأنّه لم ينتظم أمرُ القَنِصِ على ما عهد، حتّى ظهر بُنْدُقُ الرِّصَاصِ؛ يدلُّنا على ذلك أمران:

الأول - أن أوّل مَنْ تكلّم في رمي الصيد، ببندق الرصاص هو الشيخ (ابن حَجَر)، وهو من أهل القرن العاشر، وقد تقدّم أن أوّل مَنْ أتى به إلى حضر موت التُّرْك، حين استنصر بهم (أبو طَوِيرِق).

الثاني - ما ذكره العلامة الشيخ (محمد بن عوض با فَضْل)، في مناقب المشايخ (آل با جابر)؛ أن الشيخ (أحمد بن علي) - وكان من أهل القرن العاشر - أخذته جَذْبَةُ إلهيَّة، فهام في الجبال وخالط الوُحُوشَ والسِّباع، نحو ثلاثة عشر عامًا، فلم يرجع إلى أهله، إلّا بعد أن وجده أهلُ القَنِصِ، إلى آخر القضية، التي ذكرتها في ترجمته في (تاريخ الأحقاف)..." [ص: ٤٩٨].

ويقول - في سرد تواريخ وفاة عدد من مشاهير القرن (الحادي عشر)، من العلماء والصلحاء:

"ومن المشاهير في ذلك العصر: الشيخ الورع الزاهد (عبدالجامع بن أبي بكر با رجاء الحضرمي)، تُوِّفِيَ بمكّة ودُفِنَ بالشَّيْبِكَة، سنة (١٠٨٢). وفي سنة (١٠٧٥) تُوِّفِيَ الشيخ الفقيه المتفتّن (أحمد بن علي بن عبدالرحمن بن محمد جلاخ با قشير). وفي سنة (١٠٨٥) تُوِّفِيَ السيّد الفاضل الأديب (أبو بكر بن سالم أحمد بن شيخان) تُوِّفِيَ بمكّة ودُفِنَ بالمُعَلَّاة. وفي سنة (١٠٨٧) تُوِّفِيَ السيّد الورع الزاهد العابد (أبو بكر بن سعيد بن أبي بكر بن عبدالرحمن الجفري). وفي سنة (١٠٩١) تُوِّفِيَ الشيخ العلامة (أحمد بن عبدالله بن حسن بن محمد بن عبدالله با عتّر السيّوني). وفي سنة (١٠٩٤) تُوِّفِيَ الشيخ الإمام العالم الربّاني (علي بن عبدالله با راس الكندي).

ومن مشاهير ذلك العصر، السيّد الخاشع المُنِيب المُخْبِت الخائف، (شَيْخَان بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم). وفي سنة (١٠٩٣) تُوِّفِيَ السيّد العلامة المتفتّن (محمد بن أبي بكر بن أحمد المعروف بالشَّلِّي)، صاحب التّأليف، ومنها (المَشْرَعُ الرّوِّي) [ص: ٥٠٥].





# عادات واعتقادات موروثة عبر الزمن

ديوان العرب الجامع لشتى صور حياتهم، ولولاه لما أدر كنا بكل يسر أن لبعض عاداتنا المستغربة - والتي تلاشى غالبها - أصلاً في عصور العرب الأولى، ومن تلك العادات:

## ١- دلائل البشرى:

هناك أعراض معينة تحدث لهم كالحكمة في الرجل أو اليد يعتقدون أنها دلائل وعلامات بشرى ستأتيهم بها الأخبار، وأن هناك من يذكروهم ويتحدث عنهم، فيرجون خيرها، ويستعيذون من شرها، فإذا أحس أحدُهم بحكمة في أسفل قدمه فإن كانت في الرجل اليمنى يدعو: (عساه خير) ويخبر بما أحس، وإن كانت في اليسرى يكتُم ذلك، وكذا ما يحدث لراحة اليد، فيعتقدون أن هناك من يتحدث عنهم من محب أو عدو، بخير أو شر، وعندئذ يقولون: (سَقَر خير.. سَقَر خير، من ع يحكي فينا بخير له خير)، ويتفاءلون باليد اليمنى، ويتشاءمون إن حدث في اليسرى، ونظير هذا الاعتقاد موجود عند العرب قديماً؛ إذ يرونه دليلاً على بشرى بما يحب أو بمن يحب، لكن علامته عند العرب هو اختلاج العين، وهو اضطراب وحركة تحدث لها، فيستدلُّون به على أمر سيحدث، ويرجون أن يكون خيراً، قال عمر بن أبي ربيعة:

خَلَجَتْ عَيْنِي الْيَمْنَى بِخَيْرٍ تِلْكَ عَيْنٌ مَأْمُونَةُ الْخَلْجَانِ  
أَيُّهَا تَصْدُقُ دَائِماً فِيمَا تَبْشُرُ بِهِ.

هاني عبود  
الغفني



يوجد لكثير من العادات والتقاليد والاعتقادات التي سادت بين أوساط العرب قديماً نظائر مماثلة في مجتمعاتنا المحلية، فقد استطاعت تلك الموروثات أن تنتقل عبر القرون من جيل إلى آخر مع ما يغلب على بعضها من البدائية الساذجة، وما يشوبها من مسحة أسطورية، مما جعلها تفقد رونقها بتطور العلم وارتقاء العقول في مدارج الفكر، ولكن تبقى قيمتها ومكانتها في سلم الموروث الشعبي المتصل بعمقه الثقافي والتاريخي، شاهدة على الانتساب الحضاري العربي الذي لم تفصله الحواجز والعراقيل عن أصله وجذوره الممتدة عبر العصور، فبقيت تلك الاعتقادات والعادات سارية متسلسلة في ضمير الأجيال، ومكان الوجدان الجمعي لهذه الشعوب حتى وصلت إلى عصرنا الحاضر. وكان للشعر الدور الأهم في نقل تلك الموروثات والإشارة إليها؛ إذ هو





وقال العباس بن الأحنف:

ظَلَّتْ تُبَشِّرُنِي عَيْنِي إِذَا اخْتَلَجَتْ

بِأَنْ أَرَاكَ وَمَا زَاكَتْ عَلَى خَطَرٍ

فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ إِمَّا كُنْتُ صَادِقَةً

إِنِّي لِبُشْرَاكِ لِي مِنْ أَسْعَدِ الْبَشَرِ

فَمَا جَزَاؤُكَ عِنْدِي لَسْتُ أُعْرِفُهُ

بَلَى جَزَاؤُكَ أَنْ تُخْلِينَ بِالنَّظَرِ

وَأَحْجُبُ الْمُقَلَّةَ الْآخَرَى وَأَمْنَعُهَا

وَجَهَ الْحَبِيبِ كَمَا لَمْ تَأْتِ بِالْخَبَرِ

الذي سقطت سنُّه إلى أخذ السن بين السبابة والإبهام، فيستقبل الشمس إذا طلعت، ويرمي بها قائلاً: (يا شمس أبدليني بسن أحسن منها، ولتجر في ظلها إياثك)، ويقول بعضهم: (يا شمس أبدليني سنًّا من ذهب أو فضة)، وقد أشار إلى هذا الاعتقاد طرفة بن العبد في معلقته حين قال في وصف ثغر امرأة:

وَتَبَسُّمٌ عَنْ أَلْمَى كَأَنْ مَنْوَرًا    تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دَعَصَ لَهُ نَدِ  
سَقَّتْهُ إِيَاةُ الشَّمْسِ إِلَّا لثَاتُهُ    أَسْفَ وَلَمْ تَكْدُمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِ  
أَيَّ إِنْ أَسْنَانَهَا اكْتَسَبَتْ بِيَاضًا وَجَمَالًا مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ،  
وَاسْتَنَى اللَّثَةَ فِيهِ خَضِرَاءَ بِسَبَبِ الْوَشْمِ وَسَفَّ الْإِثْمَ عَلَيْهَا،  
وَلَمْ تَكْدُمْ عَلَيْهِ - جَمَلَةٌ اعْتَرَضِيَّةٌ فِي الْبَيْتِ - أَيَّ وَلَمْ تَعْصُ بِهِ  
بِقُوَّةٍ، فَأَسْنَانُهَا بِيَضَاءَ مُنْتَظِمَةٍ غَيْرِ مُثَلَّمَةٍ.

### ٣- التعاشير:

كان أحدهم فيما مضى إذا أراد أن يدخل بلدًا أو وادياً أو مكاناً نائياً لأول مرة يأمرونه أن يقف ويرفع صوته بالنهيق، يقلد صوت الحمام عدة مرات، معتبرين ذلك حماية ووقاية من الأوبئة، ومن شر الجن الساكنين ذلك المكان، وهذه العادة ليست شائعة في كل بيئات المجتمع، وهي عين ما تفعله العرب في الجاهلية حَدَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، فقد كان العرب إذا ورد أحدهم

وفي هذه الأبيات للعباس بن الأحنف صورة من طرائف الشعر، حيث أعطى العين التي جاءت بالبشرى جائزتها، وهو ما يسمى عندنا (البشارة)، أي ما يعطى للمبشر جزاء إتيانه بالبشرى، وهو أيضاً عُرفٌ عربي أصيل.

وقد تبع أولئك الشعراء في استلهمهم فكرة اختلاج العين العلامة الأديب عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، فإنه اتخذ من رمزيتها وسيلة للتعبير عن محبته للرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول:

وَمَالِي إِلَّا حُبُّهُ مِنْ وَسِيلَةٍ    أَصْلِي عَلَيْهِ كُلُّمَا الْعَيْنُ تُخْلَجُ

### ٢- الشمس وجمال الأسنان:

في موروثة الشعبي الذي كان سائداً يعتقدون أن للشمس علاقة وطيدة بجمال الأسنان وبياضها، فلذلك عندما تسقط سن أحد الصبيان (يَنَغَرُ) باللهجة - وهي عامية فصيحة - يلتقط سبع حصيات صغيرة وسبعاً من بحر الغنم، ويضع السن بينها ويرمي بها إلى الشمس قائلاً: (يا شعاع يا شعاع هات لي ضرر غزال)، أما إذا سقطت سنه بعد غروب الشمس فإنه يحتفظ بها إلى وقت طلوعها، ثم يجري معها عملية التبادل، ويرون أن مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَطْلُعْ سِنُهُ مَعُوجَةً، وهذا الاعتقاد قد كان عند العرب في جاهليتهم، فيعمد الغلام





أرض وباء وضع يده خلف أذنه، فنهق عشر نهقات نهيق  
الحمار، ثم دخلها أمن من الوباء، قال عروة بن الورد:  
لعمري لئن عشت من خيفة الردى نهاق حمارٍ إنني لجزوعٌ

#### ٤ - الشَّيْمُ (التَّخْيِيلُ):

يتطلع الناس إلى نزول المطر بشغف لما يثيره في نفوسهم  
من فرح وانسراح، فينتشون على وقع زخاته الباردة، فكيف  
إذا كان للمطر آثار رحمة في حياتهم، تخضر به مراعيهم،  
وتُسقى به مزارعهم، وتفيض منه وديانهم، كما هو الحال  
عند عامة العرب، حتى سُمي المطر رحمة في تراثهم العامي،  
قال الشاعر عبود بن عمرو الغنيني:

الحمد لله مولانا علينا نعم

هو لي سقانا من الرحمة وهو لي طعم

ولذلك فإنهم ينظرون بأمل وترجٍّ إلى وميض البرق في  
السحاب، و(يخيلون) أي يتوقعون نزوله على أرض كذا وكذا،  
ويتمنون أن تغاث به وديانهم ومراعيهم، وفي هذا التخيل أو  
الشيم كما يسمى في العربية الفصيحة، يقول الشاعر حيمد بن  
الغطف الغرابي:

خيلت النوء مبعد والبروق المبعدة ظني على وادي خريدة  
إن كان شوف العين صادق با تسيلن رؤس فرعان

ويقول الشاعر رجب بن غانم بن حمد الجمحي يصف  
قدومه على حراوة ختان تقديرًا لأصحابها، وللرباط الوثيقة  
التي جمعتها بهم، وكان قدومه من غير دعوة، فوصفه بأنه قدم  
بناء على تخيل نزول الغيث على مساكنهم:

ناوصولي لانشوة عاني تخيل النوء لا طلب ولا دعوة  
المطر له نهضة والقبيلي لا يتأكد لا وقعت به نسوة

وقد استعار هذه الصورة من شد البدو رحالهم إلى مواضع  
الغيث، ونزوحهم إلى موطنه تبعًا للتخيل والتوقع.  
ويقول الشاعر كرامة بن عمرو بن حمادة الثعيني:

خيل لا القزع نشين وعسى منشأ الصلاح وتدلي المخيلة حين  
الظكومي باتروين لاشي راعدي الطهوب والبارق فيه تحظين  
القزع والطهوب هي السحب الممطرة، و(لا) في الأبيات  
بمعنى (إذا) الشرطية، وتدلي المخيلة تسكب مطرها.

والتخيل الذي ذكر في الأبيات المتقدمة هو ما يسميه العرب  
الشيم، قال في مختار الصحاح: (شام البرق نظر إلى سحابته  
أين تمطر)، وفيه يقول امرؤ القيس في معلقته:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل  
يضيء سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المقتل  
على قطن بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيذبّل

بالشيم أي بالحدس والتوقع والتخيل، فقد شام الغيث  
ممتداً من جبل قطن يميناً إلى الستار ويذبّل يساراً، ثم تخيل  
نزول ذلك المطر على تلك المواضع، ووصف سيوله المتدفقة  
من موضع إلى آخر فقال:

فأضحى يسح الماء حول كثيفة  
يكبُّ على الأذقان دوح الكنهيل  
ومرَّ على القنان من نفائه  
فأنزك منه العصم من كل منزل  
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة  
ولا أطمأ إلا مشيداً بجندك



وشبيه بوصف السيل عند امرئ القيس ما يرد في قصائد الختان في المشقاص، حيث يُعدُّ وصف المطر والسيول مقطوعاً مهماً من تقاليد قصائد الختان القديمة، فيصفون السيول وهي تجري من موضع إلى آخر وصولاً إلى البحر. ويمكن الرجوع إليها في كتاب الأستاذ عبد الرحمن الملاحي عن قصائد الختان في المشقاص.

## ٥ - تخصيص يوم الخميس باللهو:

جاء في لسان العرب مادة (أنس): (وكانت العرب تسمي يوم الخميس مؤنساً؛ لأنهم كانوا يميلون فيه إلى الملاذ، قال الشاعر:

أؤملُ أن أعيش وأن يومي بأولٍ أو بأهونٍ أو جبارٍ  
أو التالي دُبار فإن يفتني فمؤنسٌ أو عروبةٌ أو شيارٍ

واستمرت عادة العرب هذه بتخصيص يوم الخميس المؤنس باللهو والملذات، ولما جاء الإسلام جعل يوم الجمعة عيداً للمسلمين، فارتبط الميل إلى الراحة واللهو في التراث الشعبي بليلة الجمعة، التي هي امتداد ليوم الخميس، فيخصونها ويذكرونها في أشعارهم، قال أحد الشعراء على صوت الكنبرة:

عندنا ليلة الجمعة خيار الليالي  
يذهب الهم عنك يصبح القلب سالي

ولهذه القصيدة قصة طريفة، فقد كان عددٌ من الشعراء يتساجلون على صوت الكنبرة في الريدة الشرقية، فقالت امرأة ميسورة الحال: من جاء بقصيدة أعجبتني سأعطيهِ قرشاً جائزة له، فقال أحدهم:

مالكُم ما بغيته لو ذهب ع يلاكي  
باشوف بالعين ما باشل شي في بُباني

قالت: ليست هذه. فقام شاعر آخر وقال:

مالكُم ما بغيته لو ذهب ع يلاكي

باشل من ذاك لي بيده طويلة في مالي

قالت: ليست هذه. فقام آخر وأتى بالقصيدة التي تذكر ليلة الجمعة وهي القصيدة المتقدمة، فقالت له: خذ القرش. فربما تكون هذه القصيدة نالت الجائزة والاستحسان؛ لأنها لمحت للمناسبة التي قيلت فيها، ونهت لها وهي ليلة الجمعة.

وهناك مصطلح آخر يصاحب الحديث عن المطر وهو التَّحْوِيل، وقول: (يا حَوَّلَ على مكان كذا وكذا، أو يا حَوَّلَ بالمطر والسيل ونحوها)، ومعناه الدعاء بالمطر والغيث على ذلك الموضع، وأما التخيل فهو التوقع كما سبق. وكان شاعرٌ يدعى بن قشفة الهزيلي منخلعاً عن قومه بأرض المهرة يصاحبه رجل من المناهيل، فرأوا وميض برق من بعيد فقال المنهالي:

حَوَّل ودَلَّت من تَو البواطن

يقصد أرض قومه رغم تركه لهم، فقام بن قشفة الهزيلي و(حَوَّلَ) على بلده طبق هزاول الواقعة شمال وادي عسد الجبل، رغم مغاضبته أهلها، فقال:

حَوَّل ع أرضي من زَيْد عادي فاطن

حول ع القطن والقاطن

القرع للقرع تلتاطن

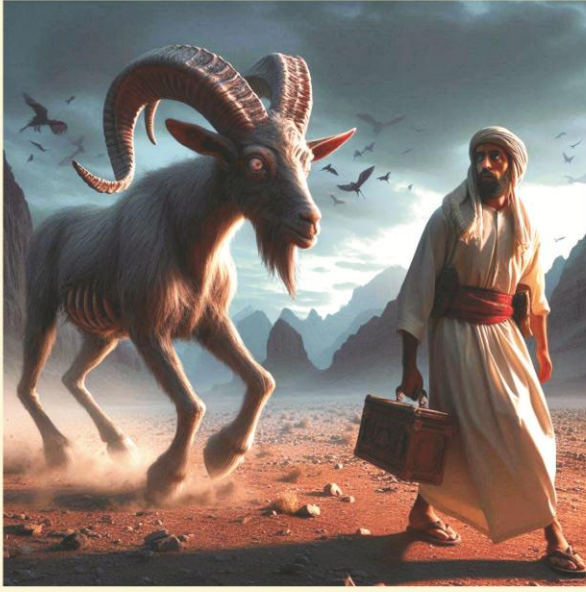
إن تقول سباعيات تختاطن

والصَيِّق ع تَعَجَّن ان تقول بنات ترَباطن

والحَجَم ملانات ولا تَغْتَاطن

يدعو بتوجه تلك السحب إلى بلده، ويؤكد أنه سيدعو لها دائماً ما دام يتذكرها ويحسُّ إليها، وخص واديين منها هما القطن والقاطن، ثم وصف السحب التي يرجو أن تساق إلى أرضه بأنها كثيفة يلتحم بعضها ببعض، مثل ما تخاط الفوط (السباعيات)، وبعدها وصف السيل وهو ينزل من المسيل (الصَيِّق) مُحْدَثاً دَوِيّاً لِقُوَّة جريانه، كأنه أصوات البنات ليلة الزفاف؛ إذ كانت عادتتهن رفع الصوت بالبكاء والولولة والنياحة،





## ٧- نجوم الظُّهر:

يقولون في اللهجة المحكية عند التهديد والوعيد بأنه سيُري فلاناً (نجوم الهَجْر) أي الهاجرة، ويخبرون عمن وقع في أمر شديد أنه رأى نجوم الهجر، فيجعلونها مضرب المثل في اشتداد الأمر، وهذا المثل منقول عن العرب؛ فقد كانوا يقولون في من اشتد عليه الأمر: (رأى الكوكب ظُهرًا)، وكأنهم يقصدون أن النهار أظلم عليه، فرأى الكواكب في وقت الظهر، قال النابغة الجعدي:

أَرَحْنَا مَعْدًا مِنْ شَرِّ أَحِيلَ بَعْدَ مَا  
أَرَاكَهَا مَعَ الصُّبْحِ الْكَوَاكِبَ مَظْهَرًا

يقصد شراحيل الجعفي، وهو فارس من حضر موت، اشتهر بكثرة الغارات، وهو أبعد الناس غارة كما ذكر المؤرخ علوي بن طاهر الحداد في الشامل ص ٢٤٣.

وفي هذا البيت يفتخر النابغة الجعدي بأنهم قتلوا شراحيل هذا فأراحوا معدًا من غاراته الكثيرة التي جعلتهم يرون نجوم الظهر. ويقول طرفة بن العبد متحدًا عن شدة الهجر والجفاء:

إِنْ تُنَوَّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ      وَتُرِيهِ النَجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

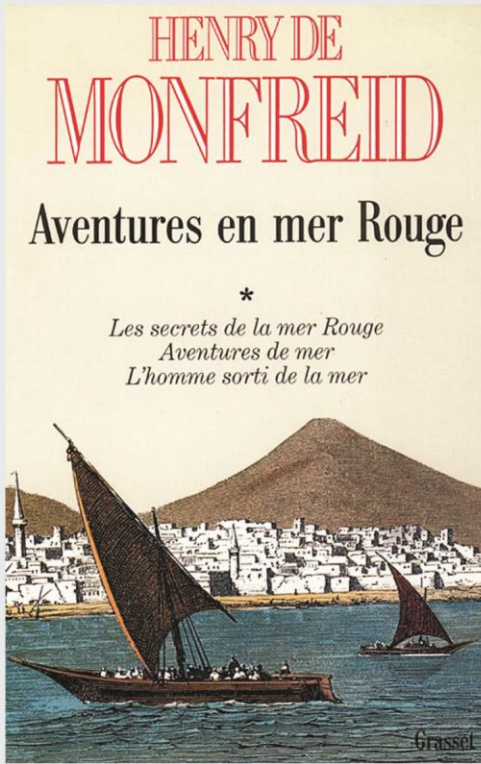
فهذه عادات واعتقادات كانت سائدة ورائجة في الثقافة الشعبية، وتلك جذورها الممتدة في عمق الحضارة العربية القديمة.

## ٦- الغُول (المَصْطَخَرُ):

يروون في التراث الشعبي كثيرًا من القصص عن ملاقاتهم للمصطخر أو الغاوون كما يسمى أحيانًا، وأنه يظهر للمسافر وحيدًا في الأماكن البعيدة والأرض الخلاء، فيتشكّل له في عدة صور بقصد إخافته وإضلاله عن الطريق دون أن يلحق الأذى بأي شخص يقابله، ويتلاشى ويذهب إذا كشف أمره، ولذلك لا يخافونه ولا يخوفون به، ومن رواياتهم أن رجلاً كان يمشي من بلدة إلى أخرى وفي أثناء الطريق رأى كبشًا صغيرًا تائهًا فحمّله، وحينما هو يمشي به إذ أحسّ به يثقل شيئًا فشيئًا، وإذ رجلاه تخطان في الأرض، وقد انقلب حمارًا فركب عليه، ثم استحال كبشًا، فزجره الرجل وذهب. وكما يظهر للمسافر في البرّ فإنه يترأى لمن يعمل في البحر، فيروونه في الليل ضوء سفينته قادمة باتجاههم، فيبعد ذلك الضوء ويقترب ولكن لا يصل إليهم، وأطلقوا على هذا اسم المصطخر من السخرية والاستهزاء أو السُخرة والعمل بلا طائل أو فائدة. وحكاياته تماثل ما يرويه العرب عما يسمونه الغول، وقد جاء في لسان العرب مادة (غول): (قال ابن الأثير: الغول أحد الغيلان، وهي جنس من الشياطين والجن، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتغول تغولًا، أي تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله، وقيل قوله: (لا غول) ليس نفيًا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة... والذي هو أصح في تفسير قوله: (لا غول) ما قال عمر رضي الله عنه: إن أحدًا لا يستطيع أن يتحوّل عن صورته التي خلق عليها ولكن لهم سحرة كسحر تكم). ويمكن أن يحمل ما يروى عن المصطخر أو الغول على هذا الباب. وفي ذكر الغول وتلونها يقول كعب بن زهير في البردة:

فما تدوم على حال تكونُ بها      كما تَلَوْنُ في أثوابها الغُولُ  
والتلون الظهور في صور مختلفة.





# الخصي وطريق الرقيق

تأليف هنري دي موفريد\*



ترجمة: أ.د. مسعود سعيد أمشوش

مصائباً بالفعل على ظهره، فقد حمل والدي نصف حمولته  
للتخفيف عنه. ثم وصلنا بلاد شوا، فوق تلك الهضاب العالية  
حيث الليالي باردة.

وفي صباح أحد الأيام، حين كنا نتدفأ في الشمس قبل استئناف  
رحلتنا، وصلت مجموعة من عبيد شانكالا، محملة بجميع  
أمتعة زعيمها الحبشي الكبير. وكان عبيد ذلك الحبشي،  
والزعيم نفسه يعتقدون أن لهم الحق في فعل أي شيء، ونحن  
لا نجرؤ على الشكوى؛ لأن ذلك يكلف الفقراء المستعبدين  
غالياً. وأرادوا أن يأخذوا حميرنا لتحمل أثقالهم. إنه كذلك،  
للأسف! الاستعباد. جميع الشعوب التي خضعت للغزو، مثلنا،  
تخضع للسخرة إذا طلب منها قائد حبشي ذلك. ومع ذلك،  
فإن هذا الرئيس الذي مرّ ليس من مقاطعتنا، ومن الناحية  
القانونية، لا ينبغي أن يسألنا أي شيء. ولكن أين العدالة  
للضعفاء! أراد والدي أن يرفض تسليم حماره الذي كان مصائباً،  
فانقضّ عليه العبيد، وحين كان يدافع عن نفسه قام الأبحاش  
بطعنه بجنبية، ورأيته يتدحرج بعيداً، وقد تحطّم رأسه بضربة  
من مؤخرة بندقيته.

مملوءٌ بكمّ كبير من الصور المثيرة، أمضيت جزءاً من الليل  
في الاستماع للراوي الحبشي وهو يتابع قصته. وأترجم هنا  
بأمانة، وبقدر ما تسمح به ذاكرتي ما قاله: "رأيت للمرة  
الأخيرة الكوخ الدائري، وأمي التي كانت تسحق الحبوب  
على الحجر المسطح... وشاهدت نار الأغصان الشائكة،  
تلمع وتضيء بطون الأبقار، بينما تنضج البودينا على النار.  
فبعد انتهاء موسم الأمطار قرر والدي أن يأخذني معه إلى  
أنكوب مع حمارنا المحمل بقربتين من الزبدة؛ كان ذلك كل  
دخل السنة؛ وكان من المقرر استخدام ثمنه لشراء الأقمشة  
القطنية لكسوتنا.

وكنت سعيداً عندما غادرت؛ لأنني لم أكن أعلم أنني سأترك  
الحفا إلى الأبد. واستمرت الرحلة لأكثر من شهر، كنا نسير  
لفترة طويلة: مررنا بالجبال والأنهار. وبما أن حمارنا كان





ثم تم أخذي بعيداً، وأجبروني على قيادة حمارنا المسكين، محملاً بحمولة ثقيلة. كان بإمكانني أن أهرب، لكن إلى أين أذهب في هذا البلد المجهول بعد وفاة والدي؟ وبعد ذلك تمنيت فقط أن يتم إراحة حماري عندما أصل إلى وجهتي.

وفي اليوم الثاني أصبح الحيوان المسكين منهكاً، وترك على حافة

المسار، حيث ستأكله الضباع هذه الليلة؛ لأن هذه هي الطريقة التي يجب أن تنتهي بها الحيوانات، التي لم تعد لديها القوة للعمل.

وكان عليّ أن أسير بين العبيد الآخرين وأتبع الزعيم. ولم أنعرض لسوء المعاملة. وبعد عدة أيام وصلنا إلى منزل سيدي الجديد. وبما أنني كنت أتناول الطعام دائماً في منزل ذلك الزعيم، فقد قررت أن أستسلم لمصيري. واعتدت على حياتي الجديدة، التي لم تختلف كثيراً عن تلك التي عشتها في البلد الذي وُلدت فيه.

ومرّت السنوات رتيبة. لقد أصبحت شاباً قادراً على حمل الخشب. وكان السيد الذي وضعه القدر معه عبداً حبشياً كبيراً في السن، وكان أطفاله الصغار يعيشون معي كما لو كنت أخاً لهم. وذات يوم اتصل بي سيدي، وكان بجانبه رجل ليس من البلاد. وكان بغله ينتظر عند الباب، ويحمل أكياس الهواء الكبيرة، المعلقة على جانبي السرج. وتحدث معي سيدي بلطف بهذه الكلمات:

"لقد بعت بندقية لهذا الرجل الذي هو صديقي، لكن ليس لديه الآن المال ليدفعه لي. وأمرّك أن تتبعه حاملاً البندقية التي بعته؛ وعندما يعطيك المائة نالار فإنك سترجع بها. وفي هذه الأثناء كنّ خادماً له كما لو كان سيّدك.

وغادرت وأنا سعيدة برؤية بلدان جديدة. ومررنا بطرق شديدة الانحدار، وكان عليّ أن أركض باستمرار للحاق بالبغل الذي كان سريعاً. وكان سيدي، أثناء مروره عبر القرى، يضع لي دائماً براعم ساخنة مع اللبن الرائب ويعطيني كل ما أستطيع تناوله. في هذه الظروف، يمكنك الركض طوال اليوم وليس لديك الحق في تقديم أي شكوى.

وبعد عدة أيام وصلنا إلى بلدة صغيرة، مبنية بالكامل من الطين، وبيوتها مربعة، وذات أسطح مستوية. وكانت جائمة مثل عشب النسر على قمة جبل، ومحاطة بالصخور الشديدة. وصعدنا إلى هناك عن طريق درج محفور في الحجر. وكانت النساء اللاتي مررنا بهن يرتدين فساتين بنية فضفاضة للغاية؛ كانت بشرتهن فاتحة اللون، وجوههن محاطة بشعر كبير متفخ، مثبت بشبكة دقيقة جداً. كنا مع عائلة أرجوبا؛ هذه كانت بلد سيدي.

وأعجبت بهذه البيوت الحجرية، التي كان بداخلها على جدرانها المطلية بالبياض الزخارف، وجميع أنواع الأواني الخزفية والخشبية، التي لم أكن أعلم باستخدامها. لقد جاءت عائلة أرجوبا إلى هنا من بلاد بعيدة جداً في شمال الحبشة، ولم يحافظ على لغة أجدادهم إلا كبار السن والسحرة. ومنهم من ذهب بعيداً جداً ووصل إلى بلاد جالا، وعادة يعيشون في



عشائر صغيرة، متجمعة في قرى محصنة، مثل تلك التي كنا فيها، وتقع دائماً على قمم التلال. وهناك يجمعون العبيد فينتظرون إلى حين شحنهم بالقوافل إلى البحر عبر صحاري الدناكالة، التي يعرفون جميع القبائل فيها.

وفي ذلك الوقت، لم أكن أعرف كل هذا، وكنت بسذاجتي لا أزال أنتظر المائة ثالار لأوصلها إلى سيدي الحبشي. ولم أجروء على سؤال الرجل الذي أحضرني، لأنه بدا وكأنه زعيم هذه القرية؛ إذ قبل الجميع يده، وأطلقوا عليه اسم الشيخ عمر.

وبعد وصولي ببضعة أيام، وحين كان جميع الرجال قد ذهبوا للعمل في السهل، تم إحضاري مع يوسف الصغير (هذا هو اسم الطفل الذي أخذناه ذات ليلة من قرية العروسي) إلى منزل منعزل وسط حي مدمر. وفي غرفة مظلمة للغاية، بلانوافذ، كان هناك رجل عجوز يجلس أمام كومة من أوراق القات، كان يدقها بكانون الهاون الخشبية؛ لأنه لم يعد لديه أسنان. وكان هناك رجال آخرون يجلسون في الجزء الخلفي من الكوة، وكان أحدهم رجلاً عجوزاً؛ لكننا نكاد نستطيع رؤيتهم بسبب ضوء النهار القليل، المسموح به عبر الباب المنخفض.

ثم جعلونا، أنا ويوسف، عراً تماماً، وأجبرونا على الاقتراب من الرجل العجوز الذي قام بفحصنا وهو يتلو مسيحته. وتحدث بلغة العرقية مع الشيخ عمر، ثم تحدث معي بلغة بلدي، وسألني إذا كنت أعرف النساء. كنت في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمري في ذلك الوقت، ولم أكن قد بلغت سن البلوغ، ولكن أثناء نومي بين العبيد في منزل سيدي الحبشي الأول، علمتني نساء الشانكالا الألعاب التي يتم لعبها في الليل. لذا، على سبيل التفاخر، أجبت: "نعم" بنبرة واثقة. وتحسّس الساحر العجوز، -لأنه كان واحداً منهم-، جسمي بدقة ليرى ما إذا كنت لا أكذب. ثم نطق بوضع كلمات، بنبرة مستاءة، وتم إعادتي إلى المنزل في الفور.

لقد عدت وحيداً ومضطرباً بعض الشيء من هذا الاستجواب، الذي لم أفهم غرضه. وفي اليوم التالي، لم أر يوسف الصغير، وعندما سألت النساء عما حدث له، أخبرني أنه مريض. ومنذ ذلك المساء، عوملت بقسوة أكبر، وتم إرسالني للقيام بالعمل الصعب، المتمثل في جمع الأخشاب مع العبيد الآخرين من جميع الأجناس. كان هناك خمسة عشر أو عشرون منهم لا أعرفهم، وكان المسلحون يتبعوننا دائماً عندما نخرج من القرية.

وأدركت بعد ذلك أن قصة البندقية والثالارات لم تكن سوى خدعة لإبعادي. وكررت في نفسي جملة الحبشي العجوز الغامضة: سوف تعود عندما يعطيك مائة ثالار، وللأسف! لقد أصبحت الآن على يقين تام أنه لن يعطيني إياها أبداً، وبدالي وضعي حزيناً جداً؛ لأنني أصبحت عبداً مثل كل هؤلاء الشنكالا بوجوه المتوحشين!...

وأخبرني هؤلاء الرفاق أننا سنغادر قريباً إلى بلد آخر، بعيداً جداً، على الجانب الآخر من نهر كبير، من المياه المالحة، واسع جداً، بحيث لا تستطيع الطيور الموجودة على أحد الجانبين أن تعشش على الجانب الآخر.

وبدأت أتوقف عن التفكير في رفيقي الصغير يوسف، فقد مرت عدة أعمار دون أن أسمع عنه، ولم يستطع أحد أن يجيب عن أسئلتي.

وفي أحد الأيام، أثناء عودتي من العمل في بساتين قهوة السيد، فوجئت بيوسف جالساً على جلد ثور في مكان الشرف في منزلنا. لقد شعرت بسعادة غامرة، وتفاجأت بمدى زيادة وزنه. وكم أصبحت بشرته فاتحة. فسألته ماذا حدث له خلال هذه الأشهر الثلاثة. فأجاب بأنه كان مريضاً، لكن كلامه كان محرجاً للغاية لدرجة أنني فهمت أنه يخفي شيئاً عني. وبعد الضغط عليه بالأسئلة، انفجر في البكاء، واعترف لي بأنه قد تم إخصاؤه في اليوم التالي الذي تركته فيه مع الساحر القديم.





بعد ذلك لمدة يومين بفعل النباتات المخدرة. ولو استيقظ قبل ذلك سيموت في غضون ثلاثة أيام.

وكان والديوسف قد باع ابنه وهو يعلم جيداً ما سيفعلون بنا. وكان عليه أن يفعل ذلك؛ ولهذا السبب حصل على مبلغ كبير من المال.

وغادرنا بعد فترة وجيزة مع قافلة يقودها الدناكلة، الذين قادونا عبر سهول عواشة المعشبة، ومستنقعات أوسا، ثم في جبال مابلا شديدة الانحدار، وأخيراً وصلنا، منهكين من التعب، إلى قرية على حافة البحر أراها لأول مرة. كانت تلك هي تاجورة. وبقيتنا في المعسكر لعدة أسابيع في واحة نخيل التمر، تحتها، حرارة شديدة، لكننا كنا مغدقين بالحليب واللحم والزبدة؛ لتجعلنا نستعيد قوتنا.

وأخيراً، في إحدى الليالي، تم نقلنا إلى شاطئ صغير منعزل، يقع بين منحدرين، حيث كان ينتظرنا قاربان صغيران، يقودهما عرب، ذوو بشرة فاتحة اللون. وبعد يومين من العبور، وصلنا إلى الأرض العربية، التي ستكون وطننا الجديد إلى الأبد، وهناك تابع الجميع مصيرهم مع سيدهم الجديد. بالنسبة لي أخذني نوخذة عربي يقود سامبوكا كبيراً من المكلا. وكان طاقمه يضم خمسين فرداً، جميعهم من العبيد السودانيين، وتعلّمت معهم الغوص والبحارة والتجارة.

\*المصدر:

-Henri de Monfreid, Aventure en Mer Rouge, 225-232

وأراني ما حدث له: لا شيء أكثر من ذلك. لقد أصبح مثل المرأة. ورأيت ندبة وردية على شكل نصف قمر... وبقيت متحجراً، وشعرت بقشعريرة وأنا أفكر فيما لو أنني لو اعترفت بأنني كنت عذراء.. لا شك في أنني سأكون مثله الآن. - وهل كان مؤلماً؟ سألته.

- لا، لأنني لم أكن أعرف ما الذي حدث لي. لقد سكرني أولاً بشراب مرّ، ثم بدخان عشب. وعندما استيقظت كنت أشعر بألم في أسفل بطني وفخذي، وكأنني تعرضت للضرب. لكن يدي وقدمي كانت مقيدات، وكانت هناك امرأة تقف بالقرب مني، منعني من رفع رأسي لأرى المكان الذي جعلني أتألم. وجاء الرجل العجوز، وأعطاني الأعشاب المطحونة حيث كنت أتألم.

وكنت عطشاناً، وصرخت لأطلب شيئاً لأشربه، لكنهم لم يعطوني أي شيء. عندما أردت التبول لم أستطع، ومع ذلك كنت أتحمل التعذيب، وكان معدتي ستنفجر. لذا، بعد التبول، ذهبت المرأة التي بقيت بجواري دائماً لإحضار الساحر. في تلك اللحظة أدركت ما حدث لي. أزال وتد خشبياً، وتمكّنت في الفور من قضاء حاجتي. لقد فهمت ما حدث لي. لقد أزال خصيتي.

وبعد ذلك الوقت، تم إطعامي بالعلس واللحم النيئ، الذي كان يفرض عليّ. ولمدة شهر، بقيت ركبتي مقيدتين لمنعي من المشي. لا أستطع التبول إلا مرة واحدة في اليوم، بسبب هذا القرص المغطى بالزبدة، والذي كان يترك دائماً في مكانه حتى تُفك ساقي لتغيير الأعشاب، وفي كل مرة كنت أضع هذا الوتد الخشبي الرهيب بعد ذلك في الزبدة الساخنة. وهذا ما جعلني أعاني أكثر في الأيام الأولى.

والآن شُفيت ولم أعد أفكر في أي شيء. كل ما أفعله الذهاب دائماً إلى السرير والنوم. وعلمت لاحقاً أن هذه الأمور تتم بشكل شائع، وتتم تحت حراسة. لا أحد يحضر. وينام المريض

# مناطق حضرموت غير المكتشفة

للكاتب والمبشر والرحالة الأميركي صمويل مارينوس زويمر



من كتاب جنوب الجزيرة العربية: مهد الإسلام ص ٧٢-٧٧  
"وهم يمشون عباب البحر بأقصى رأس الرجاء الصالح  
بعد أن يمشوا على موزمبيق تهب على البحارة نسائم  
شمالية شرقية من الشاطئ العطري محملة بعطور سبئية  
من البقعة المباركة في الأرض العربية"  
- ميلتون

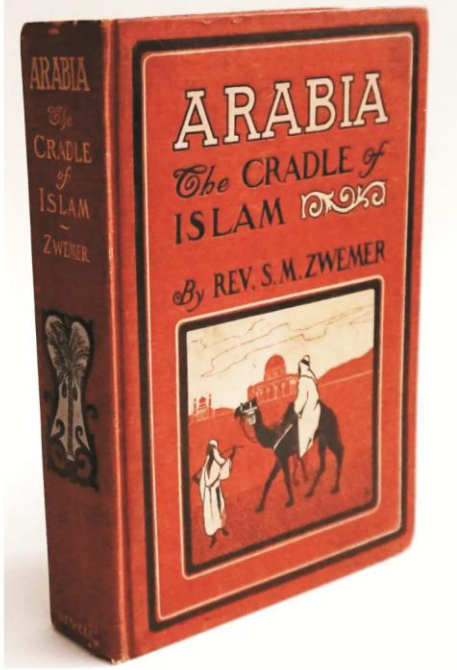


د. عبدالله الفلق

أبحر أدولف فون ريد من عدن إلى المكلا، ومن ثم نفذ إلى  
الداخل حتى وادي دوعن، أكثر المناطق خصوبة في جنوب  
الجزيرة العربية، حيث يجري هذا الوادي شمالاً عبر أرض  
بني عيسى، ويحدّه غرباً بلاد الحسن، وتحدّه شرقاً بلاد  
الحموم. ولكن ما مدى امتداد هذا الإقليم شمالاً؟ وما إذا  
كانت الصحراء الرملية المعروفة بالأحفاف (الرمال السريعة)  
تبدأ فعلياً من وادي رخية، وهو فرع من وادي دوعن، فهذه  
مواقع لم يسلط عليها الضوء فون ريد وما تزال غامضة. في عام  
١٨٧٠م، قام اليهودي الفرنسي جوزيف هالفي بمحاولة جريئة  
لاختراق حضرموت من اليمن. منذ ذلك الحين، لم نعرف  
الكثير عن حضرموت حتى عام ١٨٩٣م عندما زار ثيودور  
بينت (Theodore Bent) وزوجته مدينة شبام، مقر إقامة  
أقوى سلاطين حضرموت، وفي عام ١٨٩٧م، قاما برحلة ثانية  
إلى المنطقة نفسها، والتي كلفت السيد بينت صحته وأفنت  
حياته. نقتبس بعض فقرات من وصف هذه الرحلات التي

أقل ما يجب علينا أن نلقي نظرة على الإقليم المجهول  
تقريباً، والذي يسمى حضرموت<sup>(١)</sup>، وهو شريط من  
الأراضي الممتدة بين الصحراء العظمى والبحر، من عدن  
شرقاً حتى عمان. تكاد معرفتنا تكون داخل هذا الإقليم  
مجهولة تماماً، إلى أن سلط عليه الضوء الرحالة المغامر  
أيه. فون ريد في عام ١٨٤٣م. فالساحل معروف نسبياً، في الأقل  
مدینتا المكلا والشحر، حيث ترتفع الأرض على الساحل  
بسلسلة من المدرجات حتى جبل الحمراء (٥٢٨٤ قدم)،  
الذي يرتبط في الشمال الشرقي مع جبل داهور، الذي يزيد  
ارتفاعه على ٨٠٠٠ قدم.





حيث لا يزال الكثير من أشجار المر، ولا يزال يستخرج بسبب مادته العطرية؛ ولكن أشجار اللبان، رأينا فقط عينة واحدة على الهضبة؛ لأن ثروة هذا البلد قد اختفت بشكل مستمر على مر العصور، ولكن بعيداً في الشرق في بلاد المهرة لا تزال أعداد كثيرة توجد من أشجار اللبان هناك، على ما أعرف.

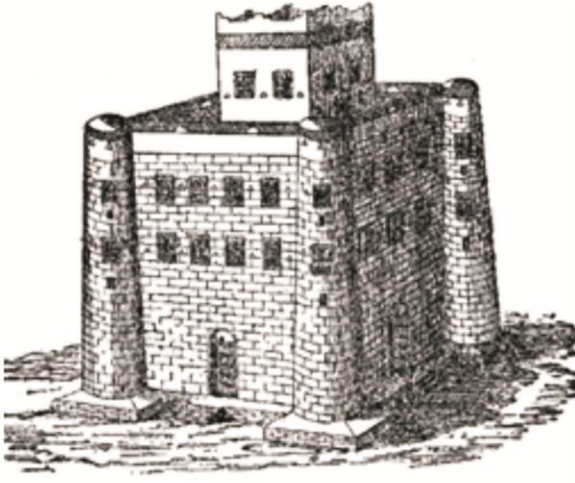
"بالقرب من الهجرين، لا تزال هناك عدد من آثار العصور القديمة عندما ازدهرت تجارة اللبان، وعندما كانت مدينة دوعن، والتي لا يزال اسمها محفوظاً في وادي دوعن، مركزاً تجارياً كبيراً لهذه التجارة. تمتد مساحات شاسعة من الأطلال على طول الوادي هنا، تعود إلى القرون التي تسبق بداية عصرنا، تطل رؤوس هذه الأطلال فوق الرمال، التي تغطيها وتغزو وتسحق المجد السابق لهذه المنطقة. تمتلئ الأرض بقطع النقوش الحميرية والفخار المكسرة والمتناثرة وغيرها من الدلائل على كنز وفير لعمال الحفريات، ولكن عداء قبيلة آل نهدي منعنا من زيارة هذه الأطلال سوى زيارة عابرة، وحتى للوصول فقط كان علينا أن ندفع لشيخ هذه المنطقة تسعة عشر دولاراً؛ وكانت تحيته مشؤمة، وهو يتمتم بغضب قائلاً: "سلام على جميع المؤمنين بأن محمداً هو النبي الحقيقي".

تبين بوضوح الطابع المثير للاهتمام لهذا البلد الذي يكاد يكون مجهولاً<sup>(٢)</sup>.

"مباشرة خلف المكلا، ترتفع جبال قاحلة قاتمة، ذات لون أحمر، والمدينة ملتصقة بهذه الخلفية الداكنة. على الشاطئ، كما لو كانت فناراً، تنتصب مئذنة المسجد البيضاء، وجدرانها، وقممها مغطاة بأسراب كثيفة من طيور البحر والحمام؛ وليس بعيداً من ذلك، يقع القصر الكبير الذي يقطنه السلطان، حيث يذكرنا بالمطحنة المكسوة بالجير الأبيض حاجز شبكي شبيه الدانتيل؛ الأبيض والأحمر والبنّي هي الألوان السائدة في المدينة، وفي الميناء، تتمايل السفن الشراعية العربية الجميلة هنا وهناك في مياه البحر المتحركة، مشكلاً مشهداً فائتاً ونادراً".

"اسمياً، يحكم المكلا سلطان من عائلة القعيطي، وكان ارتباطهم بالهند جعلهم أشبه بالإنجليز بشكل كبير في تعاطفهم، حيث المظهر العام لجلالة السلطان عند ارتداء سترته المخملية، والخنجر المرصع بالجواهر، أشبه بالهنود أكثر من أنه عربي. في الواقع، الأشخاص الأكثر تأثيراً في مدينة المكلا هم البارسيون الجشعون من بومباي، وتعتبر المدينة بشكل أساسي إحدى المراكز التجارية، حيث تنتشر مجموعة من اللهجات الهندية بنفس القدر إلى جانب اللغة العربية تقريباً. ترتبت إقامتنا فيما يُسمى بقصر قريب جداً من السوق، حيث كانت تفوح منه روائح غامضة وكان مليئاً بالذباب؛ لذلك عملنا على إتمام تحضيراتنا وإنهاء إقامتنا في هذا المكان الملتهب وغير المواتي بأقصر وقت ممكن...

"تاركين وراءنا هذه القرى، صعدنا بسرعة أعلى وأعلى، حتى وصلنا عند ارتفاع يزيد على ٥٠٠٠ قدم، فوجدنا أنفسنا على هضبة واسعة، تمتد بكل اتجاه قدر ما يمكن للعين رؤيته تفصل حضر موت عن الساحل. هذه هي "القمة العالية"، التي ذكرها أكبر المؤرخين الرومان بلينيوس؛ توجد هنا المنطقة الشاسعة، حيث ازدهرت أشجار اللبان وأشجار المر،



إحدى القلاع في حضرموت

مرتفعة في أضييق مكان في الوادي، بحيث لا يمكن لأحد أن يمر بينها وبين المنحدر الصخري للوادي بعيداً عن مدى إطلاق النار من الأسوار. تكونت هذه الأرض المرتفعة، بدون شك، عبر أجيال متعددة من المدن المبنية من الطوب المجفف بأشعة الشمس، فهي المكان الاستراتيجي الأفضل في المنطقة المحيطة. يخبرنا الكتاب العرب الأوائل أن سكان هذه المنطقة من الحميريين، جاءوا هنا في بداية عصرنا عندما تخلوا عن عاصمتهم في سابوتا أو شبوة، في أعلى الوادي، ولكننا وجدنا آثاراً واضحة على وجود استيطان أسبق من ذلك - نقش وخاتم، محفور عليه اسم "شيام"، والذي لا يمكن أن يكون بعد القرن الثالث قبل الميلاد. وكنقطة لتجميع القوافل التي تنطلق من منطقة إنتاج اللبان، لقد كانت شيام دائماً مهمة جداً".

"تظهر مدينة شيام مظهر أفضولياً عند اقترابك منها؛ فوق أسوارها الطينية، التي تحتوي على حصون وأبراج مراقبة، تظهر بيوت الأغنياء، بيوتاً مرتفعة مطلية بماء الكلس الأبيض، مما يجعلها تبدو مثل كعكة كبيرة مغطاة بالسكر. خارج الأسوار تتم ممارسة عدد من الصناعات، وأهمها صناعة الصبغة الزرقاء. تُجفف الأوراق الصغيرة في الشمس ثم تُطحن، ثم تُوضع في جرار ضخمة - تذكرنا بالأربعين حرامي - مليئة بالماء. في اليوم التالي، تُخلط بعصي طويلة، مما ينتج مزيجاً رغوياً

"في منطقة عسب، لم يسمحوا لنا أن نملأ أو انينا من بئرهم، ولا أن نتناول طعامنا في ظل مسجدهم. حتى نساء هذه القرية جرأن على إهانتنا، إذ كنَّ يختلسن النظر إلى خيمتنا ليلاً، ويتعثرن على الأشخاص بطريقة تزيد مشقة الساكنين المرهقين فيها.

"انتهت مشاكلنا في هذا الشأن لحسن الحظ في حورة، حيث توجد قلعة ضخمة، تابعة لعائلة القيعطي، تملأ قرية متواضعة محاطة ببساتين النخيل. بدون صور لتدعم كلامي، لا أكاد أستطيع وصف روعة هذه القلاع في حضرموت. تتألف القلعة في حورة من سبعة طوابق، مبنية على مساحة فدان كامل من الأرض، تحت منحدر صخري خنفي الشكل، وبها أسوار بها فتحات دفاعية وأبراج تُشبه بشكل لافت قلعة هولوي روود (Holyrood)، غير أن هولوي روود مبنية من الحجر، في حين أن القلعة في حورة مبنية من الطوب المجفف بالشمس باستثناء الطابق الأول، ولو كانت حورة تقع في مكان هولوي روود أو في أي بلد آخر غير الجزيرة العربية الجافة والقاحلة، لاختفت منذ زمن بعيد...

"أحد أبرز ملامح هذه القصور العربية هو نحت الخشب. تُزين الأبواب بعناية فائقة، وبزخارف دقيقة، ونصوص من القرآن محفور على العتبة. الأقفال والمفاتيح مصنوعة من الخشب، وتشكل دراسة لفن النحت، تماماً كذلك الخزائن والمحاريب والأعمدة والنوافذ، التي تُزين بأعمال نحت معقدة بدلاً من الزجاج. توجد غرف السكن في الطوابق العليا، في حين يُستخدم الطابق الأرضي حصرياً للتجارة، والطابق الأول للخدم".

بالنسبة للمدينة الرئيسة في داخل حضرموت، يكتب السيد بينت كما يأتي:

"ثم أرسلنا بعد ذلك للإقامة خمسة أيام إضافية في عاصمته بمدينة شيام، التي تبعد ١٢ ميلاً عن القطن، وهي إحدى المدن الرئيسة في وادي حضرموت. شيام مبنية على أرض





٩٩

**لا أكاد أستطيع وصف روعة هذه القلاع  
في حضرموت. تتألف القلعة في حورة  
من سبعة طوابق، مبنية على مساحة  
فدان كامل من الأرض، تحت منحدر صخري  
خنفسي الشكل، وبها أسوار بها فتحات  
دفاعية وأبراج تشبه بشكل لافت قلعة  
هولي روود (Holyrood)، غير أن هولي روود  
مبنية من الحجر، في حين أن القلعة  
في حورة مبنية من الطوب المجفف  
بالشمس باستثناء الطابق الأول**

٦٦

وقد كان وصفه لحضرموت مجموعة نصوص، استند فيها على ما قيل إلى ألسنة المهاجرين العرب، ولكن اعتمد في وصف تصرفات الناس وعاداتهم وخصوصياتهم الدينية على ملاحظاته الشخصية. بصفة عامة، على الرغم من الاختلافات الجغرافية الطفيفة، فقد كان أفضل كتاب عن جنوب الجزيرة العربية، ويروي قصة الإسلام في الأرخبيل الهولندي كما هو عليه اليوم. لقد كان العرب دائماً شعباً قوياً في الاستعمار، ولكن الجدير بالذكر أن تأثير حضرموت على جاوه وسومطره اليوم ليس أقل من تأثير عُمان على زنجبار وشرق أفريقيا في القرن الماضي، وحتى حضرموت لن تبقى في طي النسيان ودون اكتشاف، وإن لموطن البخور في العصور القديمة مستقبلاً أمامه كما كان له ماضٍ مجيد.

(١) حضرموت هو اسم قديم جداً لهذه المنطقة. لم يذكر بطليموس هنا فقط حضرموت "الأدريتا" في جغرافيته، بل لاشك في أن حضرموت متطابقة مع "حزرموت" المذكورة في الفصل العاشر من سفر التكوين.

(٢) "حضرموت: رحلة" بقلم ثيودور بينت. القرن التاسع عشر، سبتمبر ١٨٩٤م. بالإضافة إلى "بلدان يافع وفضل" للسيدة بنت. مجلة الجغرافيا، يوليو ١٨٩٨م.

(٣) حضرموت والمستوطنات العربية في الأرخبيل الهندي، إل دبليو سي فاندين بيرغ. باتافيا، ١٨٨٦م، بأمر من الحكومة.

أزرق داكناً؛ يترك للترسب، ثم تؤخذ الصبغة الزرقاء من القاع وتوضع على الأقمشة للتصريف. تؤخذ المادة المستخلصة وتخلط مع التمرور والملح الصخري. تُستخدم أربعة أرتال من هذه الصبغة لكل جالون من الماء كصبغة ضرورية ومستخدمة عالمياً للملابس، إذ يُصقل النوع الجيد من هذه الملابس بضررها بمطارق خشبية على الحجارة".

أما بالنسبة لمدينة الشحر الساحلية وحاكمها، يقول السيد بينت: "الشحر مدينة كروية على البحر، محاطة بصحراء رملية، وقد كانت الميناء الرئيس التجاري لوادي حضرموت في الماضي، ولكن الآن، حلت مكانها مدينة المكلا؛ إذ أصبحت الشحر مجرد مرسى مفتوح، وتتساقط مبانيها إلى أطلال. يحكم هنا غالباً، الابن الأكبر، ووريث عائلة القعيطي الرئيسة، كوصي على عرش والده، الذي يعمل في الهند كجمعدار أو قائد للقوات العربية، التي تتألف بشكل رئيس من الحضارم، في خدمة السلطان نظام حاكم حيدر آباد. غالباً رجل أنيق بطراز شرقي، عاش حياة سريعة في الهند، لذا فكر والده في إرساله لحكم مدينة الشحر، حيث لا يتوقع الكثير من المتاعب مثلما يحدث في بمباي. يرتدي غالباً ملابس حريرية مختلفة - ذات اللون الأحمر الداكن، والسراويل الممتازة. تتلأأ سيوفه وخناجره بالأحجار الكريمة، ويتباهى بعضاً ذهبية في يده؛ ونظراً لشحة المياه في الشحر، فقد كان يرسل غسيله المتسخ على القوارب الشراعية إلى بمباي ليتم غسله\*.

كان ولا يزال تواصل الحضارم العرب مع جاوة أكثر منها مع الهند، فقد هاجرت مستوطنات كبيرة من الحضارم إلى الأرخبيل الهولندي قبل أكثر من قرن؛ وكان الزواج بين الجاويين والعرب شائعاً جداً؛ والمسلمون في الهند الشرقية الهولندية بالكامل على فكر حضرموت نفسه. أول من كشف النقاب عن هذه الحقائق المثيرة للاهتمام العالم الهولندي فاندين بيرغ (Vanden Berg) من خلال كتابه الشامل عن هذه المقاطعة في الجزيرة العربية ومستوطنات العرب في جاوة<sup>(٣)</sup>.



# السلام في حضر موت

دبليو. أتش. إنجرامز، أو. بي. إي

(٣ - ٣)

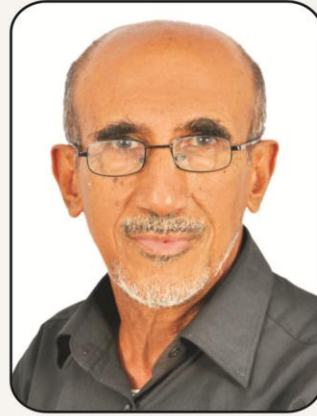


ترجمة: نجيب سعيد باوزير صورة: نجيب باوزير

هذه الأشهر الثمانية عشرة الأخيرة، ولا سيما خلال الشتاء الماضي، وصل عدد الزوار، الرسميين وغيرهم، إلى أكثر من مئة. بل إلى عدة مئات إن أخذنا في الحسبان زوار الأساطيل والسياح الذين لا يتجاوزون الساحل.

وهذا يعتبر في حد ذاته مفارقة كبيرة مع الماضي القريب، لكنني أظن أن الفارق الأكثر لفتاً لأنظار الزوار الذين عادوا إلى البلاد في العام الماضي هو حالة الأمان والهدوء النسبي التي تسود اليوم. منذ ما يزيد قليلاً عن العام كنت ترى كل قبيلي يحمل بندقية، وكان يتعين على المسافرين أن يصطحبوا معهم مرافقاً عند العبور من قرية إلى أخرى، أما الآن فأصبح من النادر أن ترى قبلياً حاملاً بندقية، ولم يعد ضرورياً وجود الحراس المرافقين.

أدت حالة الأمان هذه إلى إيجاد ارتباط أكثر بين القبائل وبين المناطق المختلفة من البلاد وسهلت الانتشار الواسع لوسائل الاتصال والتنقل. وأصبحت شاحنات نقل الركاب الآن تنطلق يومياً تقريباً بين الشحر والمكلا على طريق الكاف،



نجيب سعيد باوزير

عندما أعود بذاكرتي عبر الأشهر الثمانية عشرة الماضية أتعجب للاختلافات الكبيرة بين حضر موت سابقاً والآن، وهي اختلافات ربما تكون ملحوظة أكثر من أي تغييرات أخرى شهدتها البلاد طوال تاريخها. إن حضر موت كانت قد أصبحت قبل ثمانية عشر شهراً من المناطق المعروفة أكثر من غيرها في الجزيرة العربية، وقد كتب وقيل الكثير عنها. وشهدت عدداً كبيراً نسبياً من الزوار الأوروبيين، ولكن في





دبليو. أنتش. إنجرامز، أو.بي.إي

ترتبط معه من الجنوب، لأن الزراعة قليلة في الأودية التي تصل إليه من الشمال. ويتركز المستقبل المتوقع للساحل على التجارة والملاحة، ولكن هناك قدر معين من الزراعة، وأهم المناطق التي تتم فيها الزراعة هي ميفع وغيل باوزير. والناس في حضرموت مبادرون ويعتمد عليهم في تطوير البلاد. ويقدر عدد سكانها بحوالي مئتين وستين ألفاً، ومئة ألف يعيشون في الخارج، وكثير من هؤلاء غادروا البلاد بسبب انعدام الأمن. وهناك العديد من "الطبقات" المختلفة ويمكن العثور على أشخاص ليقوموا بأي وظيفة مطلوبة منهم دون أن يقلقوا نظام التابوهات الاجتماعية. وإذا أمكن جعل الدولة ليس فقط أكثر اكتفاءً ذاتياً من ناحية حاجاتها الغذائية، بل أيضاً جعلها منتجة لشيء من الموارد التي يمكن تصديرها، فسيستفيع من ذلك لا المزارعون فقط ولكن أيضاً البدو الذين هم في الوقت الحالي يعودون بجمالهم غير محملة إلى الساحل. لقد أرسلنا عينات من بذور القطن وزيت الخروع، التي تنمو غالباً طبيعياً في حضرموت دون ري، إلى إنجلترا لكي يتم فحصها وكانت النتائج مبشرة جداً. ولكن يلزم بالطبع أن يتم إجراء المزيد من الدراسة وبعض التجارب قبل أن تتخذ زراعتهم مصدراً للربح، لكنهما مساران ممكنان للتنمية،

وكان عدد السيارات في البلاد عندما غادرتها قبل ثلاثة أشهر ٢٠٠ على الأقل مقارنةً بـ ٦٠ أو ٧٠ قبل ثمانية عشر شهراً، وكانت كل سفينة تأتي معها ببعض السيارات القليلة. وقد تم إضافة ٥٠٠ من طرق السيارات، وتذهب السيارات الآن إلى جميع مناطق حضرموت تقريباً، غرباً إلى العبر وشرقاً إلى السوم وكذلك على امتداد تفرعات الأودية. وتقوم حكومة المكلا بإنشاء طريق سيارات آخر بمواصفات أفضل إلى حضرموت الداخل من المكلا إلى دوعن وشبام. وعندما غادرت في أبريل الماضي لم يكن قد تبقى على الانتهاء من إنشاء هذا الطريق سوى ستين ميلاً، والتي يقع الجزء الأكبر منه على الأحوال المستوية ولا يُتوقع صعوبات غير عادية في عملية الإنشاء.

قبل ثمانية عشر شهراً كانت هناك ثمانية مدارج هبوط في هذا الجزء من المحمية، أما الآن فيوجد سبعة عشر مدرج هبوط، وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من مدارج الهبوط هذه أنشئت بمبادرة السكان المحليين وأن جميع المدارج الجديدة تم إنشاؤها طوعياً من قبلهم دون أن تتحمل الحكومة أية نفقات. وقد طالب بعض الناس، مثل الصيعة والبدو العوامر في الشمال، بأن تبني مدارج هبوط بالقرب منهم.

هناك الآن رحلات جوية أسبوعية من عدن إلى المكلا وسيئون، في حين كان الاتصال مع البلاد يتم في السابق من خلال الزيارات القصيرة غير المنتظمة للسفن. ولم تتوافر من قبل خدمة بريدية أما الآن فيوجد مكتب بريد في المكلا ووكالات بريدية في الشحر وتريم وسيئون وشبام ودوعن. كما لم تكن توجد اتصالات لاسلكية، لكن الآن هناك خدمة تجارية مع المكلا والمواقع الحكومية في سيئون والعبر.

إن ازدهار وتطور البلاد بكاملها يجب أن يعتمد على التنمية الزراعية، والمنطقة التي يُعول عليها أكثر من غيرها في ذلك هي وادي حضرموت والأودية التابعة له، ولا سيما تلك التي



، إن الدعم السياسي الذي قدمته الحكومة البريطانية لأرض الوطن، أرض أجدادي الموقرين الذين كانوا حكاماً فيها لمئات السنين، لهو خدمة في غاية الأهمية، ودليل على الصداقة الفريدة والعلاقة المتينة القائمة بيني وبين مسؤولي الحكومة البريطانية. وإنني لأعرب عن سعادتي البالغة وامتناني الحار للجهود والأأيادي التي قدمها هؤلاء الرجال الأفاضل في سبيل حفظ السلام وإخماد الاضطرابات في هذا الإقليم ،

ولا يسعني إلا أن أكرر هذا الكلام بتأكيد أكثر بعد أن خبرتُ المنطقة خلال الستين الماضيتين. ومن خلال جميع الإنجاز الذي أشرت إليه يتبين أنني لم أكن لأقدر على أن أخطو خطوة واحدة بدون المساعدة والدعم اللذين قدموهما لي، وأنه لم يكن أي مشروع من مشاريع المساعدة التي اقترحتها ليسفر عن أية نتيجة بدون التأييد والعون اللذين تلقيتهما بلا حدود. ويجري النظر الآن في أعمال أخرى تخدم البلاد، وإن كان قد وجد في الماضي ولو قدر يسير من الواجهة في الاتهام بالتقصير تجاه من هم تحت حمايتنا فإننا الآن قد تخطينا ذلك اللوم تماماً. وأود أن أؤكد على الدور المفيد الذي يؤديه سلاح الجو الملكي في تطور المحمية. إن سلاح الجو الملكي الآن أكثر الزوار شعبية، ويرحب الناس دائماً بزياراتهم ويشعرون بكل الامتنان للخدمات التي يقدمها لهم أفراد هذا السلاح مثل إحضار الأطباء لمعالجة المرضى، وأخذ من يرغب في جولات على طائراتهم، وحمل الرسائل.

والآن بعد أن تم تعيين مسؤول زراعي أصبح من الممكن العثور على محاصيل جديدة لزراعتها بصورة ممنهجة. إن الماء هو الحاجة الرئيسية، ولكن هذه مسألة نأمل أن نببحثها أيضاً، وهناك كل الدلائل على احتمال وجود وفرة من المياه.

بالطبع ما تزال هناك الكثير من المشاريع التي يجب القيام بها من أجل البلاد، ولكنني أظن أن دراسات المتخصصين هي أكثر ما يمكن التعويل عليه لمساعدة السكان على تحقيق أفضل النتائج. وقد تم بالفعل البدء في ذلك، إذ أجرى الدكتور ستورم من البحرين مسحاً للجذام وقام السيد ماكسويل دارلينج بالتحقيق في مشكلة الجراد، وفي الشتاء الماضي كنا محظوظين بوجود جيولوجيين أمريكيين متمكنين للغاية قاموا بمسح رقعة شاسعة من المنطقة على الأرض ومسحوا البلاد كلها من الجو. وأخيراً، قبل بضعة أشهر طوّف السيد جريفيث، مدير معهد بخت الرضا في السودان، في البلاد لكي يقوم بدراسة الموارد التعليمية والاحتياجات المستقبلية، وسيكون تقريره ذا قيمة عظيمة. وكما قلت سابقاً، فإن الزراعة والمياه سوف يحظيان بالاهتمام وإنني آمل أن يتم إجراء مسح صحي قريباً والمزيد من الدعم الطبي.

فضلاً عن المسوحات النفعية التي نفذت خلال الشتاء الماضي، سعدنا بزيارة الأنسة ستارك، والأنسة كيتون ثومسون والأنسة جاردنر اللاتي من المتوقع أن تسفر أبحاثهن عن إلقاء الكثير من الضوء على تاريخ وجيولوجيا البلاد.

كما تشرّفنا بزيارة اللورد دوفرين، الوكيل البرلماني لوزارة الدولة لشؤون المستعمرات، الذي رافق السير بيرنارد رايلي عندما زار الحاكم حضر موت للمرة الثانية. وقد أمضيا يوماً في المكلا وقاما بزيارات قصيرة للشحر وسيئون، ولكنهما شاهداً أماكن كثيرة من البلاد من الجو.

كنت قبل عامين قد ذكرت في مقالة وجهتها إلى هذه الجمعية أن محمية عدن تمتلك ثلاثة مقومات مهمة: وزارة المستعمرات، وحاكم عدن، السير بيرنارد رايلي، وسلاح الجو الملكي،





دعا رئيس الجلسة الأنسة كيتون ثومبسون إلى المشاركة في المناقشة.

- **الأنسة كيتون ثومبسون:** يسرني جداً أن تتاح لي هذه الفرصة لإضافة شهادتي عن قيمة العمل الذي يقوم به السيد إنجرامز في حضر موت. إنه لأمر رائع أن تكون مشاركاً في بداية أية تجربة، وأنا كنت محظوظة لأبعد حد لمشاركتي في بداية تجربتين، إدارية وأثرية، وبأن أكون عابرة سبيل وأجنبية بحثت أحظى بفرصة رؤية المقدار الكبير الذي تم إنجازه خلال فترة قصيرة. قبل ثلاث أو أربع سنوات أو أكثر، كانت حضر موت بلاداً صعبة وخطيرة لمن ينوي السفر إليها. وأول رحلتين ذهبا إلى وادينار حالة هولندي وآخر ألماني، ان درمولن وون فيسمان. وفي زمن قريب، عام ١٩٣١م، كان من الصعب جداً عليهما أن يدخلوا البلاد دون التعرض لمشاكل كبيرة. أما الآن تحل الطمأنينة، فنحن لم نتعرض ولا مرة واحدة للخطر، أو حتى لمشكلة عابرة، ورأينا السكان يتجولون غير مسلحين تقريباً. ولكن لا شك أن الحال يختلف في المناطق التي لم نذهب إليها، لأن رحلتنا كانت على نحو دقيق محصورة نوعاً ما في الأنشطة الإنسانية لحكومة عدن. لقد أرسى النظام مبدئياً على الأقل. ومن أكثر الأشياء اللافتة أنه بعد أن حالت مشاكل الحموم بيننا وبين العودة إلى الساحل، استطعنا أنا والأنسة جاردنر بعد أيام قليلة من استسلامهم أن نساfer بسيارتنا عبر منطقتهم وأن نبني في العراء بجانب سيارتنا ونحن نشعر بالأمان التام. كما تعلمون، ذهبت إلى هناك كي أنقب عن الآثار، وقد كان من حسن حظي أنني تمكنت من إجراء أول عمل تنقيبي في حضر موت، ولكم أن تتخيلوا كم كان ذلك مثيراً. لن أسهب في هذا الموضوع، فهناك مقالة ستنشر في صحيفة "نيشتر"، تعطي ملخصاً للعمل الذي قمنا به. وخلال وقت قصير اتضح أن هناك الكثير من الأشياء التي من الممكن العثور عليها هناك. وتعتزم حكومة المكلا اتخاذ تدابير لضمان حماية حقوق

- **السير رونالد ستورز:** قبل التعليق على ما أنا متأكد من أنكم ستقرن بأنه محاضرة رائعة، سأفسح المجال لبعض الأسئلة.

- **عضو:** إنني أتصور يا سيدي أنك كنت تعرض نفسك للخطر الداهم في أثناء قيامك بتلك الرحلات التي تتكلم عنها؟

- **المحاضر:** لا، ليس تماماً. ليس من الضروري أن تتجول حاملاً سلاحاً من أي نوع، فالتناس الآن ذوو طبيعة مسالمة جداً.

- **السير رونالد ستورز:** سيكون من المفيد لو أخبرنا السيد إنجرامز ما إذا كانت أتعاب مختلف المستشارين البريطانيين يتم دفعها من الإيرادات؟

- **المحاضر:** إن المستشار الوحيد الذي زار البلاد حتى الآن هو الخبير التربوي الذي ذكرته، وقد وافق بلطف وسخاء كبير على التنازل عن أية مدفوعات.

- **السيد تشارلتون:** هل يمكن للمحاضر أن يخبرنا ما إذا كانت هناك أية قيود مفروضة على زوار حضر موت؟

- **المحاضر:** نعم، لا مفر من قدر معين من التقييد. فحكومة عدن تنظر في طلبات إذن الزيارة، ويتوجب توفر تأشيرة خاصة لدخول المحمية.

- **عضو:** هل بإمكان المحاضر أن يخبرنا ما إذا كانت قد ظهرت معارضة كبيرة من شركات الأسلحة المحلية عندما تم إقناع الحموم بالكف عن عمليات الثأر؟

- **المحاضر:** إن حضر موت لم تبلغ بعد المرحلة التي تستطيع فيها أن تصنع أسلحتها الخاصة. إنها تتلقى بركات الحضارة هذه من أوروبا.

- **السير رونالد ستورز:** هلا أعطانا السيد إنجرامز أسماء محددة لبعض مستوردي الأسلحة؟

- **المحاضر:** تأتي البنادق باهظة الثمن في الغالب عبر اليمن من شركات مصنعة أجنبية مختلفة، ولكن أكثر البنادق أنواعها قديمة، والكثير منها من زمن الحرب العظمى، فرنسية وأنواع أخرى.



” إن أفراد قبيلة التميمي في غاية السعادة بهذه الهدنة التي ستخلص الأهالي وتريحهم من القتل والاقْتتال، وجميعهم يتوقعون إلى حفظ الأمن على طرق التجارة. وخلال مدة الهدنة، سوف يعود كل الناس إلى المباني والزراعة التي تركها سكان حضر موت زمنًا طويلًا بسبب انعدام الصلح بين أفراد القبائل. والآن يضع جميع الناس ثقتهم في الحكومة البريطانية فقط. ولو كانت معاهدة الصلح رتبت برعاية آخرين لما حازوا على ثقة الحضارم. “

حكومة المكلا ستزيد. حتى الآن لم يتم تحصيل الضرائب على الإطلاق في حضر موت الداخل. أنفق السيد أبو بكر الكاف، خلال أربعة أشهر من ٦ فبراير، تسعين ألف ريال على الخدمات الداخلية. وكانت هذه مساهمة تطوعية، لكنني آمل أن أنظم في وقت قريب خدمات الإيرادات هناك.

أود أن أقول كلمة بشأن موضوع البحث في مجال الآثار، فلم يكن هناك وقت للتطرق إليه في محاضرتي. لقد قالت عنا الأنسة كيتون ثومبسون أشياء جميلة جداً أكثر مما نستحقه. ما أردت قوله هو أن الأنسة كيتون ثومبسون قدمت لنا مساعدة كبيرة جداً في مسألة قانون الأثريات. وإنه لمن السهل الحصول على قوانين الأثريات من دول أخرى، ولكنها أطلعتنا على أكثر التشريعات ملاءمة لأن تُضمّن في قانون حضر موت المتعلق بالأثريات. وقد كان من دواعي سروري أن أعرف أنه من بين هؤلاء الآثاريين الرواد المحددين كان لدينا أشخاص لن يسرقوا النصف مما قاموا باستخراجه. (ضحك).

مجال الآثار. ويحاول السيد إنجرامز أن يعمل على ضبط قوانين الآثار على أفضل نحو حتى يمنع الاستغلال غير المسؤول لتلك الآثار من قبل الأشخاص غير المؤهلين للخروج بأفضل النتائج العلمية. لا أستطيع أن أصف مدى عمق الامتنان الذي نشعر به نحو لطفه وحرصه الدائم على تأمين رفاهيتنا.

- السيد آر. في. فيرنون: أود أن أبدي بعض الملاحظات بصفتي أحد الذين عملوا في وزارة المستعمرات منذ الحرب العظمى. في ذلك الوقت كانت حضر موت أكثر منطقة في العالم تنقصنا المعرفة بها وتقع خارج سيطرتنا. كنا في بعض الأحيان قلقين للغاية بشأن دقة بعض البيانات التي كان علينا الإدلاء بها في جنيف وأماكن أخرى حول مسائل مثل العبودية، لأننا لم نكن نعرف بالضبط ما الذي كان يجري هناك. وكل ما نملكه تقريباً من معرفة عن حضر موت أخذناه من رجل هولندي في جاوة. وكانت كل معرفته عنها معتمدة بدورها على جمع المعلومات من عرب حضر موت الذين ذهبوا إلى جاوة كي يعملوا وكلاء عقارات؛ ولم يكن يوماً في حضر موت قط. إن السلام والنظام والحكم الرشيد هي أهداف كل سيطرة في العالم، ولكنني صدمت من المطالب الصغيرة جداً التي كان من المتوجب على الحكومة البريطانية تأديتها حتى تحقق مهمة إعادة السلام هذه. إن الحكم الرشيد البعيد عن الادعاء لهو تنويع للخطوات المدروسة التي وصفت بكل تواضع في محاضرة الليلة.

- عضو: سأطلب من السيد إنجرامز أن يخبرنا كم هو إجمالي إيرادات المحمية؟

- المحاضر: إننا لم نبدأ بعد في العمل على تغيير نظام الضرائب المعمول به سابقاً، ولكننا نعزم الآن فعل ذلك، إذ توفر لنا الآن المزيد من المساندة. إن الإيرادات ليست كبيرة جداً بعد، ولكنها تبدو كثيرة بالنسبة لنا؛ سوف أضع تقديرات الميزانية بين سبعمئة ألف وثمانمئة ألف روبية. وهناك مراقب جمارك جديد يتحدث اللغة العربية، ومما لا شك فيه أن إيرادات





”إن التاريخ الحضري سوف يخلد المساعدة القيمة التي قدمتها الحكومة البريطانية إلى الشعب والحكومة في حضرموت. ومن المؤكد أن هذه المساعدة ستكون أساساً قويا للإصلاحات المتوقعة في القطر الحضري من أجل تقدم الشعب والتطور المستقبلي، الذي يسعى إليه رجال العلم والثقافة وصناع السلام المخلصون في حضرموت وبذلوا جهوداً كبيرة في هذا الصدد.“

الغذاء لأنفسهم. كما سيتفنون من الأساليب الحديثة للحصول على الماء ومن العلوم الطبية. وحين يلزم البلاد هذا النوع من التطور، فإنه من الأفضل البدء بالإتيان بالمختصين بدلاً من ترك الأمور تسير على غير هدى. إن قمت، مثلاً، بزيادة إمدادات المياه، فإنه ما لم يكن لديك مختصون تأخذ منهم المشورة، قد تتسبب في نشر الملاريا في الوقت نفسه، وفي كل الأحوال سوف تهدر المال إن لم تنتفع بمشورة الخبراء.

وفي حضرموت حوالي ٢٦٠ ألف من الحضارم المقيمين، ويوجد حوالي مئة ألف في الخارج حالياً. وهناك عدد من هؤلاء المقيمين كانوا مغتربين وقدرأوا الوسائل والخدمات الحديثة وأعجبوا بها ولا بد من أن يحصلوا عليها مهما كانت النتائج.

– السير رونالد ستورز: ستقرون جميعاً بأن أولئك الذين بدأوا هذا المساء وهم يفتقرون للمعرفة، والذين أنا فخور بهم لتصدرهم القائمة، صاروا الآن مستعدين تقريباً لأن يلقوا محاضرة عن حضرموت بأنفسهم: لقد عرفنا الكثير وسعدنا كثيراً بذلك. وقد أوضح لنا المحاضر أنه في التعامل مع العرب نحتاج إلى التحلي بالصبر وحسن الخلق في العلاقات الدبلوماسية تماماً كما هو الحال مع الدول الأوروبية.

– السير رونالد ستورز: لقد كان مستوى النقاش هذا المساء عالياً ووثيق الصلة بالموضوع بشكل مقبول. لكن إن جاز لي أن أضيف شيئاً، هناك سؤال واحد أود طرحه. هل سيعود الحضارم الموجودون الآن في جاوة ويستقرون في موطنهم الأصلي؟ – المحاضر: نعم، أظن ذلك إلى حد ما، فالبعض منهم قد عادوا إلى بلادهم بالفعل. كانوا يرغبون في مستوى معين من الأمن وإمكانية كسب العيش، وبطبيعة الحال لم يكونوا يريدون إقامة مساكن جميلة للغاية ومكلفة لكي تهدم بعد ذلك. ولكنهم سعداء بمجيئهم الآن بما أنه يظهر أن السلام قد استتب. – السيد ميدلتون: يؤسفني أن ألقى بملاحظة خارج السياق، لكنني قلق بعض الشيء من الشعور بالرضا الذي ظهر هذا المساء بشأن إدخال السيارات عبر الصحراء، وحتى بشأن إدخال العلوم الطبية. لقد وجدنا أن إدخال العلوم الحديثة يمكن أن يكون له نتائج مفرقة. وأود أن أسأل ما هو الهدف النهائي المرسوم بالنسبة لهذه البلدان، وما هي المسارات التي سيتخذها التعليم؟ هل المقصد إحداث ثورة في حضرموت على نحو فوري وكامل؟

– المحاضر: أعترف أنه يساورني نفس هذا الشعور بالقلق، ولكن من المؤسف أن التقدم أمر حتمي. لعل معظم الناس الآن لديهم بعض المعرفة عن الوسائل الحديثة، ويرغبون في الحصول عليها. يجب أن أشير إلى أن السيارات في حضرموت شاهدها الأوروبيون لأول مرة من الجو. وقد تم نقلها مفككة وراء الجبال بواسطة الجمال، واستعملت هناك، بعد أن جلبها العرب بأنفسهم إلى هناك من أجل استخدامهم الشخصي داخل بلادهم. إنني أشعر أحياناً بنفس شعور المتحدث الأخير حول "بركات" الحضارة. نحن لا نبادر لإحداث التغييرات حقاً، ولكن عندما نرى الطلب عليها يكون من المتوجب علينا تحقيقها بناءً على طلب الناس أنفسهم. فالتنمية الزراعية، على سبيل المثال، يجب أن تتوسع لأن الناس يرغبون في رؤية الحقول عامرة بالنماء، وأن يجدوا أنهم قادرون على توفير



ولعل هذه المحاضرة تسهم في إبعاد الافتراءات الخسيسة التي تم تداولها مؤخراً ضد سلاح الجو الملكي من قبل الأشخاص الذين من المفترض أن لديهم المعرفة الكافية، ويمتلكونها حقاً. إن إدارة محمية عدن كما وصفها السيد إنجرامز يجب أن تحظى بجميع الدعاية الممكنة، وأتمنى أن يكون هناك إقبال كبير على قراءة الصحيفة التي ستظهر فيها تلك الدعاية.

لم يحالف الحظ السيد إنجرامز في ما يمتلكه من مواهب فقط بل أيضاً في الحقبة التي أظهر فيها قدرته في حضرموت. وعلى الناس أن يدركوا أنه من اللازم أن تتم ممارسة السلطة قبل أن تظهر مواهبك بصفتك مسؤولاً. كان يمكن قبل خمسة عشر عاماً أن نفتر همتة بسبب ما خيم على الناس من الكلال والإجهاد للذين أعقبا الحرب العظمى. والآن أصبح يشعر أن إرادة الحضارم تقف خلف كل تنظيم جيد، سواءً أكان العمل الذي يضع الشرطي في مكان عمله أو الطيار في الجو.

في عام ١٩٠٩م كنت أتسلق جبل حرمون، وكنت قد سبقت رجال الضبطية المرافقين لي واصطدمت ببدوي متسكع. طلب مني الرجل أن أسلمه فوراً كل أمتعتي. وتصادف أن كنت أحمل على وسطي مسدساً صغيراً من نوع براوننج، وعندما أبرزته صاح: "والله، لو كنت أعلم أنك تحمل مسدساً، لما قلت قط ذلك الذي قلته!"، وعرض عليّ فوراً أن يحمل حقيبتني، وأثبت أنه حمّال رائع بقية اليوم. (ضحك.) هناك نوع من الناس لا بد أن تضبطهم بالقوة، أو بإظهار القدرة على استعمالها. تنطبق فائدة القصف الجوي بوصفه إجراءً للشرطة على عدد من الأماكن الخاضعة للإمبراطورية البريطانية، ويعد أسير الوسائل لحفظ النظام وأقلها تسبباً في إحداث الدمار. علينا أن نبتهج لأن السيد إنجرامز استطاع في وقت قصير جداً أن يحقق في حضرموت نعمة السلام والثقة بين الناس، وأن يدخل عليهم مقداراً كبيراً من السعادة لم ينعموا به من قبل.

كان في محله تماماً التساؤل إلى أي حد يمكن أن يضيف

التحضر إلى السعادة الإنسانية. وسيشارك في هذا التساؤل أي شخص أزعجه رنين الهاتف، ولكن المشكلة أنه، إذا امتلك شخص ما جهاز هاتف، فلا بد أن نمتلكه كلنا بالمثل. لا أحد سيرضى لنفسه أن يتخلف عن مجارة تطور الخدمات الذي يوفره العصر الحديث. وعلينا أن نهني السيد إنجرامز على أن عهداً من التسامح، والسلام والثقة تم تدشينه الآن في بلد تبلغ مساحته سبعة أضعاف مساحة فلسطين، وأربعة عشر ضعف مساحة قبرص. علينا أن نهني ليس فقط على ما حققه ولكن أيضاً على الطريقة التي حققه بها.

## الملحق ١

### خطاب السلطان الكثيري

#### في مراسيم تسليم قبيلة بن يمان

أيها الضيوف الكرام، أقف بينكم في هذه المراسيم البهيجة لكي أرحب بجميع الحضور الذين شرفوا هذا المكان. وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن فرحتي الغامرة بوجود هذه العاطفة الصادقة التي تجمع فيما بيننا. إن الدعم السياسي الذي قدمته الحكومة البريطانية لأرض الوطن، أرض أجدادي الموقرين الذين كانوا حكاماً فيها لمئات السنين، لهو خدمة في غاية الأهمية، ودليل على الصداقة الفريدة والعلاقة المتينة القائمة بيني وبين مسؤولي الحكومة البريطانية. وإنني لأعرب عن سعادتي البالغة وامتناني الحار للجهود والأيادي التي قدمها هؤلاء الرجال الأفاضل في سبيل حفظ السلام وإخماد الاضطرابات في هذا الإقليم.

ولا شك أن الثقة المتبادلة بين عدن وحضرموت ستحقق مصلحة كبيرة لكلا الطرفين. ويحدوني أمل كبير أن هذا التقارب الودي سيتيح لي أن أقوم بأعباء التزاماتي، في جو من الأمان، نحو بلادي وشعبي الذي قاسى منذ مدة طويلة خلت من النزاعات القبلية التي انتهت الآن، هذه النزاعات التي تحول دون استتباب الأمن والسلام.





الشيخ العبد بن يمان

والآن يضع جميع الناس ثقتهم في الحكومة البريطانية فقط .  
ولو كانت معاهدة الصلح ربت برعاية آخرين لما حازوا  
على ثقة الحضارم .

لقد سمعنا إجابتك بالأمس عندما سألناك في الاجتماع  
الأول الذي عقد في قصر السيد أبو بكر، وتطلعت إلى أن  
تقف إلى جانبنا دائماً وتساعدنا في حفظ السلام وإقامة  
العدل، الأمر الذي نحن ممتنون ومقدرون جداً له . ونود أن  
نرى قريباً العلم البريطاني مرفوعاً على أحد القصور التي  
كنت تنزل فيها في أي مدينة من مدن حضر موت . إن السلام  
النام يجب أن يكون من نصيب جميع سكان البلاد ."

من السلطان الكثيري إلى السير بيرنارد رايلي :  
"نتوجه بالشكر الجزيل إلى سعادتك على المساعدة القيمة  
التي قدمتها حكومة جلالته إلى وطننا العزيز من خلال صديق  
حضر موت، الذي بذل اللازم من أجل حفظ السلام وإخماد  
النزاعات القبلية .  
ونحن نعرب لسعادتك باسمنا وباسم شعبنا ووطننا عن  
سعادتنا بهذه المساعدة التي ستظل دائماً مدعاة لامتناننا  
وإخلاصنا ."

وأؤكد على أنني أقدر دعم الحكومة البريطانية، ولا يسعني  
إلا أن أرد هذا الجميل بالمحافظة على استمرار الصداقة مع  
البريطانيين وبأن أكون صديقاً مخلصاً لهم . وأتمنى أن أشهد  
الرخاء يعم القطر الحضرمي في عهدي . يجب أن يتعلم  
الشعب وأن تتطور إدارته الاجتماعية والاقتصادية بفضل  
تدابير السلام التي أرسيت الآن، نتيجةً للجهد والدعم اللذين  
قدمهما (صديق حضر موت)، أعني به السيد إنجرامز،  
المسؤول السياسي الأول .

إنني آمل أن يتذكر شعبي الحبيب، عندما يستكمل تعليمه  
وتقدمه، هذه المكرمة وأن يحافظ عليها من أجل خير البلاد .  
وأدعو الله المعين أن يوفقنا إلى ما فيه الخير وأن يحفظ  
علينا السلام .

## الملحق ٢

### مقتطفات من رسائل الشكر

من المقدم العبد بن علي يمان التميمي، مقدم قبيلة  
التميمي، وآل تميم كلهم وبني ضنة إلى المسؤول  
السياسي الأول:

"لقد أبرمت اليوم وثيقة هدنة الثلاث سنوات ووقعت عليها  
قبيلة التميمي . وقد تم ذلك نتيجةً لجهودكم المثمرة ومساعدكم  
الكبيرة لحفظ السلام في وطننا الحبيب، حضر موت . ونتقدم  
بالشكر الجزيل لحكومة جلالته ولسعادتك على هذا الذي  
تم، وكذلك لسعادة السلطان علي بن صلاح وللسيد أبو بكر  
بن شيخ الكاف الموقر .

إن أفراد قبيلة التميمي في غاية السعادة بهذه الهدنة التي  
ستخلص الأهالي وتريحهم من القتل والاقتتال، وجميعهم  
يتوقون إلى حفظ الأمن على طرق التجارة . وخلال مدة الهدنة،  
سوف يعود كل الناس إلى المباني والزراعة التي تركها سكان  
حضر موت زمناً طويلاً بسبب انعدام الصلح بين أفراد القبائل .



من الشيخ عبيد بن صالح بن عبدات، زعيم الغرفة،  
إلى المسؤول السياسي الأول:

"تلقينا خطابكم الذي أرسلته البارحة بما هو أهل له من الاحترام البالغ والشكر الجزيل، وردا على ما تضمنه فإننا نشكر الله على أن حباننا بهذه الجولة التي قمت بها بين ظهرانينا، والترتيبات الجيدة والأفكار المنطقية. ونشكركم جزيل الشكر كذلك. كما أننا نعلم سعادتكم بأننا سنبدل ما في وسعنا ونقدم أرواحنا وكل ما نملك من أجل خدمة حكومة بريطانيا العظمى وخدمة سعادتكم أيضا. ونتمنى أن يوفقنا الله لما فيه الخير وأن يكلل أعمالنا بالنجاح."

من محمد وأحمد أبناء باصرة، مقادمة قبيلة السيباني ولواء دوعن، إلى السيد إنجر امس:

"نكتب إليكم هذا الخطاب لكي نفيدكم باستلام خطابكم، المرفق به وثيقة الهدنة ونسخة من الإشعار، الذي أرسلته الحكومة البريطانية.

نشكركم جزيل الشكر على الجهد الرائع والعمل الممتاز الذي قمتم به والذي حظي بتأييد حكومتكم العظمى العادلة. تفضلوا بقبول بالغ التقدير والاحترام."

من الحكم مبارك بن محمد بن عجاج، كبير مشايخ قبيلة نهـد، ومن يتبعون له من رجال آل عجاج النهـديين،  
إلى المسؤول السياسي الأول.

"نتوجه إليكم بهذا الخطاب لنعبر لكم عن سعادتنا بالتسوية والصلح الذي أرسيتموه لأنكم بذلك قد خلصتم الناس من الاضطرابات والمشاكل. وفي الوقت نفسه سيؤدي كل فرد ما يجب عليه في سلام. نحن صناع سلام. ولا يسعنا إلا أن نعرب عن امتناننا للحكومة البريطانية وكذلك لسعادة المقيم السياسي بعدن وكل المسؤولين في حكومة جلالة الملك.

أما فيما يتعلق بكم فإننا نشكركم كما نشكر سلاطين هذه البلاد، القعيطي وبين عبدالله، والسادة آل الكاف على الخدمة

الجليلة والجهود التي قدموها لتحقيق مصالح المسلمين. جزاكم الله خيرا جميعا على ذلك وأدام علينا نعمة السلام والسكينة. ونحن الآن، كما تعلمون، نحمل معنا الأسلحة الشخصية، ولكننا نعرف أننا لا نحملها إلا تحسبا لأي تصرفات مؤذية قد تحدث من البعض، وإلا فلا أحد منا يؤيد المشاكل وإقلاق السكينة، لكننا خائفون على أرواحنا وعلى أنفسنا، وإذا توطد السلام بشكل كامل فلن نعود بحاجة إلى الأسلحة الشخصية. لذلك نطلب منكم أن تواصلوا دعمكم لنا وأن تكونوا دائما إلى جانبنا حتى يكون في مقدورنا أن نستغني عن الأسلحة وحتى يكون النجاح دائما حليفنا. حفظكم الله. لكم تحياتنا." (ووصلت رسالة مماثلة من آل البقري)

من عوض بن عزان بن عبدات، شيخ من مشايخ آل كثير، إلى صديق حضر موت، السيد إنجر امز:

"لقد شهدت هذه البلاد الكثير من الوحشية والظلم، ولكن الآن عندما أتيت إلينا، قمت بتسوية كل المشاكل وإرساء السلام. حتى نحن أفراد القبائل، عانينا صعوبات كبيرة على مدى سنوات طويلة.

نحن نرغب أن تكون حضر موت آمنة في ظل حكم سلاطيننا وبمساعدة الحكومة البريطانية، كباقي البلدان التي ذهبنا إليها (خاصة الهند). لا توجد الآن اضطرابات، وبالإضافة إلى ذلك، لم يعد الناس يحملون السلاح. وبما أنه لن يكون هناك بعد اليوم إقلاق للأمن ولا تصرفات طائشة، فلن نستعمل الأسلحة الشخصية من الآن فصاعداً.

ونعبر هنا عن شعورنا بالامتنان لكم للعمل الذي قمتم به حتى استتب السلام في ربوع بلادنا. تقبلوا تحياتنا"

من عمرو بن جعفر، شيخ آل فاس من آل كثير، وجميع آل فاس، إلى صديق حضر موت، السيد إنجر امز:

"السبب الذي يجعلنا نكتب لك هذا الخطاب هو أن كل القلاقل وحالة غياب الأمن في أوساط الناس انتهت الآن وتم





إن الاهتمام والعناية اللذين توليهما حكومة عظمة السلطان نحو وطننا المقدس، والمساعدة المقدمة الآن من أجل إحلال السلام والأمن في ربوع إقليمنا، وحماية الأمة من الاضطرابات والقتل التي تدمر البلاد وتعرضها للخطر وما هو أسوأ، لهي محل ثنائنا وشكرنا. إن هذا الاهتمام من قبل حكومة عظمته بإزالة كل هذه الأشياء سيجعل مستقبل حضر موت زاهرا ومزدهرا، وإنه لجدير بنا أن نعرب عما تكنه قلوبنا من تقدير وامتنان كبيرين، يدفعانا لأن نتوجه بالشكر العميق لحكومة عظمته ولساعدكم، أيها المقيم المبجل.

ولا ننسى أن نعبر عن مشاعر الشكر العميقة التي تكنها قلوبنا نحو صديق حضر موت، السيد إنجرامز المبجل، المسؤول السياسي الأول، على الخدمات الجليلة التي قدمها لإصلاح الأوضاع في إقليمنا الحبيب.

إن التاريخ الحضرمي سوف يخلد المساعدة القيمة التي قدمتها الحكومة البريطانية إلى الشعب والحكومة في حضر موت. ومن المؤكد أن هذه المساعدة ستكون أساساً قويا للإصلاحات المتوقعة في القطر الحضرمي من أجل تقدم الشعب والتطور المستقبلي، الذي يسعى إليه رجال العلم والثقافة وصناع السلام المخلصون في حضر موت وبذلوا جهوداً كبيرة في هذا الصدد.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نعبر من أعماق قلوبنا عن الشكر والتقدير لحكومة عظمة السلطان على الاهتمام الذي توليه من أجل رفاهية بلادنا. ولنا رجاء أن تُنقل أطيب التحيات، وأسمى آيات الشكر والامتنان بالنيابة عنا إلى الحكومة العظمى في لندن، التي نأمل أن تظل مصدرا لترتيبات السلام والأعمال الخيرة.

وتفضلوا بقبول أسمى التحايا.

(موقع من قبل رؤساء كل أسر السادة العلويين.)

حلها من قبلك. لقد أتعبت نفسك بالمجيء إلى هذه الأماكن البعيدة من حضر موت من أجل أن تأتي بالمنافع للحضارم، ونحن نشكرك ونشكر كذلك حكومة عدن على جهدهم الطيب. ونحن نحب الحكومة البريطانية. كل البلدات في حضر موت الآن آمنة ولن تكون هناك بعد الآن أي تهديدات كالتي كانت من قبل. ونحن منذ الآن لن نستعمل السلاح كما كنا في الماضي وهذا بفضل اتفاقات الهدنة التي تم التوصل إليها. نكرر شكرنا لكم وللحكومة على إحلال السلام. تقبلوا تحياتنا.

من المقدم عمر بن عمرو بن سلطان بن فارس إلى السيد إنجرامز:

"نشكرك جزيل الشكر على السلام الذي قمت بإرساله، كما نشكر أيضا حكومة عدن. لقد قدمت خدمة لبلادنا وأيضا لقبائلنا، ولا تصدق أننا نكره السلام، ولكن الخوف من المهانة كان يجعلنا نطيل التفكير في الأمر؛ ولكن سيكون جيدا لو أنك تظل قريبا منا."

من هويدي بن مرعي الكثيري إلى السيد إنجرامز، صديق حضر موت:

"نهنتك، يا صديق حضر موت، على ما قمت به وعلى جهودك من أجل إحلال السلام في بلادنا، كما نشكر حكومة بريطانيا العظمى على ضبط الأمور في بلادنا بالإضافة إلى تنظيم حياتنا، كما نشكر أيضا صديق حضر موت. إننا لن ننساك أبدا، لأنك (الصاحب) الأول الذي سعى إلى تحقيق السلام في حضر موت وأنقذها من الموت.

ولذلك، نشكرك على جهودك ونشكر أيضا سلطاننا، علي بن منصور، على العمل الذي قام به عن طريقك. مع تحياتنا."

بسم الله المعين. يسلم ليد سعادة المقيم بعدن

"لتسمحوا لنا أن نتقدم بالتالي:

# قراءة في بيان جمعية الأخوة والمعاونة

الصادر سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م

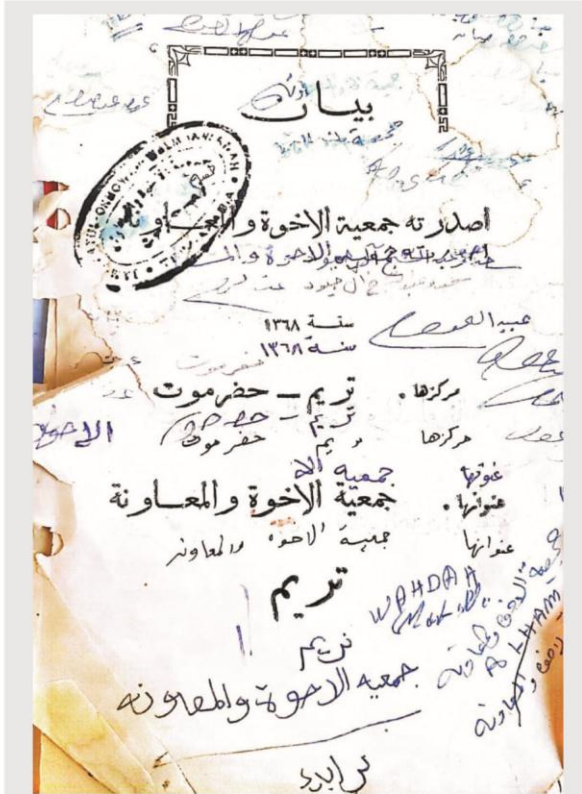
## لإظهار أثر الجمعية في المجتمع

عشر الهجري، ومما جاء فيه: ((لقد مُنيتُ حضر موت -إذ ذاك- بسلاطين مستبدّين على المستضعفين من الرعايا، وعشائر حضرية وبدوية تثير الفتن والقلال لأتفه الأسباب، ولا يجد أفرادها شغلاً سوى قطع الطرق، ونهب الأموال، وإرهاب العزّل، وقتل الأنفس، حتى ساد الخوف والرعب والقلق... هكذا كانت حالة الأمن فيها بين مدن وقرى وبوادي حضر موت، وفي داخل المدن لا تجد عدالة منظمة، تحمي حقوق الناس ومصالحهم، ولا محاكم شرعية ولا مدنية، وإنما يبقى ذوو المظالم والدعوى تحت رحمة السلاطين وزعماء الممالك ورؤساء القبائل وأرباب المناصب الروحية والمالية))،



أ. صالح مبارك عصبان

ينصرف الذهن عند الحديث عن جمعية الأخوة والمعاونة بتريم، إلى دورها التربوي والتعليمي -وهو هدفها الأساسي- غير أن للجمعية أنشطة غطّت مجالات كثيرة، واستفاد منها المجتمع (التريمي)، بل تجاوز أثرها هذا المجتمع، ووصلت إلى مناطق أخرى في حضر موت، وخارجها، وشملت أعمالها مناحي الحياة، ابتداء بالتعليم، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونشر الثقافة، ومروراً بأحوال المجتمع الاقتصادية، وقضايا القضاء والأوقاف، وانتهاءً باهتمامها بالعالم العربي والإسلامي؛ وللإطلاع على ذلك الجهد، أصدرت الجمعية بياناً في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م، رصدت فيه أعمالها، وافتتح البيان بعرض تمهيدي للواقع وما فيه من عوائق ومشكلات، وأهم أسباب تأسيس الجمعية، وأشار التمهيد إلى حالة حضر موت في منتصف القرن الرابع







### التمهيد

في منتصف القرن الرابع عشر الهجري الحال ، بلغت حضرموت إلى منتهى دركات التأخر والاختطاط . والفوضوية في جميع نواحيها السياسية ، والثقافية والاقتصادية .

لقد منيت - اذ ذلك - بسلاطين مستبدين على المستضعفين من الرعايا وعشائر حضرية وبدوية تثير الفتن والقتال لآلته الأسباب ، ولا يجد أفرادها شغلا سوى قطع الطرق ، ونهب الاموال ، وارهاب العزل ، وقتل الانفس حتى ساد الخوف والرعب والقلق ، واصبحت كل رقعة من رقعة الوادي في حوزة قبيلة من حملة السلاح مستبده بها تميت باهابها كما شامت ، وتقطع طرق المواصلات ، حتى لا يستطيع المسافرين ان يقطع بضعة اميال . الا في حماه خفاء ، على عدد المشائر التي يمر في حماها .

هكذا كانت حالة الامن فيها بين مدن وقرى وبوادي حضرموت ، وفي داخل المدن لا تجد عداله منظمه ، تحمي حقوق الناس ومصالحهم ، ولا يحاكم شرعيه ولا دينيه ، وانما يبقى ذوو المظالم والمعاوي تحت رحمة السلاطين ، وزعماء المماليك ورؤساء القبائل ، وارباب المناصب الروحيه والماليه . اما المدارس فلا تعدو - على ندورها - ان تكون ذات نطاق ضيق وغير منظم وبشكل يدعو إلى الأسف والحيرة .

ومن الناحية الدينية والتهذيبية تشاهد تقلص التعاليم الاسلاميه الصحيحه وفنور نشر الدعوة إلى الله ، واصبح الوعظ الديني محصورا وضعيف الاسلوب حتى طبق الجهل البوادي والقرى ، وكاد ان يمدد واهه على المدن الكبرى . وهناك اعراض تام عن المشاريع الاقتصادية من زراعيه ، وصناعيه وتجاريه - رغبا من فيضان المال وتضخم النقود التي يقذف بها المهاجرون الحضاره من الشرق الاقصى ، وافريقيا إلى مواطنهم - ذلك لعدم استتباب الامن - ولا رهاق الزراع ، والتجار بضرائب فادحه وغير معقوله ، وإلى جانب هذا ، فاموالهم دائما معرضه للخطر بأقل غصبة يغضبها حامل سلاح .

وما تقدم عرض للحالة السياسية والأمنية، أما تربوياً وتعليمياً، فيقول التمهيد: ((أما المدارس فلا تعدو - على ندورها - أن تكون ذات نطاق ضيق وغير منظم، وبشكل يدعو إلى الأسف والحيرة))، وعن الناحية الدينية: ((ومن الناحية الدينية والتهذيبية تشاهد تقلص التعاليم الإسلامية الصحيحة، وفنور نشر الدعوة إلى الله، وأصبح الوعظ محصوراً وضعيف الأسلوب، حتى طبق الجهل البوادي والقرى، وكاد أن يمدد واهه على المدن الكبرى))، وكذلك الحال في مجال الحياة المعيشية، إعراض عن المشاريع الاقتصادية، من زراعة، وصناعة، وتجارة، بالرغم من تحويلات المهاجرين المالية الهائلة، وأرجع التمهيد أسباب هذا الإعراض إلى عدم استتباب الأمن، وارتفاع الضرائب.

ويتساءل التمهيد عن الجهة التي يقع عليها انتشار البلاد والناس من هذه الهوة السحيقة؟ ويبادر إلى القول: ((أن هذا يقع على عقلاء الوطن))، لكنه تساءل مرة أخرى ((من هم العقلاء؟ أهم الشيوخ المعتقدون، وقد شبوا وشاخوا على الانقباع والعزلة والخمول؟ أم هم الشباب الذين نشأوا في غضارة الرفاهية، وفي بحبوحة الدعة والراحة؟ أم هم رجال المال الذين لا يهتمهم سوى المتع واللذائذ وسلامة أموالهم وامتداد نفوذهم على حساب هذه الأمة المسكينة؟))، وأكد على أن نخبة من طلبة مدرسة الحق بترميم كانوا في مقدمة من أحس وشعر بهذا الواجب، فجاءت فكرة تأسيس جمعية الأخوة والمعاونة.

### تأسيس الجمعية

جاء تأسيس الجمعية بفكرة من قبل الأستاذ محمد بن أحمد الشاطري، الذي دعا عدداً من زملائه طلاب مدرسة الحق، وهم: محمد بن سالم السري، وعلي بن شيخ بلقييه، ومحمد بن علي بلقييه، وعمر المحضار بن علوي الكاف، وعبد الله بن حسن الشاطري، ووضع أمامهم فكرة تأسيس (جمعية دينية وطنية يكون على كاهلها إنقاذ البلاد)، وانضم إليهم فيما بعد فوج آخر من الأعضاء، ووضعوا لها اسم

وقد استمضوا عن المنتجات الوطنية بما يستوردونه من الخارج أن ضرورياً وأن كلاً لا يستطيعون إلا على ما تصدره الهند. وجاءه . وملايا. وأفريقيا من ارز. وسكر. وبزوز وآنيه. و بهرجوا لانفسهم من كل هذا مدنيه زائفة وعلى غير اساس متين شغلتهم حقبة من الدهر. كما تشغل النفل لعيه بدون وعي ولا تعقل

لقد كان من المتبادر طبيعياً ان يستاء العقلاء من هذا الوضع الشاذ وان ينزعوا إلى التفكير في انتشار البلاد من هذه الهوة السحيقة التي تردت فيها ولكن كل هذا لم يكن ولم يصدر من عقلائنا بصورة جدية أو غير جدية ومن هم العقلاء بحضرموت يابزى ١٩

أهم الشيوخ المعتقدون. وقد شبوا وشاخوا على الانقباع والعزلة والخنول أم هم الشباب الذين نشأوا في غضارة الرفاهية وفي بحبوحة الدعة والراحة أم هم رجال المال الذين لا يهتمهم سوى المتع واللذائذ وسلامة أموالهم وامتداد نفوذهم على حساب هذه الأمة المسكينة؟

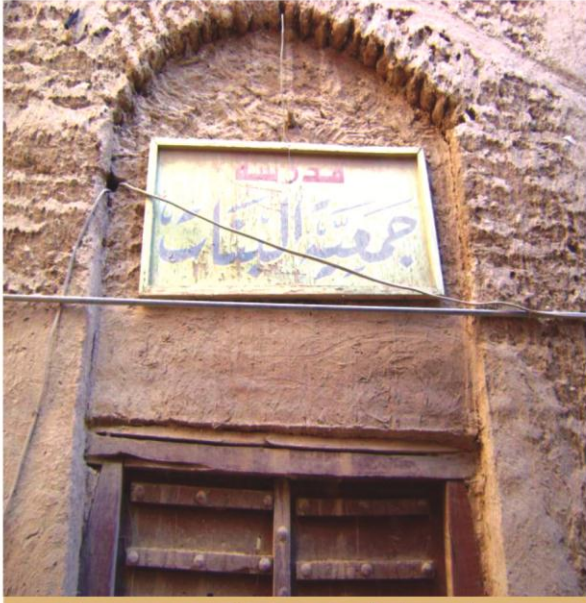
انما كان احد من هؤلاء يشارك في النعمة على وضعية البلاد، وانحطاطها وخطورة حالتها، فانما هي مشاركة لا تعتمد حدود المجال، وتمضية الجلسات واشغال الزمن بكلام فارغ .

طفح الكيل . وبلغ السيل الزبى ، وعلت الصيحات وفي وسط هذه الثورة الخنوقة ، كان نخبة من طلبة مدرسة الحق بترميم ، في مقدمة من يحس ويشعر ويفكر بصدق في وجوب الانقاذ ، وبذل الجهود والتضحيات لتلافي الامة والوطن من هذه الاخطار المحدقة بها

دور التأسيس

كيف تأسست جمعية الأخوة والمعاونة؟ في يوم من أيام سنة ١٣٤٨ دعا الطالب بمدرسة الحق بترميم السيد (محمد بن أحمد الشاطري) أفراداً من زملائه الطلبة وهم :-

الساده محمد بن سالم السري ؛ على بن شيخ بلقييه ؛ محمد بن علي بلقييه  
عمر المحضار بن علوي الكاف ؛ عبدالله بن حسن الشاطري



مبنى مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة للبنات في مدينة تريم  
(أخذت الصورة في ١١ / ١٢ / ٢٠٠٩م)

بشيء، حتى إذا اطلعوا على جليّة أمرها، وفهموا مغزاها،  
وشاهدوا صدق رجالها وثباتهم، وأنهم فوق ما يتصورونه،  
وأبعد همة وطموحاً ممّا يظنون، نظروا إليها نظرة احترام،  
وعلقوا على هذه الجمعية آمالاً إصلاحية كبرى)).

وتضمن بيان الجمعية المشار إليه أنفاً تفصيلاً لأعمال الجمعية  
خلال ١٨ عاماً، نعرض هنا أهم ما جاء فيه:

### التعليم والثقافة

وهذا في مقدمة أهداف الجمعية، يقول البيان: ((كانت أول خطوة  
خطتها الجمعية، هي نشر الثقافة والتعليم بمختلف الوسائل  
الملائمة لعقل الشعب، من تنبيه للرأي العام، وتنوير الأفكار،  
ونشر المعلومات عن الأمراض الاجتماعية، التي أودت بالشعب  
وطريقة علاجها، ولتعميم ذلك بين جميع الطبقات الشعب))،  
ومن المسارات التي اتخذتها الجمعية في هذا الجانب:

١- الدروس الخاصة لأعضاء الجمعية؛ لرفع مستوياتهم  
العلمية، وإعدادهم لمهامهم الإدارية والتعليمية.

٢- فتح مدارس للبنين والبنات: وكان أول مدرسة نظامية  
للجمعية للبنين سنة ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٢ م، ومدة الدراسة فيها  
خمس سنوات، وتم التمهيد لفتحها بعد إجراء توعية للأهالي  
بأهميتها، في زمن كان ينظر فيه إلى التعليم الحديث نظرة ارتياب،

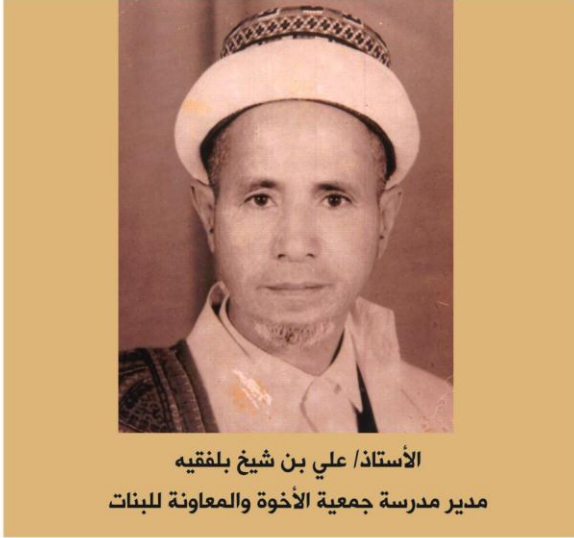
(جمعية الأخوة والمعاونة)، ومن أهدافها: بث روح  
التعاون بين أفراد الأمة، ورفض التحزبات، وكل ما يؤدي إلى  
الافتراق، والعمل على تكوين روح قوية في الشباب الحضرمي،  
تدفعهم إلى القيام بواجبهم نحو الدين وحيال الوطن، وبذل  
الجهود في تربية النشء تربيةً تمكنه من التسلح بالعلوم التي  
تفيد مجتمعه، ونشر التعاليم الإسلامية بوساطة إرسال  
الوفود الدعوية إلى القرى والبوادي، وبناء المساجد،  
وتأسيس المعاهد الدينية والثقافية، وإنشاء مؤسسات  
اقتصادية لاستيعاب الشباب فيها، وإصدار جرائد ومجلات  
لتوسيع الثقافة، وفي سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م نشرت الجمعية  
قانونها وفتحت مقرها.



الأستاذ / محمد بن أحمد الشاطري  
رئيس جمعية الأخوة والمعاونة

ولم تسلم الجمعية من قوى المعارضة المتربّصة بكل جديد،  
المتوجّسة من كل نهضة وتطور، ويعبر عنها التقرير  
(بالمعارضات والإجافات والإشاعات)، ويقول عنها:  
((ولعله من الطبيعي أن تلقى هذه الجمعية في بداية إعلانها  
معارضة شديدة من بعض المتعصبين، وتلفت نظر رجال  
السلطة، شأن كل جديد يفاجئ به الناس، وزاد في شدة المعارضة  
وجودها في تريم، (قلعة المحافظة بحضر موت)، فأرجف  
المرجعون حولها، وأشاعوا إشاعات مختلفة عنها، وممن  
قال إنها أُسست لنشر بعض المذاهب المتطرفة، ولترويج البدع  
والضلالات، ومن متكهن تكهنات أخرى لا تمس الحقيقة





الأستاذ/ علي بن شيخ بلفقيه  
مدير مدرسة جمعية الأخوة والمعونة للبنات

قسماً دينياً لتخريج فقهاء، وتعثر المشروع بسبب الحرب العالمية الثانية، وعموماً، فإن حداثة هذه التجربة جعلتها تعتمد على المناهج لبعض الدول العربية، لكنّها وضعت مادة الثقافة الوطنية لتعريف التلاميذ بوطنهم الحضري وتاريخه ورجاله، ووضع الأستاذ محمد بن هاشم (٧٥) درساً في هذا المقرر، وفي مجال البعثات إلى خارج حضر موت وضعت نظاماً للابتعاث، اشترط فيه أن يعمل الطالب في وطنه بعد تخرّجه، وفي شوال سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م أرسلت أول بعثة إلى العراق، مكوّنة من ثلاثة طلاب، وفي سنة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م أرسلت البعثة الثانية إلى سوريا، وتكوّنت من خمسة طلاب، كما رسمت خطة لإرسال بعثات إلى مصر وغيرها من البلدان، واتسع الجهد التربوي والتعليمي للجمعية، وكانت الطموحات كبيرة لتشمل حضر موت كلها، فسعت أولاً لتوحيد برامج المدارس الأهلية بحضر موت، بعد أن رأت اختلاف أساليبها ومحتوياتها، وجاء في البيان وجهة نظر الجمعية عن توحيد المناهج بالقول: ((تري الجمعية أن اتحاد المبادئ الوطنية والغايات لا يكون إلا باتحاد التربية والتعليم، وأن المدارس الأهلية، على قلتها، هي التي ستنتج رجالاً في المستقبل يتزعمون الحركة الفكرية في القطر... ففكرت الجمعية في توحيد برامج المدارس بحضر موت اليوم، ولعله أسهل بالقياس إلى توحيد المشارب المتعاكسة في الغد))، وأصدرت نداءً عاجلاً بمجلة الإخاء

وتطوع أعضاء الجمعية بمهمة التعليم، وقاموا بالتدريس من غير أجر في السنوات الأربع الأولى، وفي سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م، افتتحت مدرسة للبنات، تضمنت مناهجها، بالإضافة إلى القراءة والكتابة وعلوم الدين، شؤون المنزل والطبخ والخياطة، وبدأت بثماني طالبات من بنات أعضاء الجمعية، واستمرت على هذا العدد لمدة سنتين، وفي سنة ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م بلغ عدد التلميذات ١٠٠ تلميذة، ومن أجل تخريج طلاب مؤهلين للالتحاق بالمدارس العليا في العراق ومصر وغيرها من البلدان العربية، وتلبية احتياجات المجتمع الحضري لعدد من المعلمين والموظفين، افتتحت سنة ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م المدرسة الوسطى، واعتمدت في مناهجها الدراسية على المناهج المصرية والعراقية، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتخرج فيها وغيرها من مدارس الجمعية الطلاب الذين قاموا بالتدريس في بعض مدارس حضر موت، والتحق بعضهم ببعثات دراسية في بعض الدول العربية، وعمل آخرون في مجال التعليم في أقطار أخرى، ومنها الصومال وأوغندا، وعمل بعضهم في المحاكم الشرعية ووظائف إدارية ومالية.

واتجهت الجمعية بنشاطها إلى خارج تريم، فأشرفت على مدارس في مشطة وغيل بن يمين، وفي سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٤م هيأت الجمعية أماكن للأطفال الصغار ممن تعهد بكفالتهم مشروع الإسعاف الحكومي، ووفّرت لهم معلمين لتعليمهم الأحكام الأولية للعبادات والتهديب، وأعدت العدة لفتح قسم داخلي للتلاميذ يربّيهم على الأخلاق الفاضلة، ويحميهم من رفقاء السوء، وتهيئتهم لخوض معترك الحياة، وحالت أحداث الحرب العالمية الثانية دون تحقيق هذا الطموح، وكان لكبار السن نصيب، إذ افتتحت لهم مدارس ليلية لتعليمهم القراءة والكتابة وأمور الدين الإسلامي.

ولحاجة المدارس إلى معلمين مؤهلين، افتتحت في سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤٠م معهد المعلمين، ووضعت له مناهج خاصة. فيها مادة البيداغوجيا (فن التربية وطرق التدريس)، وخصصت



بعثة طلاب جمعية الأخوة والمعاونة في سوريا.

الواقفون من الخلف من اليسار إلى اليمين: علي عقيل بن يحيى، محمد عمر الكاف، كرامة سليمان

يدعو إلى توحيد مناهج المدارس، وفي سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م توجه وفد من أساتذة الجمعية إلى سيئون وشبام والقطن والحوطة وغيرها من المدن والقرى، وزاروا مدارسها، واطلعوا على برامجها، وفي سنة ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م توجه وفد آخر إلى المناطق السابقة ومنطقة المشهد وجفل، للغرض نفسه.

ومن أجل تقوية الروابط بين الجمعيات واللجان المهمة بالتعليم في حضرموت،

تكررت زيارات وفودها إلى مناطق حضرموت، ومن ذلك مساهمة الجمعية في فتح مدرسة بمدينة حريضة، كما زار الوفد مدرسة الهدى بمدينة القطن، ومدرسة الفلاح بمدينة شبام، ومدرسة الفتح بحوطة أحمد بن زين، والمدرسة الطالبة بمنطقة جفل، ومدرسة النهضة بمدينة سيئون، والمدرسة الكافية بسحيل سيئون، وفي شهر شعبان سنة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٠ م توجه الوفد إلى مناطق وادي دوعن فزار مدرسة الرباط الخيرية برباط باعشن، ومدرسة اليمن والسعادة بالخريبة، ومدرسة المصنعة، ومدرسة آل العمودي ببضة، ومدرسة الإصلاح الوطنية بصبيخ، ومدرسة قيدون العمودية، وفي ساحل حضرموت زار وفد الجمعية المدرستين السلطانية والأهلية بالمكلا، والمدرسة السلطانية بغيل باوزير، والمدرسة السلطانية بالشحر.

### الدعوة إلى الله، والفتيا والقضاء

وعملت في هذا المجال على عدة مسارات، فانتدبت عدداً من أعضائها يقومون بمهمة الوعظ والإرشاد الديني في القرى المجاورة لتريم خلال أيام الأسبوع، وأرسلت وفوداً دعوية إلى البوادي وشبوة، وساه وريدة المعارة، وفي سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م، زارت وفود للجمعية منطقة عمد وبلاد الدين، ويبحث وحوطة الفقيه علي وجول الشيخ عبدالمنايع ورضوم

وعين بامعبد وبلحاف وبير علي ومناطق أخرى، كما خططت لبناء مسجد في منطقة العبر، فمنعت السلطات الاستعمارية البريطانية ممثلة بالمستشار البريطاني إنجرامس، بناء المسجد، واحتجت الجمعية على هذا التصرف، واستنكرت جرأة إنجرامس، ورفعت احتجاجها إلى حكومة عدن، وأهابت سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م بالهيئات الحضرمية إلى استنكار هذا الأمر، وفي مجال الفتوى أسست الجمعية في ٢٥ شعبان سنة ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م (مجلس التمرن على الفتيا)، بغرض إعداد شخصيات مؤهلة للفتيا، وتولي القضاء الشرعي، وعينت للمجلس رئيساً يستقبل الأسئلة ويعرضها على أعضاء المجلس، مع تصحيح أجوبتهم، ويتحدث تقرير الجمعية عن حال القضاء، قائلاً: ((مر زمان طويل على تريم، والارتباك حليف القضاء الشرعي بها، والفوضوية تكتنفه في كل نواحيه، والمحامون المتفقهون قاعدون له بالمرصاد، ينقضون أحكامه، ويدوسونه اقتناءً لأهوائهم، وانصياعاً لصغرائهم))، وبذلت الجمعية جهوداً لإصلاحه، بعد أن رأت تأخر البت في القضايا المعروضة عليه، وتدخل السماسرة في ذلك، وارتفاع أصوات الشكوى من هذا الحال، وأثمرت جهودها عن إصدار السلطات الكثيرة أمراً في سنة ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م، بإسناد الإشراف على القضاء إلى الجمعية واتخذت ترتيبات لتنظيمه، وجعلته موزعاً في ثلاث نواح: الأولى ما يتعلق





٩٩  
فعلى سبيل المثال، للحصر، أقيم  
احتفال لتكريم بعثة الجامعة العربية  
إلى حضرموت برئاسة الدكتور سليمان  
الحزين، الذي زار مدرسة الجمعية،  
وجلسة تأبين الملك غازي ملك العراق،  
واحتفالات أخرى لتكريم سلاطين الدولة  
الكثيرية، وأساتذة الجمعية، ومن أعمال  
النادي تأليف كتاب عن آداب اللهجة  
الحضرية، ضم أربعة أجزاء، تحدثت  
عن مفردات اللهجة ومعانيها، والحكم،  
والأمثال، والنثر الفني، والشعر، بما فيه  
من زوامل، وأراجيز، وأشعار الزراعة  
والقنيس والصيد، وشعر الغزل، والشعر  
السياسي، والكتاب من اقتراح الأستاذ  
محمد بن هاشم ،

ومن أعمال النادي تأليف كتاب عن آداب اللهجة الحضرية،  
ضم أربعة أجزاء، تحدثت عن مفردات اللهجة ومعانيها،  
والحكم، والأمثال، والنثر الفني، والشعر، بما فيه من زوامل،  
وأراجيز، وأشعار الزراعة والقنيس والصيد، وشعر الغزل،  
والشعر السياسي، والكتاب من اقتراح الأستاذ محمد بن هاشم،  
وأصدرت الجمعية مجلة الإخاء، وجلبت لها مطبعة خاصة  
لطبوع أعدادها، وطبع الإعلانات، وبطاقات التهاني، ومما  
يرتبط بالثقافة والنشاط العام للجمعية اهتمامها بالرياضة،  
فأنشأت لها فرقاً رياضية، وعيّنت لها معلمين لتعليم النشء  
مبادئ الكشافة والألعاب السويدية وكرة القدم، والقفز،  
والسباحة وغيرها.

### الشأن الاجتماعي

وصف بيان الجمعية حال الشباب الحضرمي وما فيه من  
شتات، وتفرق في المبادئ والغايات، ووجود سد منيع لا يسمح  
بالتعاون فيما بينهم، أو تبادل الآراء والأفكار، يقول البيان:

بعقود الأنكحة وإثبات الأهلة، والثانية الدعاوى والأحكام  
المدنية والجنائية، والثالثة الأوقاف والأغياب والمحاجير.  
وأُسست مجلساً للقضاء بترميم، بحسب تولية السلطان الكثيري  
الصادر في شوال ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م، وتكفلت الجمعية  
بدفع أجور القاضي ومساعديه، وأصدرت قانوناً ينظم عمل  
المجلس، وبعد ١٧ شهراً، قدمت تقريراً عن عملها إلى  
سكرتير الدولة الكثيرية، وعن الأوقاف، يتحدث التقرير عن  
حاله قائلاً: ((ولما أسندت نظارة الأوقاف إلى الجمعية،  
رأت أنه أصبح الكثير منها مبعثراً وعرضة للضياع، ومنه ما  
قد خرج عن حدود أغراض الواقف، وذهب مذهباً شخصياً  
أو عائلياً، بعد أن كان معيناً للاتجاهات أخرى، اختارها  
الواقف الكريم))، وعينت للأوقاف لجنة مكونة من محمد  
بن سالم السري، وعمر المحضار الكاف، وسالم بن عبدالله  
العطاس، وعمر بن سهل، ولأها القاضي على أموال الأوقاف  
والمحاجير والأغياب، وبذلت اللجنة جهوداً كبيرة في حصر  
أموال الوقف وضبطها وحفظها، وحددت أوجه المصاريف،  
وسعت في البحث عن الأموال الضائعة ومتعلقاتها، وراقبت  
أعمال النظّار، وجاءت النتائج الطيبة لهذا الجهد، إذ تحسنت  
حالة إيرادات الأوقاف مع وجود إدارة منظمة.

### الثقافة والأدب

وهو أحد أوجه النشاط الهادف للجمعية، فهي ترى فيه  
تنويراً للعقول، ووصفت عملها بأنه يهدف لنشر المعارف  
وتغذية الأفكار بما لذّ وطاب من ضروب التحقيق، وأعدت له  
العدة بوسائل ومواد متنوعة، فأسست النادي الأدبي، قدمت فيه  
محاضرات مختلفة، وأقيمت الاحتفالات في المناسبات الدينية  
والوطنية، ففي سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م، فعلى سبيل المثال،  
للحصر، أقيم احتفال لتكريم بعثة الجامعة العربية إلى حضرموت  
برئاسة الدكتور سليمان الحزين، الذي زار مدرسة الجمعية،  
وجلسة تأبين الملك غازي ملك العراق، واحتفالات أخرى  
لتكريم سلاطين الدولة الكثيرية، وأساتذة الجمعية،



50

العدد (34)  
أكتوبر  
ديسمبر  
2024م

٩٩

ولمّا كان للمهاجرين الحضارم دور في تشجيع الجمعية، فقد تحرك وفد الجمعية في سنة 1356هـ / 1936م إلى إندونيسيا، واتصل بوجهاء الحضارم وشخصياتهم للتعريف بعمل الجمعية، وفي سنة 1358هـ / 1939م سافر إلى سنغافورة، وقابل مسؤولي جمعيتي الرابطة والإرشاد، الذين رحبوا بالوفد، وأبدوا استعداداً للتعاون معه، واقترح الوفد فتح مدرسة داخلية بحضرموت لتعليم أبناء المهاجرين الحضارم، من أجل ربطهم بدينهم ولغتهم ووطنهم

٦٦

ولمّا كان للمهاجرين الحضارم دور في تشجيع الجمعية، فقد تحرك وفد الجمعية في سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م إلى إندونيسيا، واتصل بوجهاء الحضارم وشخصياتهم للتعريف بعمل الجمعية، وفي سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م سافر إلى سنغافورة، وقابل مسؤولي جمعيتي الرابطة والإرشاد، الذين رحبوا بالوفد، وأبدوا استعداداً للتعاون معه، واقترح الوفد فتح مدرسة داخلية بحضرموت لتعليم أبناء المهاجرين الحضارم، من أجل ربطهم بدينهم ولغتهم ووطنهم، وفي الناحية الاجتماعية أيضاً، فتحت الجمعية مكتباً لضبط حالات الرضاع المؤدي إلى المحرمية وإحصائها وتسجيلها، ووضعت فهارس لتنظيمه خاصة، بعد انتشار هذه الظاهرة

### الجانب الاقتصادي

اعتبرت الجمعية الجانب الاقتصادي محوراً استمرارياً للحياة العامة، ففكرت بوضع خطة اقتصادية تشارك بها في انتشال الأوضاع، وأعدت نظاماً للإقراض عبر مساهمات الميسورين، وجمعت الزكاة في شهر رمضان من أعضائها وغيرهم، ووزعتها على المحتاجين، أما في باب الصناعات والحرف،

((وأمنت جمعية الأخوة النظر، فإذا ليس للشبان الحضارمة اتجاه عام، يتجهونه بشعور واحد، ونظر واحد، وغاية محدودة، فاتجاههم غير منضبط، واندفاعهم غير محدود))، ووضعت خطة لكسر تلك الحواجز، وجمع ذلك الشتات، وبدأتها بتعيين لجنة من أعضائها لزيارة الجمعيات والأندية الحضرمية والشخصيات البارزة؛ للتعرف على أفكار تلك المؤسسات ونشاطها، وتبادل الرأي عن سبل الإصلاح والنهوض بالخدمات، وتقديم المنافع العامة، وبدأت اللجنة عملها بزيارة منطقة المشهد، وأسست فيها جمعية التعارف لزيادة الروابط بين الحضارم، وقابلت لجنة الجمعية عدداً من الشخصيات، وناقشت معهم حالة حضرموت الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وطرق زحزحة الجمود المستولي على الأذهان، وألقى الأعضاء خطاباً عرّفت الناس بواجبهم تجاه بلدهم، ونتج عن المباحثات مع الشخصيات، فتح مدرسة بمنطقة حريضة، وزارت مدرسة النهضة بسيئون، وأقيم بها احتفال، وعقد اجتماع عن ضرورة توحيد المناهج المدرسية، والتقت بمدينة القطن بالأستاذ سعيد عوض باوزير، ومن الهيئات التي زارها اللجنة نادي الاتحاد بمدينة شبام، والنادي العلمي، ونادي الشباب بمدينة سيئون، وفي سنة ١٣٥٥هـ غادر وفد الجمعية مدينة تريم متوجّهاً إلى دوعن ومناطق ساحل حضرموت. وزار (١٥) منطقة، بالإضافة إلى المدارس التي اطلع على مناهجها وأوضاعها، والتقى بهيئات ثقافية واجتماعية، منها نادي الموظفين، ونادي الإصلاح، وغرفة المدرسين في المكلا، ودوائر العمل، كالأستشارية، والسكرتارية، والمعارف، والمالية، والمحاكم، وفي الشحر، زار نادي الشباب الأدبي، وقدم الوفد لتلك الهيئات بياناً عن نشاط جمعية الأخوة، وناقش مع السلطان القعيطي ومستشاره ورئيس القضاة، ومدير إدارة المعارف، وغيرهم من المسؤولين رأي الجمعية في وسائل الرقي والإصلاح والمشاريع المقترحة للنهوض بالبلد.





51

العدد (34)  
أكتوبر  
ديسمبر  
2024م

خطبة عن قضية فلسطين، ودعا الحاضرين إلى المساهمة في شراء الأراضي الفلسطينية، منعاً لخطة اليهود بشرائها، وقرر الحاضرون إرسال رسالة إلى الهيئات العليا في العالم العربي، المهمة بقضية فلسطين؛ للتعبير عن شعور أبناء حضرموت تجاه قضية إخوانهم في فلسطين، ونشرت مجلة الإخاء التي تصدر عن الجمعية في عددها الرابع، خبر تعيين لجنة لجمع التبرعات لمجاهدي فلسطين، ووزعت اللجنة منشوراً شرحت فيه ما يلاقه المجاهدون من نقص في الأموال،



**ألقى الأستاذ  
محمد بن هاشم  
خطبة عن قضية  
فلسطين، ودعا  
الحاضرين إلى  
المساهمة في  
شراء الأراضي**

**الفلسطينية، منعاً لخطة اليهود  
بشرائها، وقرر الحاضرون إرسال رسالة  
إلى الهيئات العليا في العالم العربي،  
المهمة بقضية فلسطين؛ للتعبير  
عن شعور أبناء حضرموت تجاه  
قضية إخوانهم**

وعدت مساهمة المواطنين فريضة دينية تجاه إخوانهم، وحصلت على مبالغ أرسلتها إلى المجاهدين بواسطة رئيس جمعية الشبان المسلمين بمصر الدكتور عبد الحميد سعيد بك، وقد أرسل رسالة جوابية في رجب سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م، يشكر الجمعية على هذا الموقف العظيم.

واستمرت الجمعية بأداء دورها، واتسع نشاطها بعد هذا البيان الصادر في سنة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م، إلى أن أغلقت بعد الاستقلال سنة ١٩٦٧ م.

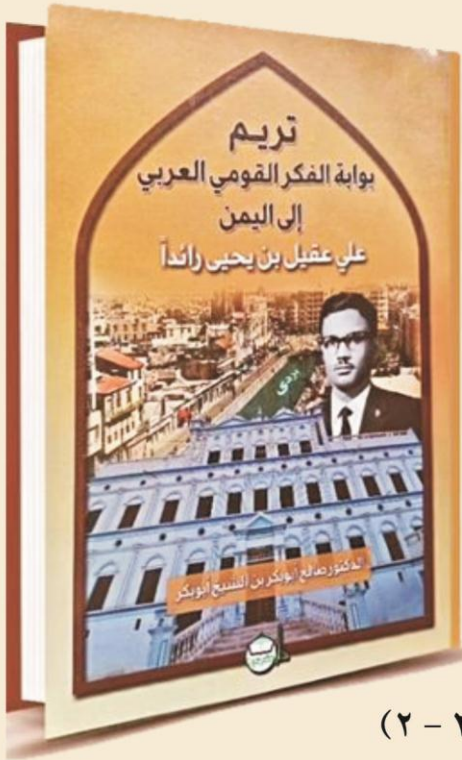


السيد محضار بن علوي الكاف  
ممول مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة للبنات

فعيّنت لجنة برئاسة عمر المحضار بن علوي الكاف، لتعليم العاطلين عن العمل بعض الصناعات والحرف، كالخياطة، والتجليد، وكي الثياب، والحيّاكة، وأسست شركة تجارية مساهمة، أسمتها (شركة المعاونة)، وعيّنت لجنة أخرى لتنظيم مجاري السيول بحضرموت من خلال تشييد السدود والمضالع، وإصلاح المجاري.

## قضية فلسطين

لم تقف الجمعية موقف المتفرج تجاه قضايا الأمتين العربية والإسلامية، بل تفاعلت معها، وأقامت احتفالات احتفاء بالثورات العربية، وتكريم بعض الشخصيات، ويتحدث البيان عن الاعتداء الصهيوني على فلسطين، قائلاً: ((لقد قامت وقعدت للاعتداء الجائر من الصهيونية على فلسطين العربية المسلمة، كل الهيئات الدينية والعربية، وأن حضرموت القطر الإسلامي - وفيها جمعيتنا المباركة - لم تقل إنها لم تأخذ بنصيحتها في القضية، غير أنها تتمشى في هوادة، والجمعية بدورها، نهضت متحمسة بقدر ما سمح لها به ظروفه))، ومن المواقف التي قامت بها، أن عيّنت لجنة من أعضاء إدارتها، وإدارة النادي الأدبي، والأستاذ محمد بن هاشم، والأستاذ علي عقيل بن يحيى وغيرهم لمتابعة قضية فلسطين، وفي سنة ١٣٦٦ هـ، دعت أعيان مناطق وادي حضرموت إلى مهرجان بقصر التواهي بتريم، وألقى الأستاذ محمد بن هاشم



# أصالة التحديث في مسار الفكر القومي عند علي عقيل

دراساته اللغوية والنقدية أنموذجاً

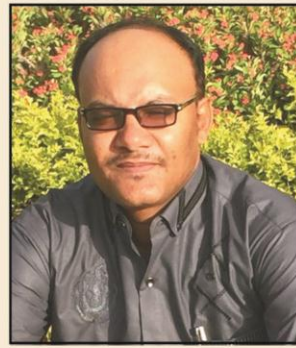
قراءة في كتاب

تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن

(٢ - ٢)

تحت عنوان (مع الشعر الحديث نموذجاً) يفتتح علي عقيل باكورة حديثه الذي قدّم فيه رؤيته النقدية المتعلقة بحداثة الشعر، مبيناً أن ثَمَّ رابطاً وعلاقة بين العلم وفلسفة الشعر قائلاً: «الحياة بطبيعتها قوية متحركة، والحركة لا تعني السير إلى الوراء وإنما إلى الأمام، وموقف الإنسان من الحياة موقف جدلي إيجابي؛ لأن السلبى يعني التوقّف والجمود، وهو أساساً مناقض لطبيعة الأشياء، ومناف لقوة الحياة. والشعر هو الرؤيا للحياة، كما يكون العلم اكتشاف قوانين الطبيعة والسر في تطبيقها، فإنه بطريقه إلى التطور والتجديد، وإن حدث توقف نسبي، أو تعثر في جدته (تحديثه)، في أيّ زمنٍ ما، فإنّما يكون ذلك جزءاً من انعكاس لتعثر الحياة العامة في ذلك المجتمع في إطار زمنه»<sup>(١٥)</sup>.

في هذه الفقرة نرى أن موقف علي عقيل من قضية تحديث الشعر، يقوم على أساس انبثاق هذا التحديث من الواقع المعيش للتجربة الشعرية، وبذّ التوقف والجمود؛ كونه مناقضاً لقوانين الطبيعة، فهو حركة إلى الوراء في وجه التقدّم والحداثة، التي يشهدها العصر، وقد قدّم علي عقيل رؤيته مصحوبة بشاهد علمي؛ هو اكتشاف قوانين الطبيعة، وهي سمة



د. زهير برك الهويميل

## ثانياً: أصالة التحديث في الدراسات النقدية:

تعد أصالة التحديث وقوفاً في نقطة وسط بين المسارين: التقليدي الأصيل، والوافد الحديث، والإفادة من كلا الوجهتين في تشكيل رؤية مستقلة؛ وهي منهجية جليّة، درج عليها الوعي الفكري لعلي عقيل، بعد ما قدمنا منه نموذجاً من الدراسات اللغوية عنده، سنقف على نموذج من الدراسات النقدية، يتمثل في قضية تحديث الشعر العربي، وانشطار النقاد بين مؤيد (حداثي)، ومعارض (محافظ)؛ وتشكل المدارس النقدية. بعيداً عن سرد ما صاحب ذلك من آراء نقدية عديدة ما يهمُّ بحثنا هو موقف علي عقيل من هذه القضية النقدية الحديثة القائم على منهجية أصالة التحديث.





علي عقيل بن يحيى

وكأنَّ علي عقيل يرى أن قضية تحديث الشعر ينبغي أن تكون لحاجة ماسة، تُعوِّزُ الشعرَ أن يسلك دروبها التجديدية؛ حتى لا يكون راكداً واقفاً على درب حركة قطار متحرك، فهذا هو التخلُّف الشعري، والركود الفكري في وجه الحضارة والمعاصرة.

يذكر علي عقيل بعض المظاهر الشعرية التي وردت في الشعر العربي منذ امرئ القيس، ويتساءل -بوعي منفتح- لمَ لا نقرأ تلك المظاهر بوادر محاولات من قبل أولئك لشعراء؛ لتحديث الشعر منذ ذلك الحين في شكل القصيدة؟! وإن بنمط خفيف لكنه مطروق؛ من هذه المظاهر ما حكاة قائلًا: «وقد نُسب إلى امرئ القيس كثرة الإقواء»<sup>(١٧)</sup> أو الإكفاء<sup>(١٨)</sup> في القافية، وكثرة التصريع في غير أول القصيدة<sup>(١٩)</sup>، واستعمال الضرب المقبوض في الطويل<sup>(٢٠)</sup>، والسناد<sup>(٢١)</sup>، والإيطاء (إعادة القافية الواحدة). ولعلَّ مرد ذلك هو محاولة الخروج عن القيود الشكلية كما في قصائد عبيد بن الأبرص، وعمر بن قميئة، وغيرهما. وأن ذلك ليس من عيوب الشعر عند الجاهليين، وقد أشار إلى هذا المعرِّي في رسالة الغفران...»<sup>(٢٢)</sup>.

عقلانية، تركز إليها سياقاته في مواضع عديدة من تحليلاته، التي يلبسها لبوساً منطقيًا عقلانيًا علميًا كلِّما أحوجُه الأمر المعنوي إلى بيان وتوضيح.

ثم يرسم موقفه من قضية حداثة الشعر بدقَّة أكبر قائلاً: «إن كلَّ قديمٍ هو محدثٌ في زمانه قياساً إلى ما كان قبله. إن الحدَّاة التي ينبغي أن نتحدث عنها وأن نطلبها ونُلحَّ عليها إنما تكون عندما يُراوح الشعر في زمنه عائداً بنفسه إلى الوراء لا متطلعاً إلى الأمام محاولاً التجاوز، أن نجد في أوائل القرن العشرين من يحن إلى الأطلال، ويذكر الربع والخيام والظعائن والإبل، ويكرر نفس الأفكار التي أتى بها شعراء الأطلال، وليس هناك شيء من هذا في بيئته، إنما أن نقترس الأشياء ونقيم الدنيا ونُقعد لها لنأتي بجديد، ونواكب الحدَّاة، وليس في أنفسنا ولا في طبيعة حياتنا ولا في تخلف مجتمعنا ما يمكن لمجيء هذا الجديد إلا إذا كان تقليداً أو تمحلاً، فيأتي في صيغ معقدة، ومعانٍ متنافرة، فهذا هو المحال منطقياً»<sup>(١٦)</sup>.

إنَّ هذه الرؤية قد تشكَّلت في زمن ثورة التجديد في مطلع القرن العشرين، وما صاحبها من آراء نقدية موائمة ومجاوبة، فهي بالنسبة لنا اليوم تاريخٌ نقديٌّ، لكنَّ فيها من النُّضج في الطرح النقدي ما يدعو للتأمل، فهو ليس ضد الحدَّاة، ولا معها على مدى مفتوح بلا حدٍّ يوطِّرها، بل يمكن أن نقرأ الاستنتاجات الآتية من خطاب هذه الفقرة:

- أن الدافع الملح للتحديث؛ من خلال تخلُّف الشعر وتراجعته هو ما يجعل التحديث أمراً ملحقاً ومطلوباً.

- الشعر المتطَّلِع إلى الأمام، والذي يحاول تجاوز المرحلة الآنية؛ هو شعر حي لا يحتاج تحديثاً.

- الشعر في القرن العشرين الذي يحنُّ إلى الأطلال والرسوم الدارسة، ويكرر الأفكار نفسها هو شعر متخلِّف بحاجة إلى تحديث.

- عدم قبول الجديد المقلَّد الوافد؛ الذي بينه وبين شعرنا فجوات من عدم الاتصال وعدم المواءمة.





د. صالح بن الشيخ أبو بكر

إن هذه المنطقة الوسط في الفكر النقدي عند علي عقيل بين الأصالة والتحديث هي من جعلته يوائم بين رأيين نقديين؛ أحدهما يمثل الموروث النقدي العربي هو القاضي الجرجاني، والآخر هو رمز من رموز الحداثة في الشعر العربي وهو الشاعر والناقد الحدائي (أدونيس)، فالجرجاني يقول: «إن الشعر علم من علوم العرب، يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادة له... ولست أفضل في هذه بين القديم والحديث، والجاهلي والمخضرم، والأعرابي والمولّد» (٢٤). ويقول أدونيس: «إذا كان ثمة فارق بين القديم والحديث؛ فإننا لا نلمسه بالضرورة في الشكل بل في الروح، في الحضور الشعري الشخصي الجديد الأصيل تعبيراً ورؤياً» (٢٥).

يختم الشعر عند الجرجاني بالطبع والرواية والذكاء والدربة، وهو المعيار في حداثة الشعر وجودته، بغض النظر عن عرقه وعصره. ولا يمايز أدونيس بين القديم والحديث في الشكل، في حين أن التحديث يكون في الروح والحضور الشخصي الجديد الأصيل في أسلوب التعبير، وهي الرؤية ذاتها التي آمن بها علي عقيل، وظل يناضل في ترسيخها في مشروعه النقدي، ولا سيما في هذه القضية قضية التحديث في الشعر.

يقدم علي عقيل في هذه الفقرة قراءة نقدية حديثة، تجعل القارئ يتساءل مثلما تساءل، فيحفر فينا تحديث قراءتنا للخطابات مثلما نتطلع لتحديث الشعر، وأن نعين ما أسماها لنا الموروث النقدي أغلاطاً، وقع فيها شعراء كبار، كمن ذكروا في الفقرة، بمعاينة حديثة وقراءات أخرى، تُضحى تلك المظاهر خروجات مقصودة من لدن هؤلاء الشعراء، الذين لا يمكن أن يغفلوا عن هذه السقطات الجلية في أشعارهم، وهم من هم في ميدان الشعر، لم لا نقرأ تلك الخروجات على القانون التليد بأنها محاولات تحديثية من قبل أولئك الشعراء؟! فلا يقتصر بذلك علي عقيل على الدعوة إلى تحديث الشعر حسب، بل إلى تحديث القراءة والمعاينة النقدية للشعر هنا. وهو كذلك يرى أن هذه الآلية آلية تحديثية وامتد الشعر العربي منذ عصر ما قبل الإسلام، انطلقت من حاجة استشعرها الشعراء في شعرهم، فلم يبالوا أين وقعت بهم الجملة الشعرية من مكان العروض، أو حتى من مكان النحو أحياناً، وهي أمور ينادي بها دعاة التحديث والتغيير في نمط الشعر الحديث وشكله، وهو ما يمكن أن نسميه (أصالة التحديث).

فتظل هناك منطقة وسط، تقف فيها الرؤية النقدية التحديثية للشعر عند علي عقيل، منبعها الأصالة المنطلقة من الموروث العربي ذاته، المتحرر والمواكب للجديد، وعدم مجابته بالوقوف أمامه وهو يمضي نحو المستقبل؛ لأن ذلك هو التخلف بعينه عند علي عقيل، وهو أمر تقرأه في سياقه المعجب بتحديث بشار بن برد في آليته المتبعة في أرجوزته الشهيرة، يقول علي عقيل عن بشار: «كان شعره إذن متحرراً من الإعجاب بأي شيء أتى به الشعر قبله، وهذا قمة التمرد على الشكل والمضمون في الشعر، كان تعبيراً عن نتاج الحضارة الجديدة فاستلزم التحلل من التقيد والقيود...» (٢٣).

فقطّع الشعر الصلة بالإعجاب للموروث الشعري قبله يُعدّ تمرداً وثورة على القديم، وتعبيراً عن الحداثة المعاصرة.





وإن كانت قراءتنا في الجهد الفكري لعلي عقيل أنت متأخرة لنتاجاته بعقود من الزمن، لكن القارئ بعمق يعي مسارات الحداثة النقدية والقراءة في تلك النتاجات التي توضح مدى انجذاب فكر الرجل النقدي نحو التحديث، المنطلق من عمق الأصالة العربية؛ وإن علي عقيل يرى أنه علينا كنقاد أن نوسع من إطار أفق قراءتنا لتراث الشعوب إلى ما هو أوسع من الشعرية والشعر "إذ إنه يرى أن تراث الشعوب ليس فقط في الشعر وحده، ولا في القصص وحدها ولا في الأحداث السياسية ولكن في كل شيء؛ علاقات الناس ببعضهم، وفي العادات والتقاليد، والأمثال وفي تندرهم ببعضهم، وجدّهم وهزلهم المنسوب لأشخاص حقيقيين" ،

الشعر وحده، ولا في القصص وحدها ولا في الأحداث السياسية ولكن في كل شيء؛ علاقات الناس ببعضهم، وفي العادات والتقاليد، والأمثال وفي تندرهم ببعضهم، وجدّهم وهزلهم المنسوب لأشخاص حقيقيين<sup>(٢٩)</sup>؛ وهي رؤية تتسع فيها مسارات القراءة من النص الشعري إلى الخطاب العام والسائد بشتى تجلياته الحضارية العميقة، والوثيقة الصلة بعلائق الأنسجة المجتمعية الثقافية المختلفة؛ وهو مضمار يحفر فيما يسميه النقد الحضاري أو الثقافي الأنساق الثقافية والحضارية لبيئة من البيئات، أو لأمة من الأمم. ومعلوم أن أهم ما يميز النقد الثقافي -المابعد بنوي- هو تركيزه الجوهرى على أنظمة الخطاب، وأنظمة الإفصاح النصوي، ولعلّ وجهة علي عقيل في الفقرة السابقة لا تبعد كثيراً عن رؤية الدكتور عبدالله الغذامي في نقده الثقافي، حين حاول مدّ

فرسم علي عقيل لنفسه رؤية خاصة؛ لخصّها في قوله: «إن القضية الأساسية في الموضوع هو أن تقويم الماضي بمفاهيم ومعايير العصر الراهن هو الذي يخلق شبح الشك والخيبة في الشعر العربي، عبر مراحل سيره، وكأنه لم يكن إذاك كوكب لعصره، ولا خالقٌ زمنية جديدة خاصة به؛ ولذلك تنهال الدعوة إلى إغفاله وأن النظر فيه هو الرجعية والعودة إلى الوراء، مثلنا في ذلك كمن ينتقد الآن نظريات العلوم في الأزمنة الماضية، واصفاً إياها بالتخلّف أو العقم؛ لأنها لم تكن حينذاك من التقدّم بالدرجة التي بلغت نظريات اليوم بينما الأمر يختلف»<sup>(٢٦)</sup>.

بهذه الفقرة يلخص علي عقيل رؤيته النقدية، القائمة على رفض تقويم الماضي بمفاهيم العصر الراهن ومعايير، والحكم برجعية الماضي وتخلّفه انطلاقاً من هذه الرؤية، فيفترق الزمان للمنتج والمقروء، فتختلُّ أنثى معايير القراءة النقدية العلمية السليمة. وهو أمر ينطبق علينا نحن اليوم ونحن نعين الجهد الفكري والعلمي والنقدي لعلي عقيل بمعاييرنا الآنية المعاصرة للجهد، مضت عليه عقود من الزمان، كانت كفيلة لتغيير مفاهيم علي عقيل وتحديث رؤاه ومعطياته فيما لو كان حياً بين ظهرانينا. لأن هناك مناهج نقدية حديثة اليوم ولا سيما النصية<sup>(٢٧)</sup>، والحضارية<sup>(٢٨)</sup>، منها يمكن أن تقرأ النص الأدبي في أي عصر من العصور، وإن بمعايير معاصرة فتكون فيها السلطة للنص نفسه على حساب النَّاص وزمانه وعصره.

### نموذج من تجلي ملامح النقد الحضاري عند علي عقيل:

وإن كانت قراءتنا في الجهد الفكري لعلي عقيل أنت متأخرة لنتاجاته بعقود من الزمن، لكن القارئ بعمق يعي مسارات الحداثة النقدية والقراءة في تلك النتاجات التي توضح مدى انجذاب فكر الرجل النقدي نحو التحديث، المنطلق من عمق الأصالة العربية؛ وإن علي عقيل يرى أنه علينا كنقاد أن نوسع من إطار أفق قراءتنا لتراث الشعوب إلى ما هو أوسع من الشعرية والشعر "إذ إنه يرى أن تراث الشعوب ليس فقط في





56

العدد (34)

أكتوبر

ديسمبر

2024م

أفق النص الأدبي، وخطابه قائلًا: "ولا بد أن نفتح المجال للخطابات الأخرى المنسية والمنفية بعيداً عن مملكة الأدب... فإن كل ما هو دال فهو لغة وخطاب تعبير، سواء كان حركة أو فعلاً أو هيئة أو نصاً، كل ذلك أنظمت في الخطاب ولذا فلا وجه للتمييز بين خطاب راق وخطاب آخر غير راق... كالنكتة والأغنية والإشاعة"<sup>(٣٠)</sup>. ففي كلا الفقرتين توجه قرائي يتجاوز النص وصولاً إلى الخطاب.

فما بين نزعة علي عقيل التحررية والتحديثية التي شبَّ عليها منذ بدايات نشأته، ورسوخ هويته العربية الأصيلة المستمدة من شغفه باللغة العربية، تشكلت رؤيته الفكرية النقدية تجاه النتاج اللغوي والأدبي، بل ونظرته للحياة برُمَّتْها، هذه الرؤية التي وضعته في مكان وسط، يقاوم جذب وشد الوجهتين المتقابلتين بوعي حذر (الأصيلة الموروثة/ والحديثة المعاصرة)، وهي المنطقة التي أثر بحثنا تسميتها (أصالة التحديث) في فكر علي عقيل.

#### الهوامش:

- (١) تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن، علي عقيل أنموذجاً: ص: ٧.
٢. السابق: ٧.
٣. السابق: ٦.
٤. ينظر، السابق: ٥٤.
٥. السابق: ٤٩.
٦. السابق: ٦.
٧. ينظر، القومية العربية والوحدة الكبرى: أنور الجندي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص: ٣.
٨. تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن: ٢٧٩.
٩. السابق: ٢٧٠.
١٠. السابق نفسه.
١١. ينظر، السابق: ٢٧٨.
١٢. السابق نفسه.
١٣. السابق: ٢٨١.
١٤. السابق: ٢٨٤.
- (١٥) السابق: ٣٠١.
- (١٦) السابق: ٣٠٢.
- (١٧) الإقواء: اختلاف إعراب القوافي، ينظر، تاج العروس من جواهر القاموس،

”فما بين نزعة علي عقيل التحررية والتحديثية التي شبَّ عليها منذ بدايات نشأته، ورسوخ هويته العربية الأصيلة المستمدة من شغفه باللغة العربية، تشكلت رؤيته الفكرية النقدية تجاه النتاج اللغوي والأدبي، بل ونظرته للحياة برُمَّتْها، هذه الرؤية التي وضعته في مكان وسط، يقاوم جذب وشد الوجهتين المتقابلتين بوعي حذر (الأصيلة الموروثة/ والحديثة المعاصرة)، وهي المنطقة التي أثر بحثنا تسميتها (أصالة التحديث) في فكر علي عقيل“

محمد بن محمد عبدالرزاق الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية: ٢١ / ٤٠٤.

(١٨) الإكفاء: الإكفاء في الشعر أن يُخالف بين قوافيه فتَجَلَّ بعضُها ميمًا وبعضُها طاءً، ينظر، السابق: ١ / ٣٩٥.

(١٩) التصريح: إنهاء الشطر الأول والشطر الثاني من البيت الواحد بحرف روي واحد.

(٢٠) القَبْضُ: (حذف الخامس الساكن) فتصبح به (مَقْأَعِيْلُنْ): (مَقْأَعِلُنْ)، وتصبح (فَعُولُنْ): (فَعُولُ)، ينظر، موسوعة العروض والقافية: ١ / ٣٣.

(٢١) السَّنَاد: وهو اختلاف ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات، ينظر، السابق: ١ / ٩٣.

(٢٢) تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن، علي عقيل أنموذجاً: ٣٢٣.

(٢٣) السابق: ٣٠٥.

(٢٤) السابق نفسه.

(٢٥) نقلاً عن السابق نفسه.

(٢٦) السابق: ٣٠٧.

(٢٧) المناهج النصية: هي المناهج التي نظرت إلى النص الأدبي بوصفه نظاماً مستقلاً من العلامات، ولم تهتم بالسياقات المحيطة به. ينظر، النقد الأدبي الحديث تاريخ موجز: د. سالم عبدالرب السلفي، ط (١)، ١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م، مركز الرسالة للخدمات المعرفية، عدن.

(٢٨) نعني بها: النقد الحضاري والنقد الثقافي، وهما منهجان نقديان يقومان على نقد الأنساق الخطابية الثقافية السائدة في ثقافة أو حضارة ما، ظهر ما بعد الحداثة الألسنية؛ نظراً للأول عربياً المفكر الفلسطيني الدكتور هشام شرابي، ونظراً للآخر الدكتور عبدالله الغدامي.

(٢٩) تريم بوابة الفكر القومي إلى اليمن، علي عقيل أنموذجاً: ١٠.

(٣٠) النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: د. عبدالله الغدامي، ط (٦)، ٢٠١٤ م، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء: ص ٦١.



# (حَضْرُوتُ الثَّقَافِيَّةِ) في ذكرى رحيله الخامسة عشرة

تنشر على صفحاتها حواراً (أول مرة) مع الشاعر والملحن الكبير

## عمر أبي بكر العيدروس

حاوره: صالح حسين الفردي



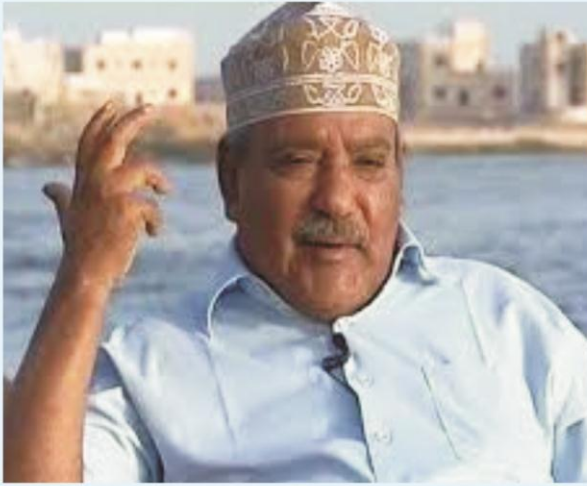
ما ستقفون عليه من سطور حوار الذكريات للشاعر والملحن الكبير عمر بن أبي بكر العيدروس - رحمه الله - كان ثمرة من ثمار برنامجي الفني، الذي دخلت به لأول مرة مجال الإعداد الإذاعي، في مطلع عام ٢٠٠٤م، عندما نجح الإعلامي الكبير سعيد سعد في إقناعي بالدخول إلى عوالم العمل البرامجي لإذاعة المكلا العتيقة، محفزاً لي وداعماً ومصرّاً على أن النجاح سيكون حليفي في هذا الفضاء الإبداعي المفتوح، وقد انطلقت بأول برنامج من إعدادي حمل عنوان: (من روائع الغناء الحضرمي)، لتقديم الأستاذة أفراح محمد جمعة خان، وتنفيذ مهندسي الصوت: عبدالله السيود، وأسامة جابر، وعمر بنبوع، الذين رافقوني رحلة البرنامج لعامين متواليين، كان من حصائد هاتين السنتين إجراء عدد من الحوارات مع عدد من مبدعي الأغنية الحضرمية، شعراء: العيدروس، وصالح عبدالرحمن المفليحي، ومحمد محفوظ سكران الكالف، وسالم أحمد بامطرف، وأحمد سالم البيض، وغالب

عوض باعكابة، وخالد محمد عبدالعزيز، وثابت السعدي، ومن الفنانين: كرامة سعيد مرسال، ومحمد مرشد ناجي، وعبد القادر جمعة خان، وعلي عوض بن هامل، وعبد الله سالم مخرّج، ومحمد علي عبيد، ومحمد عبدالرحيم باعباد، وأحمد مفتاح، وغيرهم، لتغدو هذه الحوارات وثائق تاريخية مهمة في مسيرة الأغنية الحضرمية، في زمن كان هؤلاء المبدعون الكبار لا يجدون من يحاول أن يوثق ذكرتهم الحياتية والفنية.

ومن جميل ذكريات الحوار مع الشاعر الإنسان والفنان المرفه (أبي وضّاح) عمر أبي بكر العيدروس أنني قد التقيت به أكثر من مرة في منزله العامر في حي الشهيد خالد، جوار فرضة المكلا القديمة، التي نافحت - كثيراً - للحيلولة دون هدم ما بقي من بقاياها سنوات التدمير لكل معالم المدينة البيضاء، التي عاش فيها وعشقها حتى الرمق الأخير من حياته في التاسع من يوليو ٢٠٠٩م، وقد وجدت فيه رحابة الصدر، وحلو المعشر، وطرافة النكتة، وعميق التجربة، فهو من مواليد مدينة المكلا في الأول من أبريل من عام ١٩٤٥م، بحي الشهيد خالد، أكمل دراسته الثانوية، ثم تحصّل على دبلوم في المركز الأقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية، التابع لمنظمة اليونسكو بين عامي (٧٥ - ١٩٧٦م)، عمل في مطلع الستينيات معلماً لثلاث سنوات في سلطنة الواحدي سابقاً بشبوة، ثم سنتين أخريين في منطقة بئر علي، وفي مطلع عام ١٩٦٧م عاد إلى مدينة المكلا ليعمل رئيساً لقسم الآثار والمتاحف التابع لوزارة المعارف بالدولة القعيطية يومئذ، ليُعيّن بعد الاستقلال مديراً للهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات بحضرموت حتى عام ١٩٩٥م، ثم أُحيل إلى التقاعد في عام ٢٠٠٢م.

والسطور القادمة، هي خلاصة لتلك اللقاءات التي تعددت مع هذا الشاعر والفنان والملحن والآثاري والإداري الكبير عمر أبي بكر العيدروس، ونحن نطوي (١٥) عاماً على رحيله إلى دار البقاء - رحمه الله -، لنجعل من صفحات (حضر موت الثقافية) رحلة جديدة لمحبي وعشّاق (أبي وضّاح)، وقراء المجلة الأعزاء في حضرموت كلّها، وامتدادها الكبير وطناً ومهجراً. فإلى محطّات الحوار التي تناولت مسيرة حياة الشاعر والملحن الكبير عمر أبي بكر العيدروس كلّها وعمله وفنّه وإبداعه.





الشاعر عمر أبوبكر العيدروس

” انتقلت إلى الآثار بطلب من الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه، فمند تلك السنوات قضيتها في الآثار لست كموظف عادي، ولكن كمسؤول، فمند هذا التاريخ وأنا مع كل من دخل البلد كباحث أو مستطلع أو دارس عملت مرافقاً لهم ودليلاً ومصدراً لمعارفهم “

والكذب أربع بنان، فإذا قست المسافة بين الأذن والعين تجدها أربع بنان.

• **نبقى في الجانب العملي، كم سنوات عطائك في مكتب الهيئة العامة للآثار والمتاحف؟ وما هي أهم الرحلات التي قمت فيها بمصاحبة بعض الخبراء، خاصة المستشرقين الأوربيين؟ وما هي أهم الاكتشافات التي تراها خدمت التراث والتاريخ في هذا الجانب؟**

- في الحقيقة، أنا صاحبت عدداً منهم، فمن عام ١٩٦٧م عملت بدايةً مدرساً لثلاث سنوات، ثم انتقلت إلى الآثار بطلب من الدكتور محمد عبدالقادر بافقيه، فمند تلك السنوات التي قضيتها في الآثار، وكنت لست موظفاً عادياً، ولكن كمسؤول، فمند هذا التاريخ وأنا مع كل من دخل البلد

• **الشاعر والملحن المبدع عمر أبوبكر العيدروس يسعدنا - اليوم - أن نلتقي بك أيضاً، نتحدث عن مشوار الغناء واللحن والكلمة، لنبدأ بسؤال - ربما يكون غير تقليدي - طبعاً أنت عملت غالب فترة حياتك العملية في الهيئة العامة للآثار والمتاحف مسؤولاً بعد عملك لفترة وجيزة في مهنة التدريس، لو سألت الآن هل خدمتك هذه المهنة، علاقتك بالتراث والآثار من ناحية التأصيل الفني؟**

- أولاً، شكرًا لهذا اللقاء، ويسعدني أن أكون ضيفكم، وأود أن أقول إن كل إنسان يتأثر بمحيطه، وأنا وجودي على رأس الهيئة العامة للآثار والمتاحف بحضرموت، وعلمي المتواصل في هذا المجال، والرحلات الطويلة التي قطعت فيها آلاف الكيلومترات، هذه خلقت لديّ أولاً معرفة عامة بأحوال البلد ومآثرها، بالإضافة إلى استماعي لكثير من الأشعار خلال مقابلي للناس، ومع الشعراء في جلسات السمر، تستمع إلى أشعارهم، فكل هذا يكسبك معرفة، فبلا شك إن هذا أثر فيّ، وساعدنا كثيراً حتى في انتقاء الكلمة المحلية من اللهجة الدراجة ننتقيها من هذا النبع.

• **يعني هذه تعطيك خصوصية وتفرداً وتميزاً بين أقرانك من الشعراء؟**

- طبعاً؛ لأن هناك فرقاً بين الشاعر الذي ينتقل في كثير من المناطق، والآخر الذي يتحرك من موقعه ومكانه فهذا معارفه قليلة إلا ما سمعه بأذنه، لكن الذي تراه بالعين ما هو كالذي تسمعه بالأذن فقط، فالمثل الحضرمي يقول: ما بين الصدق



الشاعر عمر العيدروس مع مُعد هذا الحوار الأستاذ صالح الفردي





”رافقت عالم آثار عالمي أعتقد  
اسمه (آرثر) من أعظم علماء  
الحضارات العربية الذي عمل سفينة  
من ورق البردي وعبر بها المحيط  
واكتشفنا أحسن وأجمل وأصغر  
معبد، لم نزل كل مكوناته موجودة  
فيه على الرغم من أنه مهدم  
تماماً، في منطقة اسمها  
(باقطفة) في منطقة سنا“

أغانيّ كتبتها في رحلاتي هذه،  
فأول أغنية (فهمك لمعنى  
الحب خاطئ) كتبها في سيئون  
وكذلك (يلوموني، تركّ العشق  
يا مغرور)

“

كباحث أو مستطلع أو دارس عملتُ مرافقاً لهم ودليلاً  
ومصدراً للمعارفهم، والدولة استعانتُ بي حتى في مهام  
أخرى أيام الأستاذ عبدالله محيرز رئيس الهيئة العامة بعدن،  
عندما اختارني لمرافقة عالم آثار فرنسي عالمي لعمل  
دراسات عن جميع أنواع النباتات، التي تنمو في أراضي  
الجمهورية والاستطبابات المحلية التي تقوم بها، ويضيف  
إليها اكتشافاته العلمية في هذا الصدد، هذه الرحلة مع  
العالم الفرنسي (البروفسور مينون)، الذي استقبله في مطار  
عدن الدولي السفير الفرنسي نظراً لمكانته العلمية العالمية،  
أخذتُ منا خمسة وأربعين يوماً، ابتداءً من أبين حتى قُف  
العوامر في الصحراء بحضرموت، فكانت رحلة شاقة  
ومتعبة، ولكن كانت مفيدة لي أنا شخصياً، من خلالها  
اكتسبتُ معرفة، وكذا الطريقة التي كان يحنّط بها البروفسور  
مينون هذه النباتات التي أخذتُ منها جميعاً ثلاث عينات،  
واحدة للمركز الآثار بعدن، وأخرى للمركز العلمي بفرنسا،  
وثالثة له شخصياً، وغالب أيام هذه الرحلة كانت تقصياً  
على الأقدام، على الرغم من كبر سنِّه (٨٦ عاماً) غير أنه كان  
نشطاً جداً وعاشقاً للرحلة التي اكتشف من خلالها نباتات  
نادرة جداً، لا تنبت إلا عندنا. كذلك رافقتُ عالم آثار عالمي  
أعتقد أن اسمه (آرثر)، من أعظم علماء الحضارات العربية،  
الذي عمل سفينة من ورق البردي وعبر بها المحيط، وعمل  
أخرى من مادة (الخوص) التي استخدمها البابليون في العراق  
وقطع بها المحيط وفي أثناء عبوره المحيط يبدو أصيب  
العالم بحادثة أو مشكلة عالمية فقام بإحراق السفينة في  
عرض المحيط احتجاجاً على هذه القضية، هذا العالم جاء  
إلينا ورافقتُهُ في زيارة الكثير من المناطق في وادي  
حضرموت، وعمل فيلماً دعائياً عن مدينة شبام؛ لأن في  
ذلك الوقت كانت هناك حملة وطنية ودولية لإدخال شبام  
ضمن التراث العالمي. كذلك عملتُ مع البعثة الفرنسية،  
وكنتُ أقوم بمسوحات وحدي، وفي أثناء ذلك اكتشفتُ  
موقعاً، على الرغم من أنني في الآثار كمادة علمية لستُ



أحياناً يأتي اللحن والكلمة معاً،  
 وأحياناً تأتي الكلمة، وهذا  
 بالنسبة لي أفضل، أنا أختلف  
 قليلاً عن المحضر الذي كان اللحن  
 عنده يسبق الكلمة، ينددن  
 باللحن ثم يبني عليه الكلمات  
 واللحن يأتي من (هاجسك)  
 بالكلمة التي تظل تدور في  
 رأسك؛ لأنك قلتها أنت عن معاناة،  
 فلن تستطيع أن تكتب كلاماً  
 جميلاً وقوياً لمجرد أنك أردت  
 أن تكتب قصيدة أغنية،

خبيراً أو مختصاً، ولكنني اكتسبت الخبرة من خلال  
 الممارسة والعمل، فطلبت من المدير العام الأستاذ عبدالله  
 محيرز أن يأتي في السنة القادمة بخبير من البعثة الفرنسية  
 العاملة في مدينة شبوة؛ ليقوم بالعمل معي، وفعلًا خرجنا  
 واكتشفنا أحسن وأجمل وأصغر معبد، لم نزل كل مكوناته  
 موجودة فيه على الرغم من أنه مهدم تمامًا، في منطقة اسمها  
 (باقطفة) في منطقة سنا، فاكسبت الكثير من خلال عملي هذا  
 من المعارف والمدارك، وخالطت عدداً من الناس والعلماء  
 والباحثين والمؤرخين في الحضارة العربية، حتى إنني عشقت  
 السفر والرحلات، وصرت لا أستقر في المكلا طويلاً ولا في  
 مكتب المدير العام لهيئة الآثار، فقد كان لقبني الوظيفي  
 (ضابط مسح آثار)، هذه المسوحات البدائية التي كنت أقوم  
 بها كانت هي التي تثير الطريق للباحثين.

#### • يعني أن هذا العمل أضاف إليك الكثير عملياً وإنسانياً؟

- كثير جداً، حتى إن أغاني كتبتها في رحلاتي هذه، وأول  
 أغنية هي (فهمك لمعنى الحب خاطئ) كتبتها في سيئون،  
 وكذلك أغنية (يلوموني، ترك العشق يا مغرور) كتبتها في سيئون،  
 يعني أن من أجمل أغاني كانت ولادتها في سيئون بعد رحلات  
 استكشافية عن الآثار في حضر موت، وجميعها جاءت من  
 خلال أجواء الفن والطرب والسمر التي تعقب أياماً من التعب  
 والعمل، فتتوقف للراحة فتكتب ما في خاطرك وتندندن به؟

• هذه الأجواء التي أضافت الكثير إلى تجربتك الشعرية  
 واللحنية، في زمن المبدعين الكبار حسين أبوبكر المحضر  
 وصالح عبدالرحمن المفلي وعبدالقادر الكاف والمعلم  
 حميدان وأحمد سالم البيض وسالم أحمد بامطرف وغيرهم،  
 وقد كنت من أصغرهم سناً، فمن البديهي أنك قد  
 تأثرت بهم والتقيت، فكثير منكم كانت لديه القدرة  
 المبدعة لصوغ الأشعار ونسج الألمان الجميلة، فبعد  
 هذا العمر صارت روائعكم هي من كلاسيكيات  
 الأغنية الحضرمية، كيف استطعتم خلق هذه  
 الظاهرة الفنية، وهل كان اللحن يسبق الكلمة  
 أو الكلمة تسبق اللحن، أو يأتيان معاً؟

- أحياناً يأتي اللحن والكلمة معاً، وأحياناً تأتي  
 الكلمة، وهذا بالنسبة لي أفضل، أنا أختلف قليلاً عن  
 المحضر، الذي كان اللحن لديه يسبق الكلمة،  
 ينددن باللحن ثم يبني عليه الكلمات، أما أنا فأولاً  
 آتي بالكلمة، ولو حتى مطلع بيت شعري، وفي أثناء  
 العمل والسفر والحركة يظل هاجسي مع هذه الكلمات



الشاعر العيدروس مع د. عبدالقادر باعيسى  
 في إحدى الفعاليات الثقافية باتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا





”

الجهات المسؤولة والمؤسسات الثقافية والإعلامية عطاؤها بالنسبة للمبدع صفر، فأنت تختفي من الشارع أو تمرض فلا أحد يسأل عنك، على سبيل المثال عندك الشاعر والملحن الكبير صالح عبدالرحمن المفلحي -رحمه الله- رحل وحقوقه مهضومة، ولم يلتفت إليه أحد، أو حتى يسعى من أجل علاجه وتطبيبه، الآن بعد أن توفاه الله سيُكرمونه، وهذا يعني أنهم يذكرونك بعد موتك، أعتقد أن هذا مصيرنا جميعاً

“

وأدندن بلحن أو نغمات، وعلى طول يمسك معي اللحن وأنا في سفراتي بين المكلا وسيئون، أو المكلا وعدن، يعني: كم لحن صُغْتُه بهذه الطريقة، كثير جداً، وأحياناً يأتي اللحن والكلمة معاً، واللحن يأتي من (هاجسك) بالكلمة التي تظل تدور في رأسك؛ لأنك قلتها أنت عن معاناة، فلن تستطيع أن تكتب كلاماً جميلاً وقوياً لمجرد أنك أردت أن تكتب قصيدة أغنية، قوة الكلمة وتأثيرها في الأغنية يأتي من شاهد حال ومعاناة، ومعبراً عما في داخلك بصدق، وحتى اللحن يأتي قوياً ومعبراً. لذا أغنيات المحضار والمفلحي وأغنياتي لا تستطيع أن تفصل الكلمة عن اللحن أو العكس؛ لأنها تعبر عن حالة شعورية لمبدع واحد فقط، يبقى بعد ذلك الأداء، وهو المكمل للأغنية ووصولها إلى الجمهور.

● **يلاحظ في فناني السنوات الأربعين الماضية، أن الأغنية التي تخرج بصوت أول فنان من الفنانين يتناقلها كل فنان حضرموت، وربما تذهب إلى خارجها محلياً وخليجياً، فهل ترى هذه الظاهرة خدمت انتشار الأغنية؟**

- والله، عندما يؤدي الفنان الأول الأغنية طبعاً تنطبع بصوته، حتى بعد ذلك إن غناها فنانون أقوياء ومبدعون، يظل السبق والاستماع من المتذوق للصوت الأول، وأحياناً حتى أنا كشاعر وملحن مثلاً: أعطيتُ مرسل الأغنية وغناها، ثم غناها محفوظ بن بريك أو بدوي زبير أو علي بن بريك، أنت بعد ذلك كشاعر وصاحب اللحن تتخير بين هذه الأصوات، فتجد أن البعض منهم قد أداها أحسن من الصوت الأول، ولكن في الغالب تبقى عالقة بالأول، كما قال الشاعر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى فما الحب إلا للحب الأول  
● **نظل في جو الشعر واللحن، ونبقى مع المبدعين الكبار الذين رسموا في الخمسين سنة الماضية من الإبداع، وجددوا روح الأغنية الحضرمية، وأنت منهم، لكن المبدع في حاجة ماسة إلى الرعاية والاهتمام، كيف تقوم دور المؤسسات الثقافية في رعاية هذا المبدع؟**

- والله بيني وبينك، وأنا مسؤول عما أقول من كلام... الجهات المسؤولة والمؤسسات الثقافية والإعلامية عطاؤها





بالنسبة للمبدع صفر، فأنت تختفي من الشارع أو تمرض فلا أحديسأل عنك، على سبيل المثال عندك الشاعر والملحن الكبير صالح عبدالرحمن المفلحي - رحمه الله - رحل وحقوقه مهضومة، ولم يلتفت إليه أحد، أو حتى يسعى من أجل علاجه وتطبيبه أحد أو جهة، الآن بعد أن توفاه الله سيكرمونه، وهذا يعني أنهم يذكرونك بعدما موتك، أعتقد أن هذا مصيرنا جميعاً، والذي سنؤول إليه، كما قال الشاعر أبو فراس الحمداني:

سيدكرني قومي إذا جدّ جدّهم وفي اللية الظلماء يفتقد البدر  
سيكرمون من؟! يكرمون رفاتاً في القبر، وإن كان له ناس وأهل وأولاد، كان يجب أن يتمتع بهذا التكرم في حياته، أنا قبل أيام اتصل بي فنان، وإلى جانبه مسؤول لا أريد ذكر اسمه، فقال لي: لا بأس عليك، وكنت لي شهر ونصف في البيت من كسر في الرجل، وهذا في التوّ يذكر، ويقول سنأتي لزيارتك، قلت له: أنا في المقهى كل يوم.

• **في إطار الرعاية والاهتمام، إذا قلنا هذا من المؤسسات الثقافية الرسمية، وهو من صلب مهامها، إذا أردنا كذلك رأيك فيما تقدّمه جمعية فنّاني حضرموت؟!**

- والله أنا لم ألمس شيئاً من الاهتمام أو حتى السؤال أبداً، فقط في الشارع وبالصدفة التقيت بأحدهم فيبادر أين أنت؟ ما الجديد معك؟ يعني عابر طريق. مع أنه تقام عندهم فعاليات وأمسيات ولكن لا نجد دعوة منهم، الدعوات توجه لشلة القات، والمبدع الحقيقي والذي أنت في حاجة إلى عطائه ما تسأل عنه.

• **طبيب، وكما يقال، كلنا في الهم شرق، قيل لي إنك في العام الماضي ومع موسم البلدة الأول، وضعت عملاً غنائياً من شعرك ولحنك عن هذه المناسبة، ما مصير هذا العمل؟**

- هذا العمل أنا جمّدته وأوقفته؛ لأن العمل طلب مني، في يوم كنت عند المحافظ، وكان موجوداً الدكتور سالم مبارك العوبثاني مأمور المديرية، وقال بغينا منك يا أستاذ عمر أغنية لموسم مهر جان البلدة، فقلت له: إن شاء الله، لأنني كنت مغادراً لاستكمال علاجي في مسقط، لكن اهتممت بالموضوع وعملت الأغنية وبلغت الدكتور سالم، قال لي بغيت من يغنيها؟ قلت له: من تروّنه أنتم. قال: وهو كذلك، لكن بعدها لم يتم

الاهتمام أو السؤال والتواصل، فجمّدتها وأعطيتها للفنان الشاب جواد باصديق فغنّاه في سهرات زواج، وحذّرتُه من أن يسجلها لأي جهة مسؤولة في البلدة أو إذاعة المكلا مهما كان، والقصيدة كتبّها أنا بما يتناسب مع مفهومنا نحن أهل المكلا للبلدة والموروث الذي كسبناه عن أجدادنا وقلت فيها:

حرص لا دخلت البلدة وخذ لك كل يوم غسله  
بها تشفى من العلة وتعافى من الأسقام  
وفي البلدة الشفاء التام

\* \* \*

عطية لك من الباري أنا وانه بها داري  
وكم غنى بها جاري وكم قلبي بها قد هام  
وفي البلدة الشفاء التام

\* \* \*

أنا حبّيت وبشدة وبلغت الهوى حده  
وحبّي كان في البلدة وكل من حب ما يلتام  
وفي البلدة الشفاء التام

\* \* \*

رعى صحتك وشبابك وسد من المرض بابك  
بغسله تسعد أحبابك وتحقق لك الأحلام  
وفي البلدة الشفاء التام

\* \* \*

تجارب ناس من قبلك أنا باعيدها لأجلك  
ولأجل النسل من بعدك وباقول يا رعى الله زام  
وفي البلدة الشفاء التام

\* \* \*

• **إذا قلنا أستاذ عمر بخلاصة بسيطة كيف تقييم المشهد الثقافي في حضرموت؟**

- والله يا عزيزي صالح، أولاً أنا مُغيّبٌ وغيري من المبدعين عن هذا المشهد، الذي لا نعلم عن أي فعاليات ولا عن أنشطة إلا بعد حصولها، فنقرأ عنها في صحيفة أو أن أحداً يذكرها لك، فالمغيّب ما يعرف شيئاً، لكن الذي أحسّه أن الأمور بدأت تخرج عن نطاق العمل الجيد والإبداعي، الذي الناس تستسيغه، ففيه أناس - اليوم - تكتب شعراً وتلحن، لكنها تفعل ذلك





الفنان عمر عيثان يشدو بإحدى أغنيات الشاعر عمر العيدروس في أثناء فعالية أقامها اتحاد الأدباء والكتاب بالمكلا

لشهر أو لشهرين ثم ما تلبث أن تنسى. إن الأعمال التي قبلها، كانت تُعدُّ تغذية روحية راجعة، سواءً للمحضر أو للمفليحي أو لي أو لغيري من مبدعي الزمان الماضي، لهذا فالثقافة اليوم - نائمة.

### • هل لديك هوايات أخرى غير الشعر واللحن، لا نعلمها؟

- والله كانت لي هوايات، وأنا من الناس الأوائل الذين عملوا في التصوير الملون، أول مؤسسة عملت في التصوير الملون في الجنوب كان المركز الوطني للأبحاث الثقافية، وكانت عندي موهبة ورغبة في التصوير بالأبيض والأسود، وخبرة بسيطة بالملون، ومنظمة اليونسكو وهبت المركز استديو ملوناً متكاملًا، وماكنة توضع فيها (٣٠ - ٤٠) فيلمًا تخرج جاهزة محمّضة وملونة، وهذا العمل أيام الأستاذ عبدالله محيرز، رئيس المركز، الذي استدعاني إلى عدن، فجلست عنده حوالي أربعين يومًا؛ لترتيب المعمل، وتدريب الناس للعمل عليه.

### • هل من هوايات أخرى - مثلاً - لك في مجال الرياضة؟

- الرياضة في الزمان الماضي كنتُ ألعب حارس مرمى، في أفرقة أحياء المكلا، لكن أخي سالم - رحمه الله - واصل الهواية واللعب، ليصبح حارس نادي الكوكب بالمكلا.

### • بالنسبة للجوانب الحياتية اليومية، الأكلات ماذا تعشق؟

- الآن أكيد عندي حمية، لكن زمان كنتُ أعشقُ الصيد الدهرة والرز الوقلة والصيدية، واللحم والبسباس الشتني، وغيرها.

### • إذا سألتك الآن أحب بقعة لك في المكلا؟

- إنَّها حي الشهيد خالد، هي البقعة التي كانت مرتع الصبا، في بيت آل الحبشي، من أهلنا، في منطقة يطلق عليها النوبة، كنّا نجلس في المكان بعد الغداء ننزل من البيوت، خاصة في أيام الخريف، تكون أمواج البحر في شدتها، والبحر يطرطش بالرداذ البارد، حتى أنه في مرة كان الموج شديدًا فأخذنا في طريقه حتى آخر الشارع، ومر من بين البيوت المتلاصقة،

وجرف الجميع في طريقه. ثم يأتي بعده المقهى التي كان يطلق عليها مقهى الجيب، وهي لواحد من أهلنا، كان لنا جلسة فيها، وهي قريب من مححب السفن، نجلس على قعيد من العطير (الجبال)، ونجلس مع (اللوز) أو (القلي الفشار)، ومع الشاهي والهواء البارد، وهي من أجمل ذكريات العمر.

### • يعني البحر له علاقة حميمية معك؟

- جدًّا جدًّا، أنا هوايتي كانت هواية الاصطياد، تجري في دمي.

### • البحر ماذا يعني لك؟

- البحر مثل الليل، ما يكشف أسرار، كان الشيخ الشاعر عبدالرحمن باعمر يقول:

الليل مثل البحر كم في الليل من أسرار  
ما يكشف أسرار

فالبحر مثل الليل، عمق، ورؤية بعيدة وصفاء قلب أيضًا، لأنك تكون بين سماء وماء، وهذا شيء جميل جدًّا.

### • ما حكاية الحب معك؟

• الحب عند المحضر مثل البحر تلعب به الرياح، المفليحي قال: وحبي واضح الرؤية ولا ينكره لك حد، أنت قلت: فهمك لمعنى الحب خاطي ما طعت تفهمنا، حكاية الحب والعشق معكم ما هي؟

- والله أقول لك أيش!، الحب هو المعاناة طبعًا، (يضحك): السؤال محرج قليلًا، وجاء بعد البحر، والحب عند الناس، فكلُّها تحب، وعندما تشوف الجمال تندش له، وتنجر ف وراءه، فمثلي مثل أي إنسان آخر، اللهم إنني بعد أن يحصل





”الشعر يأتي من معاناة،  
فكلما (انقرفت صارت لك قرفة)  
والصدّ الشديد جعلتك تكتب أكثر،  
وكلما تمنّع عليك من تحبه،  
وزاد في الغنج زاد الولع به،  
وزاد العطاء الشعري واللّحني“

الكلمات - ولا فخر - فريدة من نوعها، ولا أحد قد سبق إليها،  
وبالتالي هي تجربة كانت قصيرة، وصاحبها القطيعة، ولم يكتب  
لها النّجاح، ففجّرت هذه المشاعر، فكانت هذه القصيدة:

فهمك لمعنى الحب خاطي ما طعت تفهمنا  
لا جيت با جدّد رباطي في الحب تمنعنا  
والحب ما يحكمه قاضي ولا له عرف أو قانون  
يكفيك يا قلب بس لما متى محنون

والشاعر بعد الأغنية الأولى يستمر، يبني عليها في المنوال  
نفسه، لأن القطيعة روحية، لكن المعاناة مستمرة، فتستمر في  
الكتابة في القصة نفسها؛ لأن ما هناك قطيعة نهائية فيها،  
فالمحبوب هو المحبوب، والحكاية هي الحكاية،  
والمشاعر هي المشاعر.

• **وعدت سابقاً بأن الكثير من روائعك تعدّ لإصدارها  
في ديوان، أين وصلت في هذا الجانب؟**

- أولاً، إن كانت ثمة فناعة، فرائعي ما اكتملت عندي، لأصدر  
ديواني، لأن العطاء ما يزال قليلاً، ولا بغيته ينزل إلا في وقت  
مناسب، والشهية مفتوحة من الناس لما هو معك، وليس  
كما هو الآن، الناس مشغولة بسفاسف الأمور لا بمعاليها،  
فلا أريد النزول في هذا الجانب والحال هذه، قصائدي كلها  
مجمّعة، كنت وعدت الأخ غالب بافطيم ليعمل تصميمًا  
للغلاف، فأخذه في (سي دي) معي إلى عمان لطبع، عن طريق  
صديق إعلامي هناك اقترح علي ذلك، وهناك شخص آخر  
من شيوخ آل رؤاس من آل كثير مقيم في أبوظبي يرغب في

الحب في قلبي أعبر عنه بالشعر واللحن، وهذا الذي يفرق بيني  
والإنسان العادي، الذي تأتبه التجربة وتذهب ولا يلتفت لها،  
في حين أنا وغيري من الشعراء نذهب في خيالات، فأعذبُ  
الشعر أكذبهُ، لأنه يضيف إليه من خيالاته، وليس كل ما يكتبه  
الشاعر هو الواقع.

• **كل شعراء الأغنية العاطفية الرومانسية، جاءت  
روائعهم بعد قطيعة، بعد صدّ وجفاء وهجران،  
فجاءت هذه الروائع، هل نستطيع نحن أن نقول إننا  
- كمتذوّقين - سعداء لأن هذا المحبوب تمنّع عليك  
حتى تكتب وتبدع؟**

- (يضحك طويلاً) هذا صحيح، الشعر يأتي من معاناة،  
فكلما (انقرفت صارت لك قرفة) والصدّ الشديد جعلتك  
تكتب أكثر، وكلما تمنّع عليك من تحبه، وزاد في الغنج زاد  
الولع به، وزاد العطاء الشعري واللّحني؛ لأنك تريد أن تتكلم  
وتُخرج ما في نفسك، وتشرح له معاناتك بأي طريقة، وتعتبر  
شعرك رسالة له، فهي كلها رسائل حب، فصارت رسائل  
المحبين الآخرين دون شك، وأنا كذلك أشكره لأنه فجّر فيّ  
طاقات الإبداع، كما قال الشاعر حسين محمد البار:

ولو لم يكن منك هذا الأذى لزلزلت الأرض زلزالها  
يعني البار يقول لك: إنه لو لا أذاها وتمنعها وغنجها ودلّأها  
ودكّعها الذي فجر فيه طاقة الإبداع، لما كتب شيئاً أبداً.  
(يوصل ضاحكاً ترديد بيت البار).

• **ربما عند المحضار تتعدّد التجارب العشقيّة،  
لكن تجربتك أنت تقترب بشدّة من تجربة الراحل  
صالح عبدالرحمن المفلي، في جانب أن من يتتبع  
قصائدك الغنائية يجدها كالمفلي تجربة عشق  
واحدة أو قصة حب واحدة، فأنت تجربتك بدأت مباشرة  
بالفهم المغلوط من المحبوب للحب؟**

- أنا كنت أكتب وأنا طالب، وكانت قصائدي كلّها في عشق  
الوطن، ما كتبت في الحب إلا قصيدتي الأولى (فهمك لمعنى  
الحب خاطي)، وجاءت فعلاً بعد قطيعة، لأنني كنت على أمل  
أن يتحقق، لكن لم يحدث شيء؛ لعدم فهم الطرف الآخر،





أنا لما قلت لك قبل قليل إن أغلب أغانيّ قُلْتُها في سيئون،  
هذه تؤكد ما قلت.

• **القصيدَة تبدأ مباشرة بتحدٍ ومفارقة، ولم يكتفِ  
المحبوب بذلك، بل راح وأفشى كل أسرار تلك العلاقة،  
هي مفارقات عشقيّة، ومطلع قوي، أكيد، يردد: (طبعاً  
طبعاً)، ونتيجة منطقيّة، أنت الآن بعد مرور سنين  
طوال على هذا النصّ الغنائيّ كيف تنظر له في دواخلك؟**

– والله أنا لا أزال أعيشه، شف! أحياناً ليس الناس المستمعون  
هم الذين يعجبون بغنائك، حتى أنت تعجب، أنا الآن لما نسمع  
بعض أغانيّ، يساورني شك أنني قُلْتُها، وأردّد: أنا قلتُ هذا؟  
والله كلام جميل، فبعض النصوص لما نسمعها نعيد جوّها  
ونعيش معاناتها، التي سبقت، نستعيد اللحظة، ونفكر ونقول:  
أنا كتبت هذا، بجد إلى هذا الحدّ، لأنك أنت عندما تكتبُ في  
تلك الساعة، تكتبُ عن معاناة، وبغيت توصف حالك،  
وبغيت أن توصّل رسالتك لمحبيك، فلا نعيّن ولا ننظر  
ما كتبت أنا، لكن! بعد ذلك نسمع الأغنية نعرف ما كتبت،  
ونشوف أحياناً حتى نصحّح نقول: لو عادنا قلت كذا يكون  
أفضل، لكنه كلام جميل، كلّ من الواقع، وطريقة صحيحة،  
ورسالة واصله بقوة.

• **طيب! أنت في هذا النصّ الغنائيّ رسمت لوحة  
حبّ بدیعة، بالرغم من التحدي والمفارقة، في المطلع،  
لكن المسكوت عنه، أن هناك حكاية حبّ قویة منك،  
قوبلت – فيما بعد – بصدّ وهجران، وربما ألمك  
أيضاً إفشاء هذه الأسرار، وتنكره، ففي هذه المناجاة  
– المسكوت عنها – رسمت لوحة لهذا الحبّ؟**

– صحيح، (وتنهيدة) رسمت لوحة لأنني أريد أن أذكر أن  
هذا التحديّ ما كان يجب أن يحصل، وهذه القطيعة يجب  
ألا تكون، والهجران ما كان يجب أن يكون، ونحن بيننا هذا  
كلّه الذي كتبته، فيما بعد البيت الأول، فما كتبته بعد المطلع،  
هو صورة لما كنّا فيه، فكيف طابت له نفسه أن يجحد هذا كلّ،  
ويتنكر له، وأنا بعذره، لأن الصدّ والهجران، قد يجيء أحياناً  
ليس ذلك حبّاً في الصدّ والهجران، لا، فأحياناً دلع محبوب  
على حبيبه، وهكذا، كما قال الشاعر إبراهيم ناجي:

مساعدتي في طباعة الديوان، ولكنّي وأنا متألّم من حكاية الشيخ  
الشاعر عبدالرحمن باعمر – رحمه الله –، إذ أخذوا ديوانه في  
وزارة الثقافة ليطبّعوه، وشهر وراء شهر، وسنة وراء أخرى،  
تعب في المتابعة، وفي آخر مرة كنت مسافراً إلى عدن في مهمة،  
أوصاني وطلب مني التواصل مع الوزارة، أجابني أحدهم وقال:  
نحن منتظرون مقدمة محمد سعيد جرادة ودعم الثقافة.

• **النصوص الغنائية البديعة الكثيرة في تجربتك، لفت  
انتباهي من بينها، نصّ أغنية:**

**يلوموني يلوموني وهم بالوصل أغروني  
وشبكوني معاه**

– يطلق تنهيدة، ثم يشد مطلع الرائعة:

تحدانا وفارقنا وريته ضبّط الآخر حفظ أسرارنا  
ولكن راح يتجنّى يقل للناس لاجبه ولا شيء بيننا  
ولا قلبي هواه  
هذا جحدان كامل، ثم يكمل قائلاً:

كأنّا ما تعارفنا إذا مرّه خطر جنبني تجاهل من أنا  
ونا لولاي ما تغنّى بحبه بليل الوادي ولا صدح بالغناء  
ولا رفرف لواه

\* \* \*

نسي أيام ما كنّا من كؤوس المحبة نحتسي خمر الهناء  
وطير الشوق ثالثنا ينجي خده الوردي ويمرح فوقنا  
(مرسال قال: ويسرح فوقنا).

نسي ماضي قضا

\* \* \*

سلوا عنّا ربّي الغناء وحيطان الطويلة كم ثراها ضمنا  
وكم بتنا بها نهنى وبالقبلا على الخدين نرسم حبنا  
وكم قلبي احتواه

\* \* \*

بظنّي إنه استغنى وإلا كيف يخرب عتم جاري بيننا  
ويجني وسط كل مجنى ونا من سمح عودته على مجناي أنا  
ولم أعشق سواه

\* \* \*





،،  
(مرسال وبدوي ومحفوظ)  
الثلاثة كلهم مبدعون، ولا  
أستطيع أن أميز بينهم وأختار،  
فهم من القامات الفنية، وكلُّ  
منهم له طريقته في الغناء  
والأداء، ويعطي من روحه  
دقائق جديدة للكلمات واللحن  
،،

شيء كبير، ومشاعر جميلة، فيما بعد، قبل (يلوموني). أغنية  
(ترك العشق يا مغرور)، وهناك أيضاً أغنية: (فاضت بي  
أشجاني، وظناني الشوق، ورجعت من ثاني حالي منكّد،  
باللي تولّي علي، واحكم لي الطوق، وتركت في حبه، كل  
زين أغيد، وهو يعاملنا بكلام معسول، ترك الوفاء في الحب،  
شيء غير معقول)، هذه الأغنيات، كانت تشير إلى ما  
وصلت إليه العلاقة، وشرحت طبيعة الإنسان وعلاقاته،  
فهناك في العلاقات والمشارع، تبقى الكثير من المواقف  
والذكريات لا تنمحى، ولا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها  
وإن حرص على ذلك، فنصوبي الشعرية كلّها لو تتبعناها  
ستجدها قصة أو حكاية أو تجربة فيها الصعود وفيها الهبوط  
(قصة حياة)، في هذه المشاعر الإنسانية.

• نصّ (يلوموني)، تغنّت به الكثير من الأصوات الغنائية  
في حضرموت وخارجها، ولكنني أرى أن المبدعين الكبار  
كرامة سعيد مرسال، وبدوي زبير، ومحفوظ بن بريك،  
كانت هي الأصوات التي ارتقت بالنصّ في الأداء، ولكل  
منهم طريقته في تقديمه، كيف تنظر إلى هذه المسألة؟

– الثلاثة كلهم مبدعون، ولا أستطيع أن أميز بينهم وأختار  
(يضحك)، فهم من القامات الفنية، وكلُّ منهم له طريقته في  
الغناء والأداء، ويعطي من روحه دقائق جديدة للكلمات  
واللحن، فالكلمة القوية واللحن الشجي تفرض على  
الفنان قوة حضورها، فيقدمها بما يتلاءم وحالته النفسية  
وشفافية روحه.

واثق الخطوة يمشي ملكاً ظالم الحسن شهى الكبرياء  
يعني يكون دلالة معشوقاً أيضاً، وأعتقد أن لي قصيدة  
قديمة ذكرت فيها شيئاً كهذا.

• هل – أيضاً – أنت لأن المحبوب، الذي أنكر وجدد، كان  
يسري بين الناس كي يتبرأ من هذه العلاقة بكل وسائله،  
فجاء هذا المنشور العشقي منك دفاعاً عن هذه العاطفة،  
هل هو بيان دفاع؟

– طبعاً، هو دفاع عما بيننا، بشكل مهذب.

• أقاطعه: أليس في ذلك إفشاء أسرار؟

– كان إفشاء مهذباً لا بد منه، حتى أنه بعد سماعه لهذا النصّ  
عدّل قياساته كلّها.

• يعني، تريد منه، حتى إن أراد كشف الأسرار، فعليه  
أن يكون أميناً فيما ينشر؟

– نعم، هذا بالضبط ما كنت أريده، وكما قلت لك بعدها:  
عدّل قياساته كلّها.

• هناك صور جميلة في هذا النصّ، منها: (تخرب عتم  
جاري بيننا)، (ونا من سمح عودته على مجناي أنا)،  
كيف هنا (عتم بيننا)، ثم (مجناي أنا)؟

– صحيح، ما أقصده، أن المشاعر كانت تسري بيننا، كمياه  
العتوم الجارية الصافية، وعندما تغير وأنكر كل العلاقة وتكرّر  
لها، كان قد فارق ما تعودنا عليه، معاً، وكأنّ المجنى الذي  
ذهب إليه، ليس بالمجنى الذي عودته أنا عليه.

• نأتي إلى الشَّلَّة، (يلوموني يلوموني)، هذا  
الاستمرار في اللوم ممن كانوا سبباً في توريطك، فماذا  
تقول لهؤلاء اللوام والذين أغروك اليوم؟

– أقول: الله يهديهم، وهذه القفلة، مُرسلة لهم، هم دون  
غيرهم.

• قلت: إن التجربة الشعرية، والشعرية تنهل من  
نبع واحد، وتتناص مع غيرها تباعاً، ففي القصيدة  
الأولى قلت: (فهمك لمعنى الحب خاطئ)، فهل البداية  
الخطأ هي التي أوصلتك إلى لحظة (تحدانا وفارقنا)؟

– الحقيقة أن (المنصوب واحد)، (يضحك)، والقصيدة  
الأولى جاءت كي لا يحصل الفهم الخاطئ للحب، الذي هو





الشاعر العيدروس مع الفنان د. عبد الرب إدريس أثناء زيارته مدينة المكلا

- (مرسال)، أنا أغاني كلها، أول ما أنشرها تكون بصوت مرسال، أتصل به فيجيء إليّ، ويأتي بالعود معه، ويشل اللحن، والنص قده موجود، مطبوع، وأنا لذي معرفة بالعزف على العود، نغني له الأغنية كاملة، وهو يستمع، وأحياناً أعطيها له (دندنة)، وهو يشلها بالعود، لما يكتمل فهمه للحن يسجله شريط، وأحياناً نتواصل حتى في الشارع، معقول؟ (نعم).

• **ونحن على عتبة الباب، وقد جاء ذكر الشاعر والملحن الكبير الفذ حسين أبي بكر المحضار، ماذا يعني لك هذا الرجل، في ذكرى رحيله السادسة (فبراير ٢٠٠٦م)؟**

- المحضار بالنسبة لي هو شيء كبير جداً، لا تقدر على تخيله، فإذا قلتُ هو شاعر، فهو شاعر كبير، وإذا قلتُ هو أب وأخ وصديق فهو كل شيء بالنسبة لي أنا شخصياً، ولي علاقة به وطيدة جداً، ووُدِّيَّة جميلة لفترات طويلة جداً، فالمحضار هو الشعر، هو الكلمة الجميلة، هو اللحن الشجي، هو كل ما تحويه من جمال ومن قيم جمالية يمثلها المحضار، وبالنسبة لي في ريعان شبابي كان المحضار يشغلني موطئاً في الهيئة العامة للآثار والمتاحف بحضرموت، وكانت لنا جلسات خاصة، في بيت المرحوم عمر سالم العطاس، كشلة أصدقاء (إخوان الصفاء)، فالمحضار من الصَّعب أن أوفيه حقّه، كشاعر وصديق وفنان، وكرجل اجتماعي جلساته لا تملُّ أبداً.

• **هذه الرائعة - اليوم - ما صداها في نفسك أنت؟**

- والله، صداها صدى جميل جداً في نفسي، وكلّما أسمعها تذكّرني بوقتها، الذي قلته فيه، وتذكرني بشلة الأصدقاء الذين كنت معهم، وتذكرني أيضاً بالمحجوب نفسه.

• **قلت لي: إنك الآن على اتصال بالفنان الكبير عبد الرب إدريس؟**

- الأستاذ عبد الرب على اتصال بي الآن كثيراً، فمنذ أن غادر بعد زيارته للمكلا (مايو ٢٠١٥م)، يتصل بي دائماً، ويسمعني بعض الألحان لبعض النصوص الجديدة، التي أعطيته له في أثناء زيارته، وأعطيته شريطين لبعض أعماله القديمة التي غنّيت، وكانت ردّة الفعل عنده أن هذه الأعمال جميلة نصّاً ولحنّاً، وما كان يجب أن تنحصر في المكلا (فقط)، بل كان يجب أن تأخذ شهرتها في الخارج، وأشار إلى أنه يودّ أن يغني مجموعة كبيرة منها، وهو مُعجَبٌ بها، ولكن لأنها سُمِعَت بأصوات آخرين ولفترات طويلة، ولكن قد يأخذ رائعة ويجلدها، إضافة إلى النصوص الجديدة التي منحتها له.

• **في هذه الأغنية (يلوموني) الموسيقى غير الجمل اللحنية المغنّاة، كيف جاءتك هذه الفكرة؟**

- والله، هي مجرد خواطر راودتني، وقد كنتُ عملتُ الموسيقى من محط واحد، أو مقام واحد، بحيث إن نهاية المقام تسمح بالشروع في الغناء، كذا كان (المزاج)، وكانت فعلاً جميلة ومكمّلة للحن، ونجحت بقوة.

• **هل ترى أنت أننا وفّقنا في اختيارنا لرائعة (يلوموني)، وتأجيلنا لرائعة (تركّ العشق يا مغرور)؟**

- (يضحك)، نعم، الصراحة يعني، وفقت كثيراً فيها، كل النصوص جميلة، لكن هذه الأغنية اشتهرت أكثر؛ لأنّ لحنها (شرحي)، راقص، لذا كان الاختيار موفق.

• **من أول من تغنى بها؟**





المحضر هو بالنسبة لي  
شيء كبير جداً لا تقدر أن  
تتخيله، فإذا قلتُ هو شاعر،  
فهو شاعر كبير، وإذا قلتُ هو  
أب وأخ وصديق، فهو كلُّ شيء  
بالنسبة لي أنا شخصياً

لي: يا أبا وضاح أنا مسافر عدن، لك حاجة خدمة، وأنا كنت أحبُّ القات، لكن الحمد لله تركتهُ تماماً، والقات وقتها كان ممنوعاً في حضر موت، ودخوله صعب، لكن قلتُ لكن بيد المحضر أكيد سيدخل القات، فأحببتُ أن أختبره، قلتُ له: بغيت قات! إذا جابه زيادة الخير خيرين، وإن ما جابه فقد أخرجته قليلاً، قال لي: أبشر، فراح المؤتمر وعاد الناس، ورجع صالح باعامر برسالة منه؛ إذ تأخر هو، البساطة في شعر المحضر هي التي جعلت من شعره يستسيغه كل الناس، كأنه يكلمك بكلام عادي، ما كأنه يقول قصيدة شعر، كتب لي رسالة شعر، بالضبط مثلما تكتب أنت رسالة خاصة لصديق أو لأهلك، كيف أحوالكم، وهكذا، فتحت الرسالة، وجدت فيها:

إلى مديري وابن عمي برسل رسالة معاك

العيدروس الفاضل السيد عمر بوبكر ذاك

### • طيب، هل تأثرت به؟

– تأثرت به كثير جداً، وكان هو مثلي في الشعر، وكان تأثيره واضحاً في أغاني، لدرجة أن الناس كانوا يظنون أن هذه الأغاني لي وهي كلمات المحضر وألحانه، فأنا متأثر بالمحضر كلمة ولحناً، يعني من مدرسة المحضر، هذا ما فيه شك أبداً، فهو أستاذي على ثلاثة مستويات، شعراً ولحناً وأخلاقيات تعامله مع الناس، فأنا متأثر به كثير جداً.

### • طيب، كيف استطعت أن تكون مسؤولاً عليه وهو أستاذك ثلاث مرّات؟

– طبعاً، هو أستاذي في الجوانب الأدبية والفنية والاجتماعية، وبالنسبة للعمل أنا قبله في العمل، وأسست الهيئة العامة للآثار والمتاحف بحضر موت، وهو جاء بعد التأسيس، وقد كان يسمي الهيئة مركزاً، في ذلك الوقت كنا تابعين لإدارة الثقافة، فصرنا مستقلين، وكان مديري حينها أيضاً الأستاذ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، فعندما أسسنا فرع المركز، وأصبحنا مستقلين، جاء المحضر واشتغل معنا، طبعاً جاء بصورة استثنائية، وغير ملزم بالدوام، ولكن من باب ضمان وظيفة له، وحتى يحصل معاشاً مثل الناس، وهو يستحق كل خير، وهو نوع من التكريم له، وأعطوه درجة أكبر من درجتي أنا المسؤول عليه، (يضحك)، وقد حكيت لك أنه قال في ذلك شعراً أرتجالياً حين حاولت أن أستفزه بمثل هذا القول، فقال: ذلّا صحابي يوم وحلوا بي وقالوا ايش بانلقي لبو محضر اجتمعوا كلهم مرّة ولقونا مساعد ضابط الآثار لا الآثار من شغلي ولا أنا من عرب يهون رسم الدار لهم أغراض في الماضي بتأويل الكتابه لي على الأحجار ونا مشغول بالحاضر وبالآتي وما يحويه من أسرار هذا هو المحضر، حتى في لحظة ظرفه، عميق جداً، وكثيراً ما نعلق عليه، وينكت علي، ويأتي بكلام مثل هذا وكثير أيضاً.

وهناك من طرافته وظرفه، مثال آخر، يشهد عليه الأستاذ صالح باعامر، سافرا من عندي لحضور المؤتمر التأسيسي لاتحاد الأدباء والكتاب في عدن في العام (١٩٧١م)، فقال





## هؤلاء المبدعون راحوا مهضومين ومظلومين، ومن دون رعاية وعناية، ومطمورين لا أحد يعلم عنهم شيئاً، فكأننا في زمن العقم في حضرموت، وحضرموت -والحمد لله- ليست عقيمة

يطلع لك مبدع واحد، إما في التلحين أو في الشعر، أو في الغناء، أو في القصة أو في غيره، لهذا، هؤلاء هم ذخيرة البلد، في المجال الثقافي والأدبي، وهم الذين سوف يمثلون صورة البلد (في الخارج)، فعندما يكتب شاعر قصيدة جيدة، ولحنًا جميلًا، وفنان آخر يُغنيها بشكل رائع وتخرج إلى العالم العربي والجزيرة والخليج، فذلك فخر لمن؟ ليس للشاعر والملحن والفنان فحسب، بل هو فخر للبلد ولناسها وأهلها والدولة ككل، وحرام أن ناسًا من مثل هؤلاء يتعامل معهم هذا التعامل، مثلما حصل مع الشاعر والملحن الكبير صالح عبدالرحمن المفلحي الله يرحمه مات مهضوم الحق، لا أحد يسأل عنه، ولا حتى الإعلام يهتم به، وهذا شيء لا يليق أبدًا، لهذا أنا أتمنى من الله أن الناس تعي مسؤولياتها، سواء على مستوى المؤسسات الأدبية أو الثقافية أو الدولة؛ لأن البلد إذا فقدت مثل هؤلاء الناس وراحوا مهضومين ومظلومين ومن غير رعاية وعناية، ومطمورين لا أحد يعلم عنهم شيئًا، فكأننا في زمن العقم في حضرموت، وحضرموت -الحمد لله- ليست عقيمة بل ولادة، وطبعًا أنا لا أخص نفسي بهذا الكلام، وإنما المبدعين الكبار كلهم، فأنا متألم جدًا لوضع المفلحي -رحمه الله- لأنه مثل المحضار شاعر وملحن، وأنا وغيري كثيرون، جمعان بامطرف، وسالم بامطرف، وأحمد سالم البيض، وجميعنا أعضاء في اتحاد الأدباء واتحاد الفنانين، وكل واحد منا قدم ما عليه وأكثر.

• شكرًا لك أبا وضّاح.

- شكرًا لك عزيزي صالح.

يا ودّ عمّي في المكلا اليوم محدّد في سواك  
كيف أنت، كيف الحال ما شي علم جانا من قداك  
فهذه البداية هي رسالة عادية، لكن فيها العذوبة، والروعة  
ويستسيغها المتذوق، ويكمل المحضار:

كيف حال سويد، وعوض والذي هم في حماك  
(يقصد عمر سويد كابتن نادي المكلا الشهير، وقد كان  
محاسب عندي في المركز، وعوض بكير كان مراسل في الإدارة).

وأرجوك تعذرنى ونا ما خلفت إلا في رضاك  
العسكرية ما تجمل، شات فيها واحتكاك  
(يقصد بالعسكرية، الطائرة التي سوف يعود فيها، وفيها  
ممنوع أخذ القات أو تعاطيه).

بطلع في اليمدا لحتى التذكرة تبلغ بلاك  
باطلح الحمّي معي هو والغياضي والجراك  
(الحمّي والغياضي والجراك أنواع التنباك).  
ما بنسى أيامي معك وعيشك السابق وماك  
ونا نحبك من زمن من قبل ما يخرج حقك  
حبك لأنك شهم ما حبك لذا ولا لذاك  
وأرجوك أن ترسل فيه مقدّم ع الفكاك  
أعتقد أن المحضار ما كان يقصد نرسل مائة شلن إلى أهله  
في الشحر، بحسب فهمي لشعر المحضار ومجالستي له،  
وإنما أراد أن يكمل شكل وصورة الرسالة ومحتواها الذي  
تسير عليه الأعراف في تلك الأيام.

سويد لي بيحبها وانته رسلها إلى هناك

هذا هو المحضار الله يرحمه.

• العزيز (أبا وضّاح)، ما هو الشيء الذي ما يزال في خاطرك،  
وتريد أن تقوله في هذا اللقاء؟

- والله ما فيه شيء أبدًا، فقط أتمنى من الله أن يلتفت نظر  
المسؤولين إلى الناس المبدعين يأخذون بخواطرهم،  
ويتحسسوا آلامهم، وحاجاتهم، لأنه ليس كل مرة تحصل،  
لأنه في كل جيل كم مبدع يطلع، أي انتظر جيلًا كاملاً حتى

# فيصل العطاس (النعيري)

## السيد الماوي\*



بقلم: ثانس بثورس\*\* (١)

ترجمة: صائل البحسني

قال فيصل العطاس قولته الساخرة الشهيرة وهو يتدبر ما أنجزته برأيه الاشتراكية بعد مضي عشر سنوات على ثورة اليمن الجنوبي ضد الاستعمار البريطاني: "لقد نزعنا عن المهرة لسانهم، كما جعلنا الحضارة يعتقدون أنهم يمنيون، وجعلنا الناس تطالب بروتب أقل" (٢). وعلى قدر قصر مدى هذه الإنجازات واختلاف الناس بشأنها فإن ما كان محل خلافهم فوق ما سبق لهي مسيرة العطاس السياسية ذاتها. أما وفي جوهرها فإن حياته تعكس المرحلة التاريخية المضطربة التي شب

وعاش أثنائها، كما تعكس إحباطات جيل سعى في تقديم إجابة عن حالة تخلف وطنه من خلال تنظيم سياسي اجتماعي بديل.

الدينية على الجماعات المحلية؛ وذلك لقرابتهم من النبي محمد (٥). ومع أن مكانتهم الاجتماعية لم تُفَضَّ بالضرورة إلى إراثهم ماديًا، فإن ما طبع الجماعة من طابع حصري؛ إذ منعت توزيع بناتهم من غيرهم، كان لا ينفك يبعث الامتعاظ داخل حضرموت، وفي مهاجر أهلها إبان طفولة العطاس. وقد تمثل هذا الامتعاظ في النزاع العلوي-الإرشادي، الذي بلغ الوطن من مهاجر الحضارة في جزائر الهند الشرقية الواقعة تحت سيطرة الهولنديين، واتقدت جذوته مع ازدياد احتكاك الحضارة في زنجبار الأفريقية وجنوب شرقي آسيا بالأفكار الداعية إلى تحقيق المساواة بين البشر التي كانت ترفع لواءها الشيوعية والماوية (٦).

وُلِدَ السيد فيصل بن علي بن محمد العطاس سنة ١٩٣٩م (٣) في قرية نُعَيْرٍ بوادي عَمَدٍ من بلاد حضرموت، وإليها نسبته "النُعيري". وقد كانت المنطقة جزءاً من سلطنة الشحر والمكلا القيعطية المشمولة ضمن "المحميات الشرقية" البريطانية. وُلِدَ سليل آل العطاس المرموقين، وهم من السادة آل باعلوي، في رحاب أسرة وجماعة رفدت حضرموت والمهجر الحضرمي في جنوب شرقي آسيا برجالاً، كان لهم شأن في ميادين العلم والدين والسياسة (٤). وعلى جري العادة والتقليد فقد كانت الأسر العلوية الحضرمية (أي السادة) تتسبم ببناء اجتماعياً محدداً الملامح على سعة امتداده، بناءً بؤاهم الزعامة الدينية، وقلدهم في فترات لم تطل زمام الزعامة





أعضاؤه آخر الأمر جرأً خلافات دارت على خيار الكفاح المسلح. فضمَّ الجناح الراديكاليَّ من الحزب المشايخ لعلي سالم البيض إلى جبهة الشعب الديمقراطية (PDF) في حين شكَّل الفريق المعتدل الاتحاد البعثيَّ للقوى الشعبية. وفي حدود الفترة نفسها أعلنت جبهة الشعب الديمقراطية دعمها لجبهة التحرير القومية (NLF) أو [الجبهة القومية]، وبذلك تقحمت الكفاح القومي.

وفي مؤتمر الجبهة القومية الثاني في جبلة (يونيو حزيران ١٩٦٦م) انتُخب العطّاسُ عضواً في القيادة العامة المكوّنة من خمسة عشر عضواً، كما انتُخب عضواً في اللجنة التنفيذية، وقد كان قوامها خمسة أعضاء، والمنوط بها مهمة العمل مع المنظمات في الداخل<sup>(١٤)</sup>. لقد تحدّرت تنظيمياً مما سمي بالقيادة الثانوية أو الداخلية، وهي مجموعة من الكوادر المتعلمة الفتية، التي تدرّجت صعوداً في الرتب، والتي التحقت بالتنظيم عن طريق تياراته وحرركاته المتعددة التي أسست له. لقد خاب ظنهم إذ أدركوا خواء الناصرية الأيديولوجي، وعدم قدرتها على أن تخلق إطار عمل واقعيًا، يوسّع نطاق الكفاح ضد قوى الاستعمار في جنوب الجزيرة العربية. وقد ألمعت إحدى التحوّلات داخل قيادة حركة القوميين العرب صوب

في هذه البيئة الاجتماعية السياسية، المتصاعد تطوُّرها تلقى فيصل العطّاس تعليمه الابتدائي بالمدرسة الوسطى في بلدة غيل باوزير<sup>(٧)</sup>. ولدى تخرجه فيها في سنة ١٩٥٥م كانت المدرسة قد غدت بؤرةً للمناشط المضادة للبريطانيين، وللنظام الحاكم، كذلك ساحةً للتجنيد والاستقطاب لصالح حركة القوميين العرب (MAN) بين أعضاء المجموعة الطلابية المسماة الزيتونة، مع مساندة مضمرة من طاقم التدريس<sup>(٨)</sup>. ومن بين هؤلاء كان ثمَّ "سادة" آخرون كعبدالله بافقيه، وكذلك السوداني أحمد نقد الله، الذي رحّله البريطانيون في آخر الأمر بسبب ميوله الشيوعية<sup>(٩)</sup>. وفيما بعد واصل فيصل العطّاس تعليمه الثانوي في كلية عدن؛ حيث قضى أربع سنوات دون أن يتقدّم لامتحانات الشهادة العامة (GCE) للمستوى (O) المستوى العادي (Ordinary)<sup>(١٠)</sup> بدلاً من ذلك. وفي أواخر عقد الخمسينيات كان في مدينة القاهرة وكان عضواً في الكتلة اليمنية من حركة القوميين العرب (MAN)، الحركة التي أسسها الفلسطيني جورج حبش<sup>(١١)</sup>.

خلال تلك الفترة، طور العطّاس أفكاره السياسية، متموضعاً على اليسار الراديكالي [المتطرف] بعد أن خبر الماوية خلال زيارته الجالية الحضرية في زنجبار، وعن طريق اتصالاته بالأحزاب الشيوعية في العالم الثالث. وإذ أثر التخلف عن لقب الشريف "السيد" فقد حمل الكنية الحركية "أبو خالد". وفي الستينيات عمل العطّاس موظفاً في مصرف، ثم معلماً في المدرسة الوسطى الغربية بمدينة المكلا، عاصمة الدولة القعيطية<sup>(١٢)</sup>. وتمكّن بمعية عباس العيدروس، وهو الآخر ماوي بارز، من السادة، ومعلّم كذلك، من اختراق نقابات العمال الحضرية، والدعوة إلى الأيديولوجية الماوية بين الطلبة. ولم يلبث أن أخذ ظهور الرايات الحمر والملصقات الماوية خلال المظاهرات داخل البلاد الحضرية يتزايد<sup>(١٣)</sup>. وفي المكلا كان العطّاس أيضاً أمين سر الحزب العربي الاشتراكي الذي لم يدم طويلاً (١٩٦٥ - ١٩٦٦م)، فقد انشق





فيسل العطاس يلقي كلمة

الأيدولوجية الماركسية إلى حصول خيبة مماثلة. وفي المؤتمر الثالث في خَمَر (نوفمبر تشرين الثاني ١٩٦٦م) نجحت القيادة الثانوية في تعريف طبيعة الحركة القومية حين حالتُ بفاعلية دون الصدام، الذي حاول البعض إيقاعه بين الجبهة القومية (NLF) وجبهة تحرير

الجنوب اليمني (FLOSY) المدعومة من مصر،

كما نجحت في التوكيد ثانيةً على سِمَتِها الراديكالية والشعبية. لقد فتحَ هذا التحوُّلُ صوبَ الماركسية وحربِ العصابات التي صيغت على شاكلة النمطين الصيني والفيتنامي الطريقَ أمام الجبهة القومية؛ لتحكم سيطرتها على المحميات البريطانية في صيف ١٩٦٧م.

”طوَّرَ العطَّاسُ أفكاره السياسية، متموضعاً على اليسار الراديكالي [المتطرف] بعد أن خَبَرَ الماويَّةَ خلال زيارته الجالية الحضرية في زنجبار، وعن طريق اتصالاته بالأحزاب الشيوعية في العالم الثالث. وإذ آثر التخلُّي عن لقب التشريف "السيد" فقد حمل الكنية الحركية "أبو خالد". وفي الستينيات عملَ العطَّاسُ موظفاً في مصرفٍ، ثم معلِّماً في المدرسة الوسطى الغربية بمدينة المكلا، عاصمة الدولة القعيطية وتمكَّنَ بمعية عبَّاس العيدروس، وهو الآخر ماويٌّ بارزٌ، من السادة، ومعلِّمٌ كذلك، من اختراق نقابات العمال الحضرية، والدعوة إلى الأيدولوجية الماويَّة بين الطلبة“

ففي الحادي والثلاثين من شهر آب أغسطس من تلك السنة غادر البريطانيون المكلا في "هجير القائلة بعد الغداء، دون أدنى إخطار بذلك" (١٥). ورداً على ذلك أبحر سلاطين القعيطي والكثيري والمهري عائدين إلى بلادهم من جنيف مارَّين بجدة. وقد أتاحت حالة الفراغ السياسي الناجمة أمام العطَّاس وبإمرته لستين من رجال الجبهة القومية السبيلَ إلى إسقاط بلدة القطن بوادي حضرموت، والسيطرة عليها في أول الأمر، ثم إسقاط مدينة المكلا في النهاية يوم السادس عشر من سبتمبر أيلول (١٦). لقد عجل هذا الأمر بمفاوضات سبَّقت بين ضباط جيش البادية الحضرمي (HBL) وعباس العيدروس. ثم في يوم الثاني من أكتوبر تشرين الأول ومع مجموعة قوامها عشرون مسلحاً بادراً فرغَ علم الثورة فوق مقر الحكومة الكثيرة في سيئون. إنَّ هذا التحركُ من طرف العطَّاس وحده وبتعارضه مع ترتيبات الجبهة القومية أغضب رفاقه، لكنه ألمح إلحاحاً باكراً إلى الأسلوب الذي سيوظَّف العطَّاسُ من خلاله السلطة السياسية (١٧).

وإذ ترأس مجلس الشعب الأعلى الذي شكَّلَ بعد التحرير في حضرموت، كان العطَّاس من الإمساك بمقاليد الحكم بمكان إذ تمكَّنَ من تنفيذ برنامجه الراديكالي للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي حتى قبل أن يعلن كامل الجنوب استقلاله (١٨). واحدة من أولى تحركاته كانت تأميم المؤسسات الاقتصادية المحلية على قَلَّتِها، مثل دور السينما، وشركات الوقود والطاقة، والمؤسسات التجارية، ومصادرة ممتلكات السلاطين ووزرائهم وعقاراتهم (١٩). وقد دام زخمُ هذه





فيصل العكاس  
في السيارة

المكلا الذي شقّه الصينيون بصورة "الممر الاستراتيجي لإنجاح الثورة" (٢٣). عسى أن يسند الثوّار الظفاريين، ولو أنه لم يكتمل شقّه وتعبيده إلا في أواخر السبعينيات، أي بعد هزيمة تلك الانتفاضة.

بعد مؤتمر الجبهة القومية (NLF) الرابع في مدينة زنجبار (مارس آذار ١٩٦٨م) الذي أيد خلاله العكاسُ الجناح اليساري الراديكالي، الذي يقوده عبدالفتاح إسماعيل، بدأ العكاس منفرداً يطبق برنامج الثورة الماوي، فأقام مجالس شعبية في البلدات والمدن الحضرية، ووحدات دفاع شعبية [لجاناً شعبية]، وفي الآن ذاته أشاعت زيارته الصين مخاوف من انقلاب يساري (٢٤). وصارت المنطقة بالتدريج ملاذاً لراديكاليي الجبهة القومية الذين كانت قلة منهم تنحدر منها. أوضحت الصحيفة المحلية الناطقة باسم الجبهة القومية، صحيفة الشرارة، في افتتاحيتها ما هو قادم، بأسطة القول بأن إطلاق الثورة يعني في ما يعنيه قلب العلاقات الاجتماعية الراهنة وإقامة علاقات اجتماعية ثورية محلها (٢٥).

وبدعم من الصين أعلن فيصل العكاس قيام "جمهورية حضر موت الديمقراطية الشعبية"، التي قصّر بها الأجل؛ إذ دامت قائمة شهرين فقط (مايو أيار و يونيو حزيران من سنة ١٩٦٨م) قبل أن تُسحق على يد حكومة قحطان الشعبي، وبذا فرّ عائداً إلى قريته، حيث ألقى القبض عليه مع وزير الدفاع المسرّح علي سالم البيض (٢٦). وعلى الرغم من أن هذي "المغامرة الصينية الناجمة عن سياسات الثورة الثقافية، وهذي

"الاستثنائية الحضرية"، التي بلغ مداها محاولة إعادة توزيع الأراضي، الستين الأوليين من عمر جمهورية جنوب اليمن الشعبية (PRSY) الوليدة لحدّ أن العكاس الذي سيطر على الحزب وجهاز الحكومة في ما أصبحت تُدعى المحافظة الخامسة [حضر موت] أخذ يقاوم السلطة المركزية بعدن (٢٠). لقد طهر مؤسسات الإدارة المدنية المحلية، وأزاح قيادات الجبهة القومية المعتدلين، وطرّد سالم علي الكندي من المكلا، وقد كان الأخير المحافظ المعين من قبل السلطة المركزية (٢١).

وعلى كل حال فقد عكست الأحداث في حضر موت الصراع الحاصل على السلطة داخل تنظيم الجبهة القومية فيما بين جناحه اليساري الراديكالي وقيادته التي كانت أكثر منهم اعتدالاً. ودلّت كذلك على التحديات التي واجهتها الحكومة الأولى، وقوامها شباب غير مجرّب، في تدبير شؤون دولة أسست على جمع سلطنات ودويلات بتعجّل. أما حضر موت الواقعة أقصى شرقي الدولة الوليدة فقد تمتعت بتطور اقتصادي واجتماعي مستقل مقارنةً بغيرها تحت السيطرة البريطانية، الأمر الذي عزّز ما كان موجوداً من هياكل الدولة ومؤسساتها. ولقد صانت الظروف المحلية في حضر موت، وقوّت الإحساس [لدى الحضارم] بهويّة خاصة وبانفصال عن بقية محميات جنوب الجزيرة العربية. وبالتوازي مع تباينات أيديولوجية بين الثوريين في المكلا عنهم في عدن فإن الدفع بالإقليم نحو الانضمام إلى الدولة الوليدة قد أبان عن تحدياته. وأكثر من ذلك أن قُرب حضر موت الجغرافي بقدر إلى ظفار في مستحضر ثورة أهاليها عنى أن حضر موت صارت جبهة أمامية للعملية الثورية في شبه الجزيرة العربية. ولقد أشاد نايف حواتمة وهو أحد قيادات حركة القوميين العرب (MAN) بالإنجازات الباكورة في حضر موت، وبكفايات سكانها الثورية (٢٢). وإذ ذاك إنما صوّر طريق عدن -





البوابة الغربية لمدينة المكلا  
المسماة "السدة" قبل تهديمها

الظاهرة التي لم تتكرر في مكان آخر من الشرق الأوسط<sup>(٢٧)</sup>. لم تؤثر في علاقة الدولة مع الصين إلا أن العطاس ولا عجب لم يكن في الوفد اليمني الجنوبي الأول إلى جمهورية الصين الشعبية<sup>(٢٨)</sup>. واستمر التنافس بين الجناحين المعتدل والراديكالي داخل تنظيم الجبهة القومية يتفشى طوال تاريخ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (PDY)، لكنه بلغ ذروته للمرة الأولى سنة ١٩٦٩م، حين سيطر اليسار على كل من التنظيم والدولة خلال

الحركة التصحيحية في الثاني والعشرين من شهر يونيو حزيران. وأطلق سراح العطاس؛ إذ أمسك رفاقه بزمام السلطة، وأعيد إلى القيادة العامة، فعين محافظاً على المحافظة الرابعة (شبو) من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠م. ثم صار بعد ذلك إلى محافظ المحافظة الخامسة (حضر موت) حتى سنة ١٩٧٣م، وهو التوقيت الذي أخذت بعده الاعتداءات الجسدية على السادة ورجال الدين في الانحسار<sup>(٢٩)</sup>. لقد ظل العطاس على صلة وثيقة بالحزب الشيوعي الحاكم في الصين، ورأس في بعض المناسبات وفود الفلاحين اليمنيين إليها<sup>(٣٠)</sup>. وإلى يومنا هذا ما يزال أهل المكلا يتذكرون ما خلفته "ثورته الثقافية" يوم هُدمت البوابة الغربية لمدينتهم، المسماة "السدة" على حين غرة، ومحاولاته تسوية المقابر هناك وفي حريضة، حاضرة آل العطاس. وأهم من ذلك أنه وتحت سلطته وفي بلاد متجذرة التقاليد الدينية فيها تجذر أمنت "الزيارات" إلى أضرحة الأولياء، كذلك هُدمت بضعة مساجد وأضرحة، كما اضطهد أبناء الأسر العلوية، وذلك باسم الاشتراكية العلمية ومحاربة التأثيرات الإسلامية<sup>(٣١)</sup>.

ومع أن الحركة التصحيحية قد حملت اليسار الراديكالي الذي يتزعمه سالم ربيع علي المعروف بلقبه "سالمين" إلى السلطة، فقد نُظر إلى العطاس داخل عدن بعين الريبة والشك؛ وذلك لبروزه وتأثيره داخل حضر موت، المتأثين من أصوله وخلفيته الاجتماعية، ومن دوره في أثناء الكفاح

”وبدعم من الصين أعلن فيصل العطاس قيام "جمهورية حضرموت الديمقراطية الشعبية"، التي قصر بها الأجل؛ إذ دامت قائمة شهرين فقط (مايو أيار و يونيو حزيران من سنة 1968م) قبل أن تُسحق على يد حكومة قحطان الشعبي، وبذا فرّ عائداً إلى قريته، حيث أُلقي القبض عليه مع وزير الدفاع المسرح علي سالم البيض“

ضد الاستعمار وبعده، ولاستخفافه بالسلطة المركزية. وكما جاء على لسان أحد رفاقه السابقين فإنه من بالغ حظه أن استطاع النجاة بحياته في زمن سالمين، فبدلاً من تصفيته، ضُبِطَ تحرّكاته من خلال تعيينه ضمن تشكيلة الحكومة نائباً لوزير الإسكان والأشغال العامة وهي حقيبة وزارية أُسندت إلى قريبه حيدر أبوبكر العطاس، ومع اشتداد الصراع بين أجنحة النظام في العقد الأخير من عمر جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قضى فيصل العطاس هذه الفترة في ما يشبه الغياب سياسياً، ولن يتمكن بعدها أبداً من أن يستعيد دوره المؤثر كما كان في السابق.





المدرسة الوسطى بالغيل  
(تصوير ثأنس بتورس)



بناء مصغر لسدة المكلا الغربية مطابق للأصل  
(تصوير ثأنس بتورس)

ومع توحيد اليمينيّين سنة ١٩٩٠م، التحق فيصل العطّاس بحزب الرئيس صالح، ألا وهو حزب المؤتمر الشعبي العام (GPC) عضواً في لجنته الدائمة. ومثل الكثير من السياسيين الجنوبيين السابقين؛ فقد عُيّن مستشاراً للرئيس اليمني. ولقد صار هذا التحول في التحالفات السياسية والذي يبدو انتهازياً ومستغرباً أمراً معتاداً من القيادات الجنوبية، ودلالةً على الإفلاس الأيديولوجي الذي عرفته السنوات الأخيرة من عمر جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وعلى خيبات الأمل التي جرّتها إخفاقات تلك التجربة. وقد كان تلاقيه ونظام صالح وعضويته في حزبه المؤتمر الشعبي العام (GPC) وسيلةً منه إلى البقاء على صلة بالمشهد السياسي، بما في ذلك من تقلّد وظيفة في اليمن الموحد تعود عليه بعائد. وفي آن ظلّ العطّاس مدافعاً لا يلين عن إنجازات الثورة في اليمن الجنوبي وعن دوره فيها<sup>(٣٢)</sup>.

وفي يومنا هذا لا يزال إرث عهد العطّاس في حضرموت محلّ خلاف. فلا يزال كثيرونه بمعاملته الآخرين القاسية وما فيها من استبداد وتسلّط، ومنهم رفاق له في الجبهة القومية<sup>(٣٣)</sup>. ففي فترة وجوده في مناصبه شهدت حضرموت موجة لم يسبق لها مثيل من السلطوية والعنف، على وجه الخصوص بحق البنى الاجتماعية القديمة والتّخب الدينية<sup>(٣٤)</sup>. فلقد حاول العطّاس، وهو الثوري الشاب، أن ينفذ أجندته القومية المتمثلة في تحديث حضرموت بحدّاته القرن العشرين<sup>(٣٥)</sup>. غير أن هذا البرنامج المفروض فرضاً، والتحديث المعجل لم يخلّف الأهالي في حيرة من الأمر فقط، بل سرّع عودة التقاليد القديمة أوّل ما تفكّك النظام الاشتراكي. وإن مسيرة حياته هو لتشهد بهذا. وفي أخريات حياته أكّد على أهليته مسلماً، كما عاد فحمل لقب "السيد"، بل اعتمر العمامة البيضاء رمز قرابته من النبي محمد. ولقد أتى ذلك بالحماس الخالص نفسه الذي حمّله على اعتناق الماوية أيام شبابه.





ضريح ولي من أولياء الله الصالحين، المكلا  
(تصوير ثانس بتورس)

الهوامش:

\* الماوية بإيجاز تيار من تيارات الشيوعية الماركسية (الاشتراكية العلمية) طورها الثوري الصيني ماو تسي تونغ خلال مسيرته الثورية والسياسية، نظرية وممارسة، وقد مثلت نهجاً ثورياً قام على نظرة ثورية متميزة خالفت مسار الماركسيات الأخرى كالماركسية اللينينية والستالينية والتروتسكية، ويمكن إجمال جوهر نهجها الثوري والايديولوجي بالتالي: الشعور القومي المتقدم فقد كان ماو تسي تونغ نفسه قومياً عتيداً قبل انضمامه للحزب الشيوعي الصيني وبعده مناهضاً بشدة للغرب وللإمبريالية مأخوذاً بالروح العسكرية الحربية، فلا غرو أن شغل الجيش حيزاً مهماً في عملية بناء الدولة الصينية الثورية وكذلك في عملية بناء الأمة، ثانياً الاعتماد على القوى الكامنة في مئات ملايين الفلاحين الذين رأت فيهم الماوية الطاقة الحقيقية لتحريك الثورة حيث لم تكن في الصين طبقة عاملة (بروليتاريا) ذات بال، وذلك على العكس من التجربة الثورية في روسيا.

ولا تمثل هذي المفارقة الماثلة في حضرمي من السادة ينتصر للماوية، وإن كانت مفارقة غير معهودة، حالة منفردة. فقد شاركت ثلثة من فتية السادة ممن جالوا العطاس في الكفاح ضد الاستعمار، وإن جرى ذلك عبر حركات سياسية مختلفة. وما حال بين فتية السادة أولئك وبقية المجتمع الحضرمي كان ما تلقوه من تعليم عال فوق العادة وقتها<sup>(٣٦)</sup>. لقد وُقِّت الجبهة القومية في خضم التأسيس لحركتها الشعبية إلى استقطاب دعم غالبية فئات المجتمع المستقرة وقتئذ، مثل الشباب المتعلم، الذين كان لهم صالح في الإطاحة بالمنظومة الاجتماعية التقليدية<sup>(٣٧)</sup>. وكما كان الحال مع العطاس، فإن كونه أحد أبناء طبقة السادة لم يكن كفءاً إشباع تطلعات جيل غير أمي رأى في النظام "الأنجلوسلاطيني" سبباً ما يعانيه من حرمان وعوز. ووجد مع ذلك في الماوية اللغة والممارسة الأيديولوجيين الواعدين باستئصال الموروثات المكيئة، والأعراف الاجتماعية التي كانت تسد الطريق نحو تطبيق خطته التحديثية. وما تشهده الدولة اليمنية في يومنا هذا من انبعاث هوية اليمن الجنوبي ما هو إلا تمظهر لنظير المظالم والإحباطات، إلا أنه انبعاث يفتقر إلى قيادة سياسية على المستوى ذاته، الذي لدى الشماليين تحمل رؤية تعالج تلك المظالم والإحباطات، كما أفضى إلى مراجعات غير دقيقة لماضي الفترة الاستعمارية والفترة الاشتراكية كليهما. ويظهر أن العطاس قد وجد بعد وفاته مثوى في بانثيون<sup>(\*\*\*)</sup> أبطال اليمن الجنوبي بين صفوف الانفصاليين لهذا العهد. توفي فيصل العطاس في مدينة جدة، بالمملكة العربية السعودية يوم الثامن والعشرين من شهر مارس آذار سنة ٢٠١٤ مانهراً الثمانين عاماً، مخلفاً ثلاثة أبناء: هم أكرم، وهو عقيد في الجيش اليمني، وأنور، ومحمد.





العدد (34)

أكتوبر  
ديسمبر  
2024م

(٣) ورغم ذلك فإن سجل الوفيات بالعربية يثبت ميلاده بسنة ١٩٣٤م، والوارد في موسوعة أعلام العالم العربي (who's Who in the Arab World) بيروت، منشورات بابلتيك، ٢٠٠٦م، أن ولادته كانت سنة ١٩٣٨م؛ وهذا أوفق والتواريخ الموثقة لسنوات دراسته وتخرجه.

(٤) من الأمثلة البارزة على ذلك مناصب بلديتي حريضة والمشهد منهم: وزير السلطنة القيعية الأخير أحمد بن محمد العطاس؛ ورئيس دولة اليمن الجنوبي السابق وأول رئيس وزراء بعد الوحدة حيدر بن أبي بكر العطاس؛ ووزير الخارجية الإندونيسي علي العطاس؛ وآخرون. للمزيد حول آل العطاس انظر، كازوهيرو أراي، عرب جابوا المحيط الهندي: تاريخ آل العطاس في حضرموت وجنوب شرقي آسيا، من ١٦٠٠م إلى ١٩٦٠م (أطروحة دكتوراه غير منشورة: جامعة ميشيغان، ٢٠٠٤م). (٥) للمزيد حول أصول السادة وأدوارهم انظر: روبرت برترام سيرجنت، السادة العلوية في حضرموت: محاضرة افتتاحية (لندن: معهد الدراسات الشرقية والأفريقية، ١٩٥٧م) [نعمل على نقلها إلى العربية. المترجم]. (٦) انظر: يوسف كوستنر، "السياسة الراديكالية والعرب": "القوميون العرب والماركسيون في معمران الجنوب العربي، ١٩٦٣-١٩٦٧م"، دراسات الشرق الأوسط، ٤: ١٧ (١٩٨١م)، ص ٤٦٦.

(٧) للمزيد حول المدرسة الوسطى ودور خريجها اللافت، راجع: محمد سعيد مديحج، المدرسة الأم: المدرسة الوسطى بغيل باوزير (عدن: منشورات جامعة عدن، ١٩٩٨م).

(٨) مقابلة مع المؤرخ الحضرمي، وخريج المدرسة الوسطى، عبدالرحمن الملاحي في مدينة الشحر، بتاريخ ١٣ أبريل نيسان ٢٠١٠م. (٩) مقابلة مع رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية السابق، وخريج المدرسة الوسطى، حيدر بن أبي بكر العطاس في لندن بتاريخ ٢٨ شباط فبراير ٢٠١١م.

(١٠) مراسلة عبر البريد الإلكتروني مع زميل له في ما مضى بكلية عدن، أشرف جرجرة، بتاريخ ٢ يوليو تموز ٢٠١٤م.

(١١) انظر: روبرت برترام سيرجنت "اليمنان، منظورات تاريخية ومواقف راهنة"، شؤون آسيوية، ٤: ١ (١٩٧٣م) ص ١٢.

(١٢) راجع أولريكه فرايتاك، مهاجر المحيط الهندي وتشكل الدولة في حضرموت: إصلاح الوطن (دراسات الشرق الأوسط وآسيا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٨٧) لايدن: أبريل، ٢٠٠٣م) ص ٥٢١.

(١٣) انظر يوسف كوستنر، الكفاح في سبيل اليمن الجنوبي (لندن: كروم هلم، ١٩٨٤م)، ص ١٢٢.

وعليه فقد دشنت مشاريع التعاونيات الزراعية، ثم ما سمي "بالقفزة الكبرى قُدماً" بديلاً عن المعهود من الخطط الخمسية، تلاها إطلاق ماو للثورة الثقافية ضد النخب الحزبية والبيروقراطية. وقد كان بديل الماوية نحو تحقيق النمو الذي تقوده النخب والبيروقراطيات التنموية التي تحقّقها الحماسة الثورية وكفاح الجماهير. كما أخذت على عاتقها تحريك واستنهاض الإرادة الجماعية للناس ضد "المعتاد" و"العقلاني" مما تمليه تدابير الاقتصاد والصناعة. (المترجم)

\*\*\*ثأُس بتورس (ثانوس بتوريس): مستشار إقليمي لدى الفريق اليمني بالمعهد الأوروبي للسلام، وله خبرة مديدة بشؤون اليمن الجنوبي السياسية. ولقد تكررت زياراته الجمهورية اليمنية منذ سنة ٢٠٠٥م. لقد عاش وعمل في عدن ثلاث سنين بين ٢٠٠٥ و٢٠١٠م. وخلال هذي الفترة، تمكن ثانوس أن يرّحل ويجري أبحاثه في معظم مناطق الدولة. يحمل ثأُس بتورس شهادة ماجستير العلوم في شؤون السياسة بالشرق الأوسط من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية التابعة لجامعة لندن، كما يحضر في هذي الآونة لشهادة دكتوراه في الفلسفة في العلوم السياسية، مع عنايته بتاريخ حركة التحرر والاستقلال في اليمن الجنوبي. يتحدث خمس لغات هي اليونانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والعربية. (المترجم)

\*\*\*البانيون: حرفياً تعني الكلمة باليونانية "جميع الآلهة"، وهو معبد ابتناه الرومان في روما ليكون مجمعاً لآلهتهم وقد تداول أباطرتهم على تجديده والعناية به، ودفن فيه بعض من عليّة القوم منهم. لكن الإشارة إلى البانيون هنا إنما هي إلى مبنى في مدينة باريس الفرنسية بالحي اللاتيني تحديداً وفيه ترقّد جثامين عظماء الشعب الفرنسي وأبطاله ونوابغه، وبذلك يقصد الباحث إلى أن التعري صار رمزاً من رموز اليمنيين الجنوبيين المطالبين بالانفصال عن اليمن الشمالي. [المترجم]

(١) جُمِعَت المعلومات التي استندنا عليها في كتابة هذه المقالة خلال نزول ميداني بحضرموت في أبريل نيسان سنة ٢٠١٠م. ويشكر الباحث أسرة بن دهري في مدينة المكلا، وعلى وجه الخصوص محمد مبارك بن دهري وخالد سالم بن دهري، كذلك يشكر الشاعر نجيب سعيد باوزير وأسرته على ما أبدوه من كرم الضيافة ومن عون شاق خلال ظروف بحث عسيرة.

(٢) انظر، إنسنگ هو، أضرحة في تريم: الأنساب والترحال بطول المحيط الهندي وعرضه (بسر كلي: منشورات جامعة كاليفورنيا، ٢٠٠٦م)، ص ٣١١.





- (٢٧) هاريس، الاقتباس من ص ١١٦ .
- (٢٨) يمكن الوقوف على تفاصيل الوفد الأول لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في: هاشم بهبهاني، الصين وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية: تقرير (لندن، منشورات KBI Books، ١٩٨٥)، ص ٩ .
- (٢٩) راجع نور من سيغر، "الإسلام والدولة في اليمن الجنوبي: التعايش العسر"، دراسات الشرق الأوسط، ٢٦: ٢ (١٩٩٠م)، ص ١٨٦ .
- (٣٠) راجع مجلة Peking Review عدد ٢٣، ٩ يونيو حزيران ١٩٧٢م، ص ٢٣ .
- (٣١) حسب كنيش فإن الزيارات [إلى الأضرحة] فقدت جوهرها الروحي وتحولت بالتدريج إلى مهرجانات شعبية غير دينية استغلها النظام الجديد للدعاية إلى الأفكار الاشتراكية؛ ألكسندر كنيش، "قدسية الأولياء الصالحين في حضرموت: عرض ومناقشة"، الدراسات العربية الجديدة (١٩٩٣م)، ص ١٤٧ .
- (٣٢) راجع العطاس، الاقتباس من ص ٣١٥ .
- (٣٣) راجع باكتير، الاقتباس من ص ١٥٤-١٥٩: ١٦٢-١٦٣: ٢٠٥ .
- (٣٤) يورد إنكسنگ هو في كتابه "أضرحة في تريم (الاقتباس من ص ٣١١) واقعة حصلت في أثناء زيارة لرئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سالمين إلى مدينة سيئون حيث سحلت سيارات الموكب الرئاسي خلفها أجساد "سادة" من الأهالي مربوطة إليها بالجبال، وهو منظر أصاب الكثيرين بالغثيان أياماً بعده .
- (٣٥) مما ميز روح العصر مراسيم أصدرتها اللجان الشعبية بصدد "ضبط وتنظيم الأعراف الاجتماعية والتقاليد في المحافظة الخامسة"، مجموعة يمكن الوقوف على بعض منها في: ميخائيل روديونوف وحنة شونك، الوثائق الحضرمية، ١٩٠٤-١٩٥١م: الحياة الأسرية والعادات الاجتماعية في عهد السلاطين المتأخرين (الدراسات والنصوص البيروتية [بالألمانية]، عدد ١٣٠ (بيروت: منشورات Ergon، ٢٠١١)، ص ٢٤٥ .
- (٣٦) ومثال هذا على وجه التحديد حال آل العطاس، إذ إن نسبة انعدام الأمية لدى الذكور منهم، حسب عبدالله البجرة، تصل لـ ٨٠ مقارنةً بنسبة ٤٥،٥ لدى غيرهم من أسر السادة. راجع عبدالله سعيد البجرة، الطبقة والسياسة: دراسة للتحوّل السياسي في بلدة "حريضة" في الجنوب العربي (أو كسفورد: منشورات Clarendon، ١٩٧١)، ص ٣٠ .
- [نقله إلى العربية الأديب الحضرمي نجيب سعيد باوزير. المترجم].
- (٣٧) راجع هيلين لاكنر، "صعود الجبهة القومية تنظيمًا سياسيًا"، في بي. آر. بريد هام (محرر) اليمن المعاصر: السياسة والخلفية التاريخية (لندن: Croom Helm)، ص ٥٠ .
- (١٤) راجع علي الصراف، اليمن الجنوبي: الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة (لندن، رياض الرئيس، ١٩٩٢م)، ص ١٨٥ .
- (١٥) راجع بيتر هنتشكليف، جون تي. ذكر، ماريا هولت، بلا مجد في جزيرة العرب: الانسحاب البريطاني من عدن (لندن: آي. بي. طورس، ٢٠٠٦م)، ص ١٤٧ .
- (١٦) راجع فيصل العطاس، "جبهة حضرموت"، في: وثائق ندوة الثورة اليمنية (صنعاء: منشورات دائرة التوجيه المعنوي، ٢٠٠٤م)، ص ٣١٩ .
- (١٧) راجع عبدالقادر أحمد باكتير، مذكرات عن مراحل النضال والتحرير ١٩٦٩-١٩٦٠م في حضرموت، المجلد الأول (المكلا، مكتبة الشافعي، ٢٠٠٨م)، ص ١٥٥ .
- (١٨) راجع هيلين لاكنر، يمن الجمهورية الديمقراطية الشعبية: معقل التنمية الاشتراكية في جزيرة العرب (لندن: منشورات إيثاكا، ١٩٨٥م)، ص ٤٦ .
- (١٩) راجع: الصراف، الاقتباس من ص ٢١٤ .
- (٢٠) راجع: نوبل بريهوني، اليمن مشطراً: قصة دولة فاشلة في جنوب الجزيرة العربية (لندن: آي. بي. طورس ٢٠١١م)، ص ٣٧ .
- (٢١) راجع: "الصراع الداخلي في المحافظة الخامسة - حضرموت"، في دانييل ديشون، سجل الشرق الأوسط، ١٩٦٨م (القدس، منشورات جامعة إسرائيل، ١٩٧٣م)، ص ٦٩٩. وقد قبض على الكندي وأُعدم في طريقه إلى عدن في شهر يونيو حزيران ١٩٦٩م، ضحية الحركة التصحيحية المجيدة.
- (٢٢) راجع فيتالي نعموكين، ذئاب اليمن الحمر: الكفاح في سبيل الاستقلال (كامبريدج: منشورات The Oleander، ٢٠٠٤)، ص ٣٠٧ .
- (٢٣) كريستوفر دي. لي، "الأطماع السوفيتية والصينية في جنوب الجزيرة العربية"، ميزان، ١٣: ١ (١٩٧١م)، ص ٤٢ .
- (٢٤) حسب الحزب الشيوعي الإندونيسي: راجع يوسف كوستنر، "أثر المهاجرين الحضارمة في جزائر الهند الشرقية على الحداثة الإسلامية والتغيير الاجتماعي في حضرموت خلال القرن العشرين الميلادي"، في رافايل إسرائيلي وأنطوني جونز (محررون) الإسلام في آسيا، المجلد الثاني: شرق آسيا وجنوب شرقها. (القدس: منشورات The Magnes، ١٩٨٤)، ص ٢٣٠ .
- (٢٥) الكلمة الافتتاحية للعدد الأول من صحيفة الشرارة، مارس آذار ١٩٦٨، راجع جان-بيير فينيو، "عدن: من الكفاح في سبيل التحرر إلى الاستقلال" [بالفرنسية]، أورينت (باريس)، ٤٤: ٤ (١٩٦٨م)، ص ٣٩ .
- (٢٦) راجع ليليان كريغ هاريس، الصين واهتمامها بالشرق الأوسط (لندن: آي. بي. طورس، ١٩٩٣م)، ص ١١٥؛ وفريد هاليداي، جزيرة العرب دون سلاطين (لندن: ساقي، ٢٠٠٢م)، ص ٢٣٥ .



# من أخبار الشيخ المكي: سعيد بن صديق جان بحضر موت



تصدير: في وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

وجدت لهذه المقالة نسخة مخطوطة واحدة فقط، وهي في الأصل مكتوبة من الشيخ سعيد بن صديق جان مع الشيخ القاضي عبدالله بن عوض بكير، أجاب فيها الشيخ سعيد جان على مكتوبة سابقة من الشيخ عبدالله بكير، وبرفقتها جواب من أحد العلماء عن حكم التصوير الفوتوغرافي، وقد طلب الشيخ عبدالله بكير من الشيخ سعيد جان أن يكتب ما يراه حول التصوير الفوتوغرافي.



محسن علوي أبوبكر باعلوي

٥- عدد الأسطر في كل صفحة: ٣٨ سطرًا في الصفحة الأولى، و٣٧ سطرًا في الصفحة الثانية، و٢٧ سطرًا في الصفحة الأخيرة.

٦- تاريخ النسخ: غير مذكور؛ لكن يترجح عندي أن النسخة كتبت في حياة المؤلف، وفي الوقت نفسه الذي كتبت فيه المقالة، وهو سنة (١٣٧١هـ) / (١٩٥٢م).

٧- اسم الناسخ: لم يذكر.

٨- خط النسخة: نسخي معتدل.

٩- جودة النسخة: جيدة، ويوجد بها بعض آثار الحريق في طرفها لكنه لم ينل شيئاً من الكتابة.

تنبيه: ما زدته في أصل النص لإصلاحه أو إتمامه جعلته بين قوسين معكوفين [ ]

وإليك وصف هذه النسخة:

١- مصدر النسخة: مكتبة خاصة.

٢- نوع الورق: ورق فولسكاب قديم غليظ يميل لونه إلى الاصفرار، لعله بسبب طول المكث، وهي مسطرة تسطير أفقيًا.

٣- عدد أوراق النسخة: ورقتان = ثلاث صفحات.

٤- مقاس الأوراق: ٣٣ × ٢٢ سم.

## نص المقالة:

في ٢٠ ربيع ثاني سنة (١٩٥٢م) (١).

بسم الله، الحمد لله، والصلاة (٢) والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد، وآله وأصحابه، ومن والاه وأتبع.

إلى حضرة صاحب الفضيلة: رئيس القضاء (٣) الشرعي عبدالله بكير (٤) - أيده الله، ووفقه لإعلاء كلمة الله - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

وبعد التحية:

فقد وصل كتابكم الكريم، وبرفقته الجواب في موضوع التصوير، فتأملنا الجواب (٥) على ما فيه، وطلبتم إلى الفقير أن أكتب عليه ما أراه في الموضوع، واعتذرت بعدم تمكنكم من فرصة تراجعون فيها الموضوع والكتابة عليه، فلا يخفاكم أن موضوع التصوير قد أصبح مفروغاً منه، وقد تكلم عليه أئمة الإسلام خصوصاً الإمام محيي الدين النووي (٦) في شرح مسلم (٧) كما في شريف علمكم، وجاء بما يشفي ويكفي.

وقد تكلم الأستاذ الإمام الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي (٨) في موضوع التصوير في كتابه: (النهضة الإصلاحية) (٩) في صحيفة ٢٦٠ (تصوير الحيوان)، وفي صحيفة ٣١٠ في موضوع (استدراك في موضوع التصوير)، فأتى بالعجب العجائب، بما يقتنع به أولوا الألباب، وكتاب (النهضة الإصلاحية) بين أيديكم يمكنكم أن تطالعوا الموضوع وتأملوه، وتأخذوا خلاصته وتكتبوها على الجواب المشار إليه.

ورأينا الجواب يقول: (فإن الأسباب التي كانت علة للتحرير في صدر الإسلام - وهي قصد التعظيم والعبادة - قد زالت تماماً...) إلخ.

قلت: الذي قد زال هو نصف هذه العلة: وهي عبادة الصُّور، أما تعظيم الصُّور وتكريمها فظاهر في تصوير صور العظماء والشخصيات البارزة، ووضعها في الأماكن العالية خصوصاً في حفلات التكريم، وذكريات حياة العظماء، وهذه قضية مسلمة.



ثم نقول: إنَّ علة تحريم التصوير المنصوص عليها في الحديث إنما هي مضاهاة المخلوق للخالق المصوّر - جلّ وعلا - في تصوير الإنسان والحيوان، كما صرح به الحديث: (الذين يضاهون بخلق الله) (١٠).

فلو فرضنا أن علة التحريم إنما هي التعظيم والعبادة، وقد زالت هذه العلة تماماً في عصرنا هذا فمن أين ينفلت المصوّر من علة التحريم المنصوصة في الحديث الصحيح؛ وهي: المضاهاة (١١) المذكورة سواء قصد المضاهاة بالخالق عزّ وجلّ - والعباد بالله - أو لم يقصد؟

وهذه العلة المنصوصة في الحديث هي التي يذكرها فحول العلماء وأئمة الإسلام مثل الإمام النووي في شرح مسلم (١٢)، والإمام ابن حجر (١٣) في فتح الباري (١٤).

وقوله في الجواب: (إنَّ القاعدة الأصولية المقررة في الدين: (أنَّ الحكم يدور مع العلة نفيًا وإثباتًا) (١٥)...) إلخ (١٦).

أقول: إنَّ العلة المنصوصة في الصحيح (١٧) - وهي مضاهاة الخالق - جلّ وعزّ - لا يشك مسلم عاقل في وجودها وتحققها في الصور سواء شاء أم أبى؛ وبهذا حكم أئمة الإسلام بحرمة تصوير كل ذي روح حيواناً كان، أو إنساناً من العظماء، وقادة الفكر في العالم، أو سوقة وأغبياء.





فخرجوه أن يبين لنا من هم هؤلاء السلف الصالحون الذين  
برعوا في فن تصوير الحيوان؟

وليُصرَّح لنا بأسماء هؤلاء الأساتذة العباقرة، ومن أي طبقة  
من طبقات علماء الأمة الإسلامية هم؟

من أهل السلف، أو من الخلف، أو من المتأخرين حتى نفاخر  
بهم أساتذة الأمم الغربية، وعباقرتهم الذين برعوا في فن  
تصوير الصور الحيوانية الذين يضاهون بخلق الله، الذين هم  
أشد الناس عذاباً يوم القيامة بنص الحديث النبوي الصحيح (٢٢).  
ثم قال كاتب الجواب: (هذا: - أي إباحة (٢٣) تصوير الصور  
الحيوانية - هو رأي الفاهمين المستنيرين من علماء الإسلام  
الذين فهموا معنى الإسلام الصحيح، وأدركوا مقتضيات  
الأحوال، وعلى رأس هؤلاء الأستاذ محمد عبده (٢٤) أحد  
أساطين وعباقرة رجال الدين في العصر الحديث) اهـ.

أقول: إن تحريم تصوير الصور الحيوانية التامة الكاملة هو  
رأي علماء الدين، وأئمة المسلمين الذين نور الله بصائرهم  
ورثة النبي (ص) (٢٥) علماء وعملأ واعتقاداً الذين فقهم الله  
في الدين حتى فهموا معنى الإسلام الصحيح، وبلغوه للناس  
على بصيرة على أحسن الوجوه الصحيحة، وقدموا للناس  
تعاليم ديننا الحنيف نقية ناصعة صحيحة مسيطرة لحياة  
الإنسانية الكاملة، متمشية مع نوااميس الحياة الإسلامية الحقّة

وقوله في الجواب: (واعتقد أن كل مسلم نور الله بصيرته...) إلى قوله: (لا يستطيع أن يناقش في حلّ وفائدة التصوير...) إلخ (١٨).

فأقول: إن الإمام النووي وأئمة الإسلام من المحدثين والفقهاء يناقشون؛ بل ويحكمون بحرمة هذا التصوير الحيواني لوجود علة المضاهاة المنصوص عليها في الصحيح، وطبقاً للقاعدة المقررة في الأصول: (أن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدمًا، ونفيًا وإثباتًا).

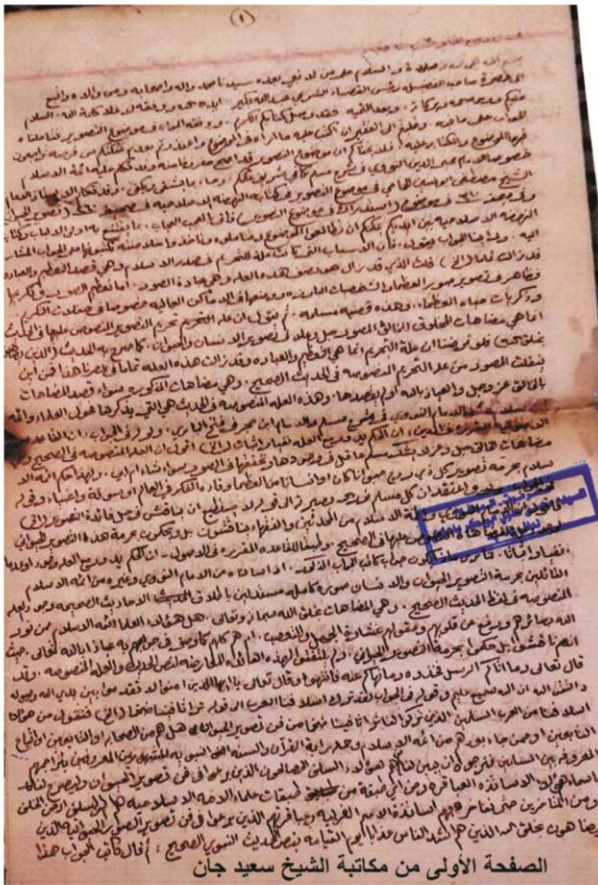
فما ترى ماذا يكون جواب كاتب الجواب المذكور إذا سألناه عن الإمام النووي، وغيره من أئمة الإسلام القائلين بحرمة تصوير (١٩) الحيوان والإنسان صورة كاملة مستدلين بإطلاق الأحاديث الصحيحة، ووجود العلة المنصوصة في لفظ الحديث الصحيح؛ وهي: المضاهاة بخلق الله - سبحانه وتعالى -؟ هل هؤلاء العلماء أئمة الإسلام ممن نور الله بصائرهم، ورّع عن قلوبهم وعقولهم غشاوة الجهل والتعصب؟

أم هم كلهم كما وصف في جوابه - عياداً بالله تعالى - حيث أنهم ناقشوا؛ بل حكموا بحرمة التصوير الحيواني، ولم يلتفتوا لهذه الفائدة (٢٠) المعارضة لنص الحديث والعلة المنصوصة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

وقوله في الجواب: (لقد ترك أسلافنا العرب...) إلى قوله: (تراثاً فنياً ضخماً...) إلخ (٢١).

فنقول: من هؤلاء أسلافنا من العرب المسلمين الذين تركوا لنا تراثاً فنياً ضخماً من فن تصوير الحيوان؟

هل هم من الصحابة أو التابعين، أو أتباع التابعين، أو ممن جاء بعدهم من أئمة الإسلام، وحملوا راية القرآن والسنة النبوية المشهورين المعروفين بتراجهم المعرفة بين المسلمين؟



حتى تصل بهم إلى الحياة الأبدية، والسعادة السرمديّة، وعلى رأس هؤلاء الأعلام الأستاذ الإمام محيي الدين النّووي أحد أئمة الدّين، وركن مكين من رجال الإسلام الذين عليهم الموعول في العصر القديم والحديث، وكل خيرٍ في اتباع من سلك، ليعلم هذا كاتب الجواب.

ويقول كاتب الجواب: (وهل يُعقل أن تُحرّم الشريعة وسيلة من وسائل العلم...) إلخ (٢٦).

أقول: (إن الشريعة الإسلامية، وتعاليم الدين الحكيم لأُحرّم وسيلة من وسائل العلم النافع، والعمل الصالح في نظر الشارع الحكيم، وقوانينه الشرعية المنزلة من حكيم خبير حميد، ويكفي العاقل اللبيب أن يعلم ويعتقد جازماً أنّ الشارع الحكيم لا يأمر بفعل شيء إلا لأنه وسيلة للخير، وحسن العاقبة عاجلاً وآجلاً، ولا ينهى عن شيء، ويتوعد فاعله - سيما بالوعيد الشديد - إلا لأنه وسيلة إلى الشر والضرر عاجلاً وآجلاً.

ولولم يعلم بحكمة التشريع، ولا علة الأمر والنهي في الأحكام الشرعية كما كان عليه الصّدر الأوّل أصحاب رسول الله (ص) (٢٧) الذين هم خير القرون الإسلامية؛ اللهم إلا في القليل النادر من يسأل الرسول (ص) (٢٨) عن حكمة التشريع في بعض الأحكام، اكتفاء بعلمهم وإيمانهم الكامل بحكمة الشارع الحكيم، وكانوا - رضي الله عنهم - المثل الأعلى في العمل بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

ثم جاء دور القرن الرابع عشر عصر الغربة، والنقد الخارجي، والنقد الداخلي والافتيات، والتقدم بين يدي الله ورسوله، ودعوى استنباط الأحكام الشرعية من منابعها الصّافية الأصلية - كتاب الله وسنة رسوله - وعرضها على الناس صافية نقية عرضاً يتمشى على مقتضيات الحياة الاجتماعية، وما تقتضيه تطورات نظم عصر المدنية، وتقاليده الأمم الغربية حتى فيما لا يتفق مع السنن النبوية، والأحكام الشرعية من النظم الغربية، والقوانين الوضعية.

سَارَتْ مُشْرِقَةً وَسُرَتْ مُغْرَبًا شَتَانٌ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرَبٍ (٢٩)  
أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيّاً سَهِيلاً عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ؟  
هي شرعية إذا..... (٣٠) وسهيل إذا بدا (٣١) يمان  
وأما قول كاتب الجواب: (وإن لم ينتبه رجال الدين إلى واجبه... إلخ) (٣٢)  
فنحن لنا كلمة على جوابه ربما نستغرق أربع صفحات كبار؛ ولكنه من المحال أن يقتنع منها كاتب الجواب، ومن نحنا نحوه.

فمن العبث أن نحاول اقناع هذا الطراز الحديث الميسر لما خلق له، المتوجه إلى وجهته المقدرة له: ﴿وَلِكُلٍّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] وفي قراءة: هو مولاها (٣٣).

فلقد ضربنا صفحاً عن الجواب حرصاً على اغتنام الوقت العزيز، ثم لا يخفاكم أن كلام علماء الدين وأئمة المسلمين الذين تكلموا في موضوع التصوير؛ كالإمام النّووي، وابن حجر في (فتح الباري)، وغيرهما، إنما هو في التصوير العملي اليدوي،





83

العدد (34)

أكتوبر  
ديسمبر  
2024م

## فتوى الأستاذ الإمام الشيخ يوسف الدجوي (٤١)

س: ما حكم الصورة الفوتوغرافية، أو الفنية لإنسان وحيوان، أو غيرهما كالأشجار من حيث النظر، والاستصناع؟  
الجواب: يُباح التصوير إن كان لصورة غير حيوان كالأشجار، والبناء، ويباح النظر للصورة سواء كانت كاملة، أم ناقصة، لها ظل بأن كانت جسمية، أم لا؛ كالفوتوغرافية، أمّا إن كان التصوير لحيوان سواء كان إنساناً أم لا ففيه تفصيل:

فإن كانت الصورة لا ظل لها كالفوتوغرافية كره عملها والنظر إليها، وأن كان لها ظل فاصطناعها والنظر إليها حرام إن كانت تامة الأعضاء، وإلا ففعلها والنظر إليها مكروهان، أو خلاف الأولى. هذا كله مقتضى مذهب مالك، والله أعلم  
اهـ مجلة الأزهر الصادرة في جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ.

يظهر من فتوى الأستاذ يوسف الدجوي كراهة التصوير الفني بالفوتوغراف. وفتوى الأستاذ أبي سيف الحمامي تصرّح بتحريم تصوير الصور الحيوانية التامة الأعضاء سواء كان التصوير عملياً يدوياً، أم فنياً فوتوغرافياً تبعاً لإطلاق الأحاديث النبوية، وإطلاق فتوى شيخ الإسلام الإمام النووي.

والذي أراه أقرب إلى الاحتياط فتوى الإمام النووي، والأقرب إلى عموم البلوى (٤٢)، وشبهة خلاف أساتذة مصر (٤٣) فتوى الأستاذ يوسف الدجوي: كراهة تصوير الصور الحيوانية التي لا ظل لها، وكراهة النظر إليها كالصورة الفوتوغرافية، والرقمية؛ سواء كانت في ثوب، أو لوح، أو ورق، أو حائط، أمّا إن كان هناك حال ضرورية؛ فالضرورات تبيح المحظورات: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، والله أعلم.

والسلام عليكم.

من كاتبه الفقير: سعيد بن صديق جان. [تتمة]

ثم ختم كاتبُ الجواب مقالته في موضوع التصوير بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

أما التصوير الفني الحديث بواسطة الآلة الحديثة (الفوتوغراف) (٣٤) المسمى: حبس (٣٥) الظل إنّما حدث قريباً فتكلّم فيه علماء العصر في مصر وغيرها، أما الأستاذ أبو سيف الحمامي في كتابه (النهضة الإصلاحية) فقد شدّد التّكثير على فاعله الذي يُصوّر به الصور الحيوانية، وأدخله في مفهوم إطلاق الأحاديث الواردة في تحريم التصوير، وافتي بحُرمة التصوير الفني الفوتوغرافي إفتاءً لا هوادة فيه اعتماداً على ما ظهر له من الدليل، أما الأستاذ محمد عبده ومن وافقه من علماء العصر، فقد اختلفوا بإباحته:

وكل يدعي وصلاً بليلى (٣٦)

﴿كُلُّ حَرْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣، الروم: ٣٢].  
انظروا (النهضة الإصلاحية)، وتأملوا موضوع التصوير، والله أعلم بالصواب.

## فتوى الإمام النووي - رضي الله عنه -:

قال الإمام المحقق ولي الله تعالى من غير مربة، وأحد الأفراد في هذه الأمة، الشيخ النووي في شرحه على صحيح مسلم مانصه: (قال أصحابنا - (أي الشافعية) (٣٧) - وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر؛ لأنّه متوعّد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنّعه بما يمتّهن، أو بغيره فصنّعه حرام بكل حال؛ لأنّ فيه مضاهاة لخلق الله تعالى؛ وسواء ما كان في ثوب، أو بساط، أو درهم، أو دينار، أو فلس، أو إناء، [أو حائط] (٣٨)، أو غيرها.

وأما تصوير صورة الشجر، ورحال الأبل، وغير ذلك ممّا ليس فيه صورة حيوان فليس يحرام (٣٩) اهـ نقله الأستاذ الإمام الشيخ مصطفى الحمامي في كتابه (النهضة الإصلاحية) صحيفة ٣١١ ثم أفاض (٤٠) في النقل عن علماء الدين في تحريم التصوير الحيواني، فانظروه فإنّه نفيس.



أقول: لا أدري ماذا فهم الكاتب من هذه الآية الكريمة، والموعظة البليغة حتى استشهد بها في خاتمة جوابه؟

فإن فهم منها أن الأمة الإسلامية إذا تولت وأعرضت عن العمل بتعاليم الدين، وهجرت سنن رسول رب العالمين، وتطرفت وانحرفت عن الصراط المستقيم، وبدلت نعمة الله عليها بتعاليم دين الإسلام المقررة في كتاب الله وسنة رسوله (ص) (٤) فإن الله الحكم العدل لا بد أن يذيقهم شديد عقابه، ويستبدل قوماً غيرهم، ثم لا يكونوا أمثالهم، فقد أصاب فهمه الآية المذكورة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُ أَمْرًا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١].

أليس دين الإسلام أكبر نعمة أنعم الله بها على المسلمين؟ أليس كتاب الله وتعاليمه الرشيدة، وسنة رسوله المبينة المفسرة لأحكامه وأخلاقه وآدابه وأعماله الصالحة نعمة عظمى، ومنة كبرى يجب شكر المسلمين عليها، بالعمل بها، والاستقامة على منهاجها القويم، وصراتها المستقيم؟

ثم أنظر إلى الحال الحاضرة، وكيف سير المسلمين اليوم؟ وهل حصل منهم تغيير وتبدل مشاهد محسوس؟ ثم تأمل كيف عاقب الله - عز وجل - من غير وبدل نعمة الله عليه من الأمم الإسلامية اليوم مما حل بها مما ترى وتسمع؟

وإلى الله المشتكى، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

فليتأمل كاتب الجواب هذه الحقيقة بدقة مع ملاحظة الأخلاق والأعمال والأحوال الجارية بين المسلمين.

### تنبيه:

في الجزء الأول من اخبار الشيخ سعيد جان الصادر في مجلة حضر موت الثقافية عدد (٣٣) حصل سقط بالمجلة تحت عنوان زواجه بعد قوله وانجبت له ثلاث بنات. والسقط هو:

### أولاده:

خلف - رحمه الله - ثلاث بنات:

١- الكبرى: تزوجها السيد عبدالله بن طاهر الحداد (ت: ١٣١٨ هـ) أخو السيد علوي بن طاهر الحداد صاحب الشامل في تاريخ حضر موت؛ وكان كبير السن عندما تزوجها؛ وقد أنجبت له ابنتين وبنات.

٢- الوسطى: تزوجها أولا السيد حامد بن أحمد الحداد؛ وله منها بنت؛ ثم فارقتها؛ فتزوجها بعده المقدم أحمد بن عمر باصرة؛ وتوفيت سنة (١٣١٠ م)؛ وقد خلفت له ابنتين.

٣- الصغرى: تزوجها السيد علوي بن محمد المحضار؛ وله منها بنت.

ثم فارقتها فتزوجها بعد ذلك عثمان بن إبراهيم الشيباني (العدني) ... الخ.

### الهوامش:

(١) خلط - رحمه الله - بين الشهر القمري، والعام الميلادي، و٢٠ / ربيع ثاني / سنة (١٣٧١ هـ) يوافقها: ١٨ / يناير / سنة (١٩٥٢ م).

(٢) في الأصل: صلاة.

(٣) صوابه: رئيس مجلس القضاء الشرعي، أو رئيس القضاة الشرعيين.

(٤) الشيخ عبدالله بن عوض بكير: وُلد سنة (١٣١٤ هـ) بغيل باوزير، واشتغل بطلب العلم على الشيخ عمر بادابه، ولازمه نحو خمسة عشر عاماً، وجَدَّ في التحصيل والمذاكرة، وطالع بنفسه علوماً كثيرة، وأخذ عن الشيخ عمر بن يعقوب باوزير، ثم رحل إلى (سيون)، وأخذ عن السيد علي الحبشي، وولي إمامة مسجد (الصداع)، ثم إمامة مسجد (حباير)، ثم ولي الإمامة بمسجد (الروضة) بالغيل، ثم (اليافعي) بها، وولي قضاء بندر المكلا في فاتحة ربيع الأول سنة (١٣٥١ هـ) - (١٩٣٢ م)، وكانت له اليد الطولى في إصلاح نظام القضاء، وله فتاوى كثيرة، وأحكام غير مجموعة، توفي يوم الاثنين ١٧ / جمادى الثانية / سنة (١٣٩٩ هـ) - (١٤ / ٥ / ١٩٧٩ م).





تراثاً فنياً ضخماً لا يستطيع أحد أن يزعم أنهم يعملهم هذا قد أساءوا إلى الدين، أو جهلوا فهم حقيقته).

(٢٢) حديث ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم: (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢١٠٩ / ٩٨).

(٢٣) في الأصل: أباح.

(٢٤) هو محمد عبده بن حسن خير الله التركماني مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد، انظر الأعلام للزركلي ٦ / ٢٥٢.

(٢٥) (ص): اختصار لـ (صلى الله عليه وسلم)، والأولى إثباتها بدون اختصار.

(٢٦) تكملة الجواب: (وهل يعقل أن تحرم الشريعة وسيلة من وسائل العلم لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة، ولا من جهة العمل).

(٢٧) (ص) اختصار لـ (صلى الله عليه وسلم).

(٢٨) (ص) اختصار لـ (صلى الله عليه وسلم).

(٢٩) البيت مشهور في كتب أهل العلم، ولم أعر على قائله.

(٣٠) كلمة غير واضحة.

(٣١) كلمة غير واضحة؛ والبيتان لعمر بن أبي ربيعة، لكن حصل تحوير في البيت الثاني، وأصله هكذا:

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا ما استقل يمان

انظر ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٥٨، وشرح ديوان الحماسة للأصفهاني ١ / ٤٥٧.

(٣٢) تكملة الجواب: (وإن لم يتنبه رجال الدين إلى واجبه مستدور عليهم عجلة الزمان، ويتخلفون عن القافلة، وتحل بهم سنة الله في الكون).

(٣٣) وهي قراءة ابن عامر، انظر تفسير ابن كثير ١ / ٤٦٣.

(٣٤) الفوتوغراف: يعني الصورة الشمسية، انظر المعجم الدخيل ص ١٥٨.

(٣٥) في الأصل: حسب الظل.

(٣٦) البيت مشهور في كتب أهل العلم، ولم أعر على قائله.

(٣٧) لفظة (الشافعية) زيادة من عند الشيخ سعيد جان.

(٣٨) كلمة (أو حائط) زدناها من شرح مسلم للنووي.

(٣٩) انظر شرح مسلم للنووي ١٤ / ٨١.

(٤٠) يعني: الحمامي.

(٤١) يوسف بن أحمد الدجوي: مدرس من علماء الأزهر، ومن فقهاء المالكية، ولد في قرية (دجوة) من أعمال القليوبية بمصر، وتوفي سنة (١٣٦٥هـ)، انظر الأعلام للزركلي ٨ / ٢١٦.

(٤٢) عموم البلوى: ما لا يمكن للمكلفين الاحتراز عنه، ويعسر عليهم اجتنابه.

(٤٣) أي تحرزاً وبعداً عن شبهة الخلاف، والمعنى أن التصوير الفوتوغرافي لا يكون محرماً لشبهة خلاف أساتذة مصر، (وشبهة الخلاف) معتبرة عند الأحناف انظر البناية شرح الهداية ٢ / ٣٨٤.

(٤٤) (ص) اختصار لـ (صلى الله عليه وسلم).

(٥) لم يتبين لي من كاتب هذا الجواب؟ وهو أي الجواب - مرفق بمكاتبة الشيخ سعيد جان إلا أنه لم يكتب عليه اسم كاتبه.

(٦) النووي: هو محرر ومحقق المذهب الشافعي، الإمام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني النووي، ولد في (نوى) من قرى حوران بسورية سنة (٦٣١هـ)، وأخذ عن الكمال الإربلي، والتاج الفزاري، توفي النووي سنة (٦٧٦هـ)، انظر الأعلام للزركلي ١٤٩ / ٨، وكتابتنا الفوائد الحضرية ص ١٠٤.

(٧) انظر شرح مسلم للنووي ١٤ / ٨١.

(٨) الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي خطيب المسجد الزيني بالقاهرة، له كتاب (النهضة الإصلاحية)، توفي سنة (١٣٦٨هـ)، انظر الأعلام للزركلي ٧ / ٢٣٥.

(٩) كتاب النهضة الإصلاحية للحمامي مطبوع.

(١٠) حديث عائشة قال صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله)، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٤)، ومسلم برقم (٢١٠٧ / ٩٢)، وغيرهما.

(١١) في الأصل: مضاهاة.

(١٢) انظر شرح مسلم للنووي ١٤ / ٨١.

(١٣) ابن حجر: هو الإمام أمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد صاحب أفضل وأشهر شرح على البخاري والمسمى: (فتح الباري)، وله غير ذلك من المصنفات النافعة، أصله من عسقلان بفلسطين، ومولده ووفاته بالقاهرة، توفي سنة (٨٥٢هـ)، انظر الضوء اللامع للسخاوي ٢ / ٣٦، والبدر الطالع للشوكاني ١ / ٨٧، والأعلام للزركلي ١ / ١٧٨.

(١٤) انظر فتح الباري ١٠ / ٣٨٤.

(١٥) (الحكم يدور مع علته نفيًا وإثباتًا وجوداً وعدمًا) قاعدة مشهورة عند أهل العلم، انظر فتح الباري ٩ / ٢٤٠، و١٠ / ٥٦، وحاشية الشرواني على التحفة ٤ / ١٠١، وحاشية الرملي على الأسنى ٣ / ١٠٥، ونهاية المحتاج ٣ / ٢٩٣.

(١٦) وتكملة الجواب: (إن القاعدة الأصولية المقررة في الدين أن الحكم يدور مع العلة نفيًا وإثباتًا؛ فإذا انتفت أسباب الحكم انتفى هو تبعاً لها، وما دامت أسبابه قائمة احتفظ بشرعيته ووجوده).

(١٧) يعني صحيح البخاري ومسلم.

(١٨) تكملة الجواب هي: (واعتقد أن كل مسلم نور الله بصيرته، ورفع على قلبه وعقله غشاوة الجهل والتعصب لا يستطيع أن يناقش في حل وفائدة التصوير، وعدم ضرره على الدين عملاً وعقيدة).

(١٩) في الأصل التصوير، ولعل الصواب ما صححناه.

(٢٠) يعني فائدة التصوير.

(٢١) تكملة الجواب: (لقد ترك أسلافنا العرب في عصور مدينتهم الزاهرة



# حضارمة استثنائيون

## السيدة الجليلة فاطمة عبدالقادر بن علوي العيدروس

### الطقة الأولى

من إحدى ديار آل العيدروس الكبيرة الجميلة المنيفة الشامخة، بمنطقة تاربة الحضرمية، ولدت السيدة الجليلة فاطمة عبدالقادر بن علوي العيدروس، الملقبة بـ(فطم)، في ميلاد العام تسعة وعشرين وتسعمائة بعد الألفية الأولى، فحظيت بطفولة سعيدة جميلة مدللة، ومن حظوظها أيضاً أن عاشت أجواءً أسريّة رائعة ملهمة في سحرها، كجمال فلسفة البنيان المرصوص، فهذا المنزل كما تميل إليه السيدة فطم العيدروس بمثابة عشقها الذي يلامس روحها، وشاهد على روائع من مخزون جمال سنوات طفولتها.

التي تربّت بجوارها، تُطعمُها وتسقيها، ما جعلها غالباً ما تعزف رافضة أكل لحوم هذه الذبائح العيدية. ومن هاهنا وهي تصف مسترسلة تصمت فجأةً أمناً فطم، ويختلف منها لحن الصوت، وتبدّل بعض من ملامحها حينما طرقت مشاعر عواطفها ذكرى أبواب والدها، فبرز أمامها موقف كان يُزعجها كثيراً، ويُبعثر تماسك مشاعرهما ويَزِيدُها تأثراً وحزناً، ظلّ عالقاً في ذهنها لم تستطع دفعه، ذلك حينما يحتفي أفراد عائلتها بعودة بعض من أفرادها قادمًا من جاوة محملاً بأصناف الهدايا الغريبة والعطايا العجيبة، فتجدها متألّمة وهي تمرّ أبصارها بين الحضور بيراءة طفولتها، تُفتّش عن والدها وفي نفسها رجاءً وتمنٍّ.. لعلّ أباهم ممن ركب مركب الأشواق، قادمًا إليها.

فطم.. كما يحلو للجميع أن يناديها تحببًا بها، قد عانت في مطلع سنيّ عمرها الأولى، التي تأتي بين سني الطفولة والصبا، عندما وعت غياب والدها السيد عبدالقادر بن علوي العيدروس، الذي لم يرق له عيش الحياة بحضر موت في تلك الفترة، فعاد إلى بلاد جاوة، التي ولد بها وترعرع في بيوتها وأزقتها، مفارقاً ابنته رضيعةً قبل أن تتعرّف في سيرها، ما دفعها إلى كثير من المعاناة وألم الحزن، الذي سكنها شعورًا متواصلًا، فجاورها



شكري نصر مرسال

كانت السيدة فطم دائماً ما تعود بها الذكريات إذا ما سنحت لها الفرصة لزيارة منزل العائلة القديم، فيوقظها حضورها، فيتجلّى أمامها جلال تلك الأيام، فتسترجع مشاهد وتذكارات من حكايات حياة ماضي عمرها الصغير وقصصها، تتذكر نساء العائلة وهنّ يجتمعن في أجواء مخملية، تنقضي مساءاتها كالأعراس على أنغام دفوف الموشحات الصوفية وطيرانها، كما تذكر لأنجالها الذين يرافقون زياراتها عن مطارح هذا المنزل العتيق وأركانها ودهاليزه العجيبة، وتمدّد سلالته الكثيرة، وغرفه (البريحة) التي صُمّمت بطريقة هندسية راقية، ومن ثم تذهب بهم في شرح مفصّل عن هذا البيت، تذكرهم وتمضي بها الذكريات مبتسمة كيف كانت تحزن في الأعياد عندما تُجهز العائلة على ذبح بعض الأغنام،





### منزل العائلة القديم



فاضلة مُصَحِّية متميزة، فريدة بإنسانيتها المعروفة، جمعت بين مواهب الحكمة وحدة الذكاء، امرأة شجاعة، ومن سجاياها أنها مرنة، تتمتع بروح المبادرة، قدمت دروساً بالغة في فنون العطاء والصبر والمثابرة والسيرة الطيبة، محاطة بحب الناس، كحوض الماء العذب يمدُّ من يردُّ إليه بروح الحياة، وإن أجراه صاحبه يجر صافياً نقياً مجرى الصدقات، دون أن ينقص أو يعكّر صفوه البعض المختلف من البشر.

نعم.. هي من عبرت الحدود من دمشق إلى بيروت وفي أحذيتها الشتوية تحمل أمانات لعائلات جاربهم واقع التحولات السياسية، في مرحلة صعبة من تاريخ سوريا. أليست هذه الدرة الحضرمية القوية بفكرها الإنساني العروبي من تطوعت في الدفاع المدني السوري، وحملت السلاح في حرب حزيران (٦٧)، الحرب التي شنت على مصر وسوريا والأردن، فشاركت (أمنا فطم) انتصاراً لعروبيتها، أليست أنت يا أم الجميع من كنت تزورين جرحى الحرب وعائلاتهن في مشافيهم ومنازلهم، وتمضين إلى بيت عائلتك متأثرة حزينة دون أن يفارق أذنك أصوات أنين الجرحى والمصابين.

الحرمان باكراً، وصار وجعاً ملازماً لها كظلمها، حملته عُمرًا بتفاصيله، يرافقه أسفارها أينما رحلت فطم، ومرحلة، إلى أن صيرتها المنية ونزل بها الموت إلى صمت المدافن، عن عمر ناهز السنين السبع بعد الثمانين.

كانت السيدة فطم العيدروس في طفولتها من كل ليلة في الخفاء بعيداً، في غفلة من أنظار عائلتها تقف وتطيل الوقوف أمام مرآة الأيام باكيةً، تتساءل كما يتساءل الغرباء، وعلمها أن الأيام وليدة الليالي، تشكو لو الدها سكرة الفراق، وتتلو على أذهانه نشيداً شجياً شبيهاً في مطلع بعضاً من مطالع قصيدة ابن زريق البغدادي العباسي، الموسومة بـ (لا تعذليه).

(أستودعُ الله في بغداد لي قمرًا بالكرخ من فلك الأزارار مطلعهُ)  
(ودعته وبودّي لو يودّعني صفو الحياة وأنّي لا أودعه)

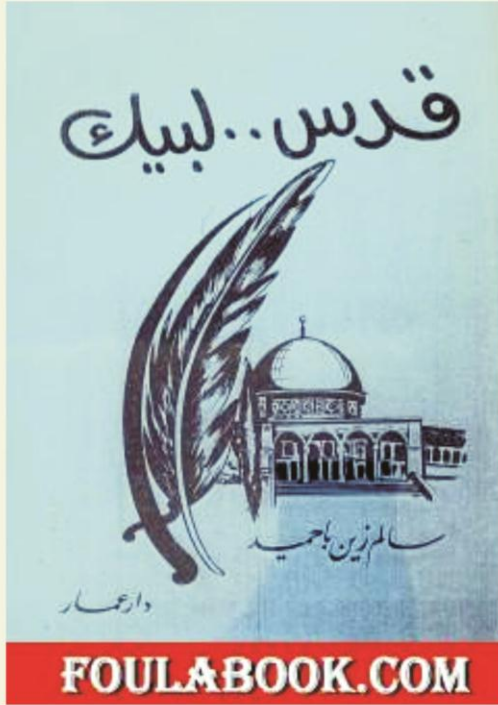
وهي القصيدة الوحيدة التي ولدت من وجدانية ابن زريق، ولم تُعرف له قصيدة غيرها، فلذلك أطلق عليها القصيدة (اليتيمة) من قبل الباحثين في أوراق ابن زريق؛ إذ جسدت - أي القصيدة - أبلغ صور الفراق والحرمان، فسكبت دروساً وعبراً من عذابات الغياب، تخبره بواقع أحوالها، وقد أصاب الفقد ملامح أحاسيسها المرهقة بنوبات من الحزن والأسى، فحينئذ لو الدها ظل جاراً ملازماً لها بالرغم من أنها عوّضت في مسارات طفوتها بحنان جميع الأهل القريبين منها، ما خفف لديها نزلات الألم، ووالدتها عائشة العيدروس المرأة الشابة المجاهدة في تربيتها، القريبة منها، تدفنها كل يوم بمشاعر الحرص، وبلطائف الأمومة، تسمح لها بقلبها كل ليلة مواضع الأسى، تُصبرها وهي متألمة أن تلامس أطراف ابنتها المرتعشة أكتاف أبيها، التي صرفت أيامها ولياليها ترقب اللقاء، وأنفقت من سنوات طفولتها منتظرة عودة غياب والدها، إلى أن كبرت وتعددت صفاتها، وصارت الطفلة (فطم) شابةً، من حسناوات بنات منطقتها، فزوجت بالأستاذ الأديب المفكر الكبير علي عقيل بن يحيى، فأصبحت أم عباس

# فلسطين

## في ديوان (قدس لبيك) \*

للشاعر والأديب سالم زين باحميد

## فنية التكرير والتثنية



FOULABOOK.COM



أ.د. أحمد سعيد عبيدون

(١)

يتكون عنوان الديوان من كلمتين: (قدس، لبيك)، أما الكلمة الأولى فتعني مدينة (القدس) أو (بيت المقدس)، ومعناها: الأرض المقدسة والمباركة، وتمتد دلالتها هنا إلى أبعد من مدينة القدس، فهي تعني فلسطين كلها.

وأما كلمة لبيك فهي من التلبية، التي هي إجابة لنداء القدس المحتلة، وتلبية لنصرتها وتحريرها.

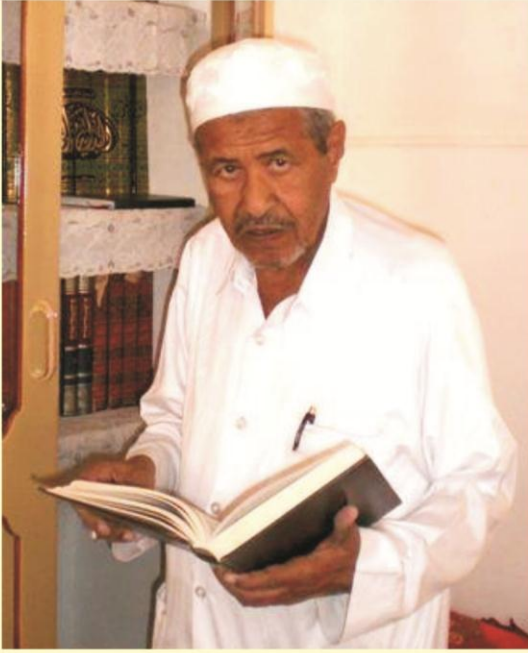
ومن الناحية التركيبية فإن العنوان يتكون من النداء وجوابه: فكلمة (قدس) منادى محذوف الأداة، مبني على الضم في محل نصب، وكلمة (لبيك) مفعول مطلق لفعل محذوف

تقديره: ألبى، منصوب وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جاء في صورة المثنى، فهي تفيد التابع لا التثنية؛ أي تلبية بعد تلبية مفيدة التكرير والمبالغة، ومثلها: حنانيك، وسعديك، ودواليك.

وهذا يعني أن هناك نداءً، كانت القدس قد بعثت به إلى الناس، بأن ينصروها ويخلصوها من احتلال الصهاينة، وهو ما يجيب عنه هذا الجزء من العنوان: (لبيك)، غير أن هذا العنوان يتصل تناصياً في قداسته، وفي ندائه مع البيت الحرام ونداء نبي الله إبراهيم عليه السلام، وأذانه للناس بالحج:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(١)</sup>، وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال إبراهيم: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال أذنّ وعليّ الإبلان، فصعد على جبل أبي قبيس، وصاح يا أيُّها النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قد أمركم بحج هذا البيت، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء لبيك اللهم لبيك<sup>(٢)</sup>، هذا التناص هو الذي يوحد مكة والمسجد الحرام بفلسطين والمسجد الأقصى، ويجعل نصرتها وتحريرها واجباً وفضلاً كما هو الحج، ومن هنا كان هذا العنوان بهذا العمق والاتصال بالمعنى الديني والإنساني، فضلاً عن كون المسجد الأقصى والمسجد الحرام





الشاعر الأديب سالم زين باحميد

يلتقيان في الإسراء والمعراج: ((سبحان الذي أسرى بعبده  
ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا  
حوَلَهُ لِنُريَهُ من آياتنا إنه هو السميع البصير)) (٣).

مكة القدس  
المسجد الحرام المسجد الأقصى  
الإسراء المعراج

(٢)

وإذا ما نظرنا إلى الديوان في ضوء هذا العنوان، وهذه  
المعاني نجد أنه يحتوي على ثلاث عشرة قصيدة، كل قصيدة  
فيه تمت بصلة ما إلى القدس، ثلاث منها تشير إليها بشكل  
مباشر منذ عناوينها:

- رسالة إلى صلاح الدين (٤).

- قدس لييك (٥).

- سترجع القدس بنار اللظى (٦).

والبقية تذكر القدس في نهاياتها، أو تشير إليها، أو إلى  
الجهاد، أو إسرائيل، أو القوة والعزة... إلخ.  
مثلاً في قصيدة (حنين) يقول في آخرها (٧):  
يا فلسطين لن تظلي بعيداً

ستعودين أمة العرب غضبي

لم نساوم على روايي فلسطين

من على أرضها تراباً وشعباً

سيعود الأقصى بيوم كحطيب

من فكم فل عزمنا الفذ خطباً

وفي قصيدة الطفل العملاق (٨):

أرأيتم برعماً يزهر في يوم

وفي الأرض شذاه

أرأيتم نجمة في حالك الليل تنير الأفق

يأتي ضوءها في ألح رغم الرياح

إنه طفل فلسطين

نرى تاريخنا فيه كأزهي ما يكون

ف(البرعم) و(النجمة) يؤولان في النهاية إلى (طفل فلسطين)

وفي قصيدة (موقد العزائم) رغم أنه يتحدث فيها عن مولد

المصطفى فهو يقول في آخرها:

وفلسطين بيننا في اختيال

بعد تحريرها من الطغيان

عدو، وقد عاد قدسنا في انتصار

يتعالى الأذان في الآذان.

وفي قصيدة (المهماز) (٩)

يذكر في آخرها قطر، وصلاح الدين، ومحمود زنكي:

محمود زنكي

يا صلاح الدين

نحن شعوب العرب الأباة

نعيش في هوان

ألسننا جفت من الهتاف

أسماعنا ملئت من السماع

وعافت الأنغام

إحساسنا ممزق ممزق حطام

متى؟ لعل؟ وعسى؟

تزورنا الأمطار

ينقشع الغمام

(٣)

هذه الهيمنة، وهذا الحضور للقدس وفلسطين هو الذي جعل الشاعر يختار عنوان القصيدة (قدس لبيك)؛ لتكون عنواناً للمجموعة كلها، فضلاً عن هذه الدلالة الشاملة للعنوان، التي تؤهل كل القصائد للانضواء تحت دلالته الواسعة.

لذلك كله فإننا سنقف وقفة فنية أمام هذه القصيدة؛ لما تمثله من الحضور عنواناً ودلالة، عند دور التكرير والتثنية في بنائها: عند الحديث عن العنوان (قدس لبيك) وجدنا التلبية في القول (لبيك) تفيد التثنية، لكن هذه التثنية، ليس المقصود بها التفريق والفك والانقسام للأشياء إلى اثنين اثنين، ولكن على العكس؛ إذ المقصود بها الجمع والالتحام والوحدة بين الأشياء لكل اثنين اثنين؛ حتى يكثر العدد، ونصل عن طريق التتابع والتكرار إلى البناء والوحدة، وهذا هو السرُّ في - رأينا - الذي جعل الشاعر يبدأ القصيدة بالحديث عن الوحدة في الأبيات الخمسة الأولى، وعن وحدة اليمن لكي تلتمم بقية الدول العربية؛ حتى يكتمل الجسد الواحد جسده الأمة العربية؛ لكي تتحرر فلسطين، فلا يمكن أن يكون هناك تحرير في ظل الفرقة والانقسام، إنما التحرير بالوحدة والالتحام ومواجهة العدو كياناً قوياً وجسداً واحداً لا يشتكي منه عضو ولا يتداعى له بالسهر والحمى:

يمن واحد أطل عظيم

في شموخ ووحدة في انتصار

نحن شعب أودى بكل دخيل

لم ترعه وحشية الأشرار

”هذه الهيمنة، وهذا الحضور

للقدس وفلسطين هو الذي جعل

الشاعر يختار عنوان القصيدة

(قدس لبيك)؛ لتكون عنواناً

للمجموعة كلها، فضلاً عن هذه

الدلالة الشاملة للعنوان، التي

تؤهل كل القصائد للانضواء تحت

دلالته الواسعة ٬٬

وحدتي ألهمت كياني بعزم

قابله الشعوب في إكبار

في ثبات أنا أشق طريقي

لم أعد بالجبان بالخوار

إنني هاهنا فداء بلادي

وفداء للترب للأحجار

يمثل التكرير والتثنية بمعنى التوحد السابق الأداة الفنية، التي بنيت بها القصيدة، وهو تكرير على صور مختلفة، سنشير إلى أبرزها:

(٤)

ثنى وعطف بمعنى متقارب، عطف العود فانعطف، وعطفت الوسادة ثنيتها، المعطف بالكسر الرداء، فهو ينعطف ويرتد راجعاً على الجسد، واثنى: انعطف، والثناء: عقال البعير، والثني من الوادي والجبل منعطفه، وفي الحديث: لا ثني في الصدقة؛ أي لا تؤخذ في السنة مرتين. الصحاح مادة: عطف وثنى. ويقول البغدادي: (أصل المثنى العطف بالواو، فلذلك يرجع إليه الشعراء في الضرورة) (١٠).

ويقول ابن الشجري: (التثنية والجمع المستعملان بالحرف أصلهما التثنية بالعطف بالحرف، فقولك: جاء الرجلان، ومررت بالزئدين، أصله: الرجل والرجل، ومررت بزيد وزيد) (١١).





٩٩

لذلك كله فإننا سنقف وقفة  
فنية أمام هذه القصيدة؛ لما تمثله  
من الحضور عنواناً ودلالة، عند  
دور التكرير والتثنية في بنائها:  
عند الحديث عن العنوان (قدس  
لبيك) وجدنا التلبية في القول  
(لبيك) تفيد التثنية، لكن هذه  
التثنية، ليس المقصود بها  
التفريق والفك والانقسام للأشياء  
إلى اثنين اثنين، ولكن على  
العكس؛ إذ المقصود بها الجمع  
والالتحام والوحدة بين الأشياء  
لكل اثنين اثنين؛ حتى يكتر العدد،  
ونصل عن طريق التتابع والتكرار  
إلى البناء والوحدة ٥٥

في الجملة (أتطيب الحياة؟) سؤال يخرج من ظاهريته إلى  
معنى النفي أيضاً؛ أي لا تطيب الحياة أو لن تطيب الحياة  
كما يفسره الشطر الثاني من البيت، ويحدد معناه ولفظه معاً:  
(لن تطيب الحياة إلا بأخذ الثار).

### تكرير الحروف:

هناك تكريرات لطيفة ودقيقة لحروف الجر الثلاثة (في، والباء،  
واللام)، كما في الأمثلة الآتية:  
في شموخ / في إصرار، بالجبان / بالخوار، للترب /  
للأحجار، في الجنوب / في إصرار، للمغول / للنتار  
فهناك توحداً للمعنى في مثني الشموخ والانتصار، والتراب  
والأحجار، وهو توحداً يقف في الجانب الإيجابي الذي يقوي  
الوحدة ويعززها، وهناك توحداً للجبان والخوار، والمغول والنتار.  
ولكنه توحداً مداناً ومرفوضاً رفضاً يقوي وحدة هذا الجسد  
العربي ويمتتها.

يبدو التكرير بالتثنية عن طريق العطف واضحاً في القصيدة  
في أماكن مختلفة منها مثل:

رياء وجبن / مواخير خسة وقمار / بهمة واقتدار / بالناي  
والمزمار / بعزم وبتقدير حازم للطواري / بالضيا والنهار /  
للمغول أو للنتار.

وهي كلمات متقاربة في المعنى تجتمع لتمثل اختيارها  
بالإيجاب أو نفيها بالسلب.

### تكرير الكلمات:

يمن واحد...، وحدتي ألهمت... / قدس لبيك ها أنا في  
طريقي، قدس لبيك لن يطول عذاب / فبطولات أمتي بعثتها،  
أمتي أمة الفتوحات / سنعيد الأقصى، ستعودين يا قدس /  
فداء بلادي، فداء للترب /  
وهي تكريرات لمعان دالة؛ معاني الوحدة، والقداسة، والأمة،  
والعودة للأقصى والقدس.

### تكرير النفي:

هناك في القصيدة تكرير للنفي يتركز على انعدام الحياة والموت  
إن لم تعد فلسطين تمثله الأبيات الثلاثة الآتية:  
لا حياة لنا بدون فلسطين

من بدون منابع الأنوار

لا حياة لنا وفي القدس رجس

لا حياة إلا بغسل العار

أتطيب الحياة والقدس ثكلى

لن تطيب إلا بأخذ الثار

تكررت عبارة (لا حياة) ثلاث مرات. كما تكررت عبارة  
(بدون) مرتين.

لا حياة لنا / لا حياة لنا / لا حياة

بدون فلسطين / بدون منابع الأنوار

ومنايع الأنوار تعني فلسطين.

وإذا كانت هذه التكريرات واضحة فيها النفي، فإن السؤال

وفي الأخير يمكن القول إن فلسطين قد هيمنت حضوراً  
فنياً في هذا الديوان، ومثلت قصيدة قدس لبيك قلباً نابضاً فيه،  
أدى التكرير والثنية دوراً، أسهم في حضورها وإعادة حضورها  
بطرائق مختلفة، جعلت منها أملاً باقياً لا يغيب.

## قدس لبيك

يمن واحد أطل عظيم  
في شموخ ووحدة وانتصار  
نحن شعب أودى بكل دخيل  
لم ترعه وحشية الأشرار  
وحدتي ألهمت كياني بعزم  
قابلته الشعوب في إكبار  
في ثبات أنا أشق طريقي  
لم أعد بالجبان بالخوار  
إنني ها هنا فداء بلادي  
وفداء للترب للأحجار  
قدس لبيك ها أنا في طريقي  
قالها كل فارس مغوار

سنعيد الأقصى بكل قوانا

ستعودين قدس يا للثأر

لا حياة لنا بدون فلسطين

سن بدون منابع الأنوار

لا حياة لنا وفي القدس رجس

لا حياة إلا بغسل العار

أنطيط الحياة والقدس ثكلى

لن تطيب إلا بأخذ الثأر

قدس لبيك لن يطول عذاب

إنه الفجر بعد طول انتظار

فبطولات أمتي بعثتها  
فتية في الجنوب في إصرار  
أمتي أمة الفتوحات دوما  
لم تكن للمغول أو للتتار  
سيظل اليهود حتما كما كا  
نوا يعيشون عبر كل انحدار  
كل تاريخهم رياء وجبن  
ومواخير خسة وقمار  
نحن جيل من الكفاح قوي  
سوف نمضي بهمة واقتدار  
لم نعد ندخل الحروب بشعر  
وطبول بالناي والمزمار  
إنما ندخل الحروب بعزم  
وبتقدير حازم للطواري  
شرف الموت في دروب نضال  
شرف لا ينال بالأشعار  
هاهو الفجر يرافق عظيم  
هزم الليل بالضيا والنهار

\* ورقة مقدمة إلى ندوة سالم زين باحميد في مدودة بتاريخ ٥ يونيو ٢٠٢٤ م.

الهوامش:

(١) الحج: ٢٧.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن تفسير الآية ٢٧.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الديوان: ٧.

(٥) المصدر السابق: ٢٠.

(٦) السابق: ٣٤.

(٧) السابق: ١١، ١٢.

(٨) الديوان: ١٣.

(٩) المصدر السابق: ٢٨.

(١٠) خزنة الأدب: ٧ / ٤٦١.

(١١) أمالي ابن الشجري ١ / ١٠.



# التشكيل البصري لسيميائية علامات الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)

للشاعر سالم عبدالله بن سلمان (٢ - ٢)

تلك هي الإحصائية العامة لعلامات الترقيم الشعرية في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)، ويمكن تفصيلها في الآتي:

## (١) علامة التعجب (!):

ورد في الديوان (١٦) مرة، تنعدم في القسم الثاني من الديوان، وتكثر في القسم الأول، حيث وردت (١٣) مرة، وتقل في القسم الثالث حيث وردت (٣) مرات فقط، وتلك إحصائية لها دلالتها، فكثر في القسم الأول الذي عنوانه (من خضم الحياة)، والحياة مليئة بالعجائب والغرائب ومشحونة بالمؤثرات والانفعالات، وقلت في القسم الثالث الذي عنوانه (أحزان ودموع)، والأحزان لا تكون إلا على ماضى، فمن أجله تسكب الدموع، وهكذا - غالباً - تكون الأمور قد تكتشفت واتضحت، فالعجب فيها ينعدم أو يقل؛ لهذا قلت في هذا القسم.

أما القسم الثاني الذي عنوانه (همسات الروح) الذي انعدمت فيه هذه العلامة؛ فلا اتصال الروح بالملكوت الأعلى، بالمناجاة والأذان والصلاة والسياحة في رحاب نور الحق، ومن كان هذا حاله فلا مجال للعجب والتأثر، وتقلبات النفس وتغيراتها الانفعالية.

## (٢) علامة الاستفهام (?):

جاءت في الديوان في القسم الأول (١١) مرة، والثالث (٧) مرات، وانعدمت في القسم الثاني، وسيميائية ذلك أن علامة الاستفهام تُعدُّ من أهم العلامات السيميوطيقية، التي تحيل

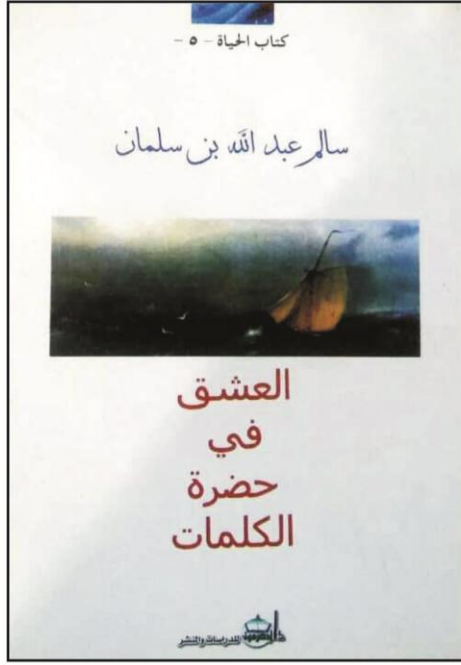


عبدالله رجب عمر باصديق

**المبحث الثاني: التشكيل البصري لسيميائية علامات الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات)**  
**المطلب الأول: إحصائية الترقيم في ديوان (العشق في حضرة الكلمات):**

تتبع الباحث علامات الترقيم الشعرية وتشكلها البصري عند الشاعر سالم عبدالله بن سلمان في ديوانه (العشق في حضرة الكلمات) فوجدها كالاتي:

- ١ - علامة التعجب (!) ٢ - علامة الاستفهام (?)
- ٣ - النقطة (.) ٤ - النقطتان الرأسيتان (:)
- ٥ - النقطتان الأفقيتان (..) وهي على نوعين قبل، وبعد
- ٦ - ثلاث نقط أفقية (...) ٧ - القوسان ( )
- ٨ - علامات التنصيص المستعيلة (" ")
- ٩ - الشرطة (-) ١٠ - علامة الاستفهام التعجبي (!?)



إلى ما فيه دهشة فلسفية وحيرة كونية، كما أنها رمز للكشف والعلم والمعرفة والحرص على طلب الحقيقة؛ لهذا نجدها تكثر في القسم الأول (من خضم الحياة)، فالحياة تحمل في طياتها الحيرة، وتحمل في أنثائها الدهشة، كما تحمل في ذاتها فلسفة، تحثُّ على الكشف العلمي، والطلب الإستمولوجي الذي يدفع إلى الأسئلة، يبين ذلك قصيدته في هذا القسم التي هي بعنوان (تساؤلات؟) التي احتوت على ما يقرب من النصف من هذه العلامة.

نجد تلك الهرميوطيقا للتأويل في القسم الثالث؛ إذ إنها استفهامات تميل نحو التفلسف، وطرح الأسئلة التي لا جواب لها، وتزول تلك في القسم الثاني؛ إذ الإيمان بعمق بالغيبيات تزول عنه كل التساؤلات في همسات الروح.

### (٣) علامة النقطة (.)

وردت في القسم الأول (٦) مرات، وفي القسم الثالث (٥)، أما في القسم الثاني فلم تأت إلا مرتين في صفحة واحدة وفي جملة واحدة مكررة وهي قوله: (عليك الصلاة) (٢١)، وسيميائية ذلك أن خضم الحياة يعتربها التعب والإعياء، وتحتاج إلى التوقف للاسترخاء وغلق فضاء الفكر، كذلك القسم الثاني فالأحزان والدموع لن تكون متواصلة فلا بد من لحظات الراحة التي تعقب الحزن وانسكاب الدمع، (لعلَّ انحذار الدمع يعقب راحة). أما دلالة قلَّتْها في القسم الثاني فتلك دلالة خاصة مجال الحديث عنها في المطلب الثاني.

### (٤) النقط الثلاث (...)

هي علامة الحذف في دلالة علامات الترقيم عند نقل الكلام بنصه والاستغناء عن بعضه، فأمانة العلم تقتضي الإشارة للمحذوف بهذه العلامة، أما سيميائيتها الشعرية فبالجملة الشعرية التي يُنهيها الشاعر الحديث إشارة منه لشيء ما لا يريد قوله صراحة بالكتابة، لكنه يفهمه الناقد الذرائعي

من الدلالات السابقة له، فالجملة الشعرية انتهت دلالتها اللفظية، لكن لم تنته دلالتها السيميائية.

وقد تكافأت هذه العلامة في القسم الأول، والثالث، وانعدمت في القسم الثاني؛ دلالة على أن الحياة فيها أسرار لم يفصح عنها الشاعر، ليرك المجال الهرميوطيقى للناقد يستكشفها، وأن دموع حزنه حالت عن الإفصاح عن ما في نفسه فبقيت العبارة على حلقه.

### (٥) النقطتان (..)

لا يوجد لهذه العلامة بين علامات الترقيم مكان، ولكنها ابتكرت في الشعر العربي الحديث، فهي علامة سيميوطيقية جديدة في عالم الترقيم للدلالة على التوتر، وقد ((وظفت في إطار التلقي البصري لحسم الجدل الشفهي والمكتوب من خلال دلالتها البصرية على توقف صوت المنشد مؤقتاً؛ بسبب التوتر الذي يدفعه إلى إسقاط الروابط النحوية)) (٢٢)؛ ليكتفي بالعلامة في تشكيلها البصري للنص؛ ليأخذ المتلقي وقته في التخيل والاستمتاع بجمال النص، وقد وردت هذه العلامة في الديوان (١١١) مرة، وزَّعت على الآتي:





الشاعر سالم عبدالله بن سلمان

## ١- علامة الأزمات النفسية (!) (٢٣):

هكذا عُرِفَت في الإملاء، ولا تساع دلالته النفسية للفرح والانفعال والاندحاش والاستغراب والتوتر أطلق عليها البعض علامة المواقف الذاتية والموضوعية، فهي تشير إلى فضاء الأزمات النفسية بأنواعها، وقد وظّفها الشاعر في نصوصه؛ للدلالة على حالة انفعال تتسم بالتعجب والحيرة، من ذلك قوله: في قصيدة أمل:

شاسع أفقه/ ومداه طويل/ ومن أجله

تطلق الروح أشواقها/ فتميل

إلى نزهة العمر/ أو رحلة المستحيل! (٢٤) فالأمل رؤية النفس للعالم المرتقب في أبهى حلته في فضاء الجديد، متخليًا عن قيود المستحيل، لكن الشاعر يرى أن الروح تطلق أشواقها إلى رحلة في عالم المستحيل، وهنا تأتي الحيرة في واقع التناقض.

ويقول في مراثية الشيخ سعيد عوض باوزير:

قل لي يا شيخ سعيد/ ماذا يمكنني أن أفعل؟

(والدمعة بنت الأحران)/ ماذا يمكنني أن أفعل/

القسم الأول وعنوانه (في خضم الحياة) وردت فيه (٧٥) مرة، ودلالاتها السيميائية تشير إلى أن قلاقل الحياة الباعثة على التوتر كثيرة؛ لهذا نجد أنها تنخفض كثيراً في القسم الثالث، فما هي إلا توترات يتوقف الشاعر فيها بسبب ما تفرضه الأحزان من دموع تعيقه عن الحديث والمشاهدة، لكنها تقل كثيراً في القسم الثاني؛ لتصل إلى (١٢) مرة؛ لإعطاء القارئ وقتاً إضافياً؛ ليشترك الشاعر ابتهاله ومناجاته.

## المطلب الثاني

## سيميائية الترقيم في ديوان

## (العشق في حضرة الكلمات)

يطرح الشاعر رؤيته التجديدية في شكلانية النص الشعري، وسيميائية العلامة الترقيمية، وخروجه من الصيغ المتوارثة في الكتابة التقليدية للنص الشعري، ودخوله في التحول الحدائي للشاعر المعاصر، والشاعر ابن سلمان شاعر معاصر، استفاد ويستفيد من التقنية الحدائية، فهو عندما يوظف تلك العلامات ويعطيها بُعداً إبداعياً وسيميائياً في رسم رؤية فكرية تتسم بالاتساع الدلالي الكبير، قد تعجز اللغة نفسها عن الإتيان بتلك الدلالات، يتم ذلك عن وعي بها وغرض ينسجم مع حدائتها، خاصة أنه هو الذي أشرف على طباعة ديوانه، فهو من إصدارات دار حضرموت للدراسات والنشر، تلك الدار التي هو يملكها ويديرها.

فهو يستدرج علامات الترقيم بقصد؛ ليستعملها بتقنية، لمصلحة نصه الشعري؛ فيوظفها لخدمة الرؤية الإبداعية لديه؛ ليتعامل معها دلالة لغوية وبصرية، تعكس للمتلقي دلالات جديدة.

وفي هذا المطلب سنقف على هذه العلامات، والوقوف على كل علامة أمر يطول به البحث، لكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.



أحمد زكي باشا

الوزني في نهاية السطر ... ليسجل للمتلقي دلالة انتهاء الوزن  
تسجيلاً بصرياً)) (٢٩)، وانتهاءً فكرياً، من ذلك ما جاء  
عند الشاعر ابن سلمان:

ما الذي يحدث الآن

ماذا يكون؟

كأنه ما عاش في فورة

العمر

كل تباريحه. (٣٠)

فالمقطع السابق من بحر المتدارك، وتفعيلته فاعلن أو فعلن:

فاعلن فاعلن فاع

لن فاعلن فا

علن فعلن فاعلن فاعلن

فاع

لن فعلن فاعلن.

من التقطيع السابق يتضح انسياب الوزن، مع تدفق مشاعر  
الشاعر في تفعيلات نصه الشعري؛ إذ التفعيلات لم تكتمل في  
نهاية الأسطر، وإذا اكتملت لم تكتمل في تركيبها اللفظي  
(الإضافي + الإسنادي)، وفي نهاية مقطع (كل تباريحه)

لأردّد سؤال الحيران! (٢٥) فهذه مرثية والمرثية حالة نفسية،  
يوضح فيها الشاعر حالة الاضطراب والتوتر، فما يدري  
ما يفعل والدموع والأحزان يسيطر على نفسيته، وهو لا يدري  
ما يفعل، ولقوة الانفعال النفسي لهول الصدمة في فقد الشيخ،  
لا يدري ماذا يجب فهو حيران، وهنا تتراسل اللغة المنطوقة  
مع اللغة المكتوبة؛ لتدل على سيميوطيقا اللغة الشعرية.

## ٢- علامة فضاء التساؤل (؟):

وتستعمل هذه العلامة للدلالة على طلب المعرفة بعد أداة  
السؤال والاستفهام، وهنا يتراسل المنطوق والمكتوب، وقد  
يستغنى بها عن المنطوق فتدل على سياق الجملة الإنشائية،  
ودلالاتها في عالم لغة الشعر رمز للكشف وطلب الحقيقة، أو  
لزوال الحيرة والدهشة الفلسفية التي لا جواب عنها،  
ونجدها عند الشاعر في قصيدة بعنوان (تساؤلات؟) إذ هو  
يضع دهشته وتعجبه في فلسفة الحيران ليضعها لمن يسأله  
وهو الشاعر / محمد حسين هيثم (٢٦):

كيف صار الذي كان/ وانبرى يوارى دهشته/ ثم يسأل؟ (٢٧)

لتبقى هذه الأسئلة في فضاء الحيرة والتعجب وإظهار دهشة  
نفس الشاعر ممّا يحدث حوله ليطلب من غيره التفاعل معه  
ومشاركته حيرته.

## ٣- علامة الفضاء المغلق (.):

هي علامة الوقف التام عند أحمد زكي باشا، وتوضع في آخر  
كل جملة، لها استقلالها في المعنى والإعراب عمّا بعدها،  
ويسكت المتكلم عن القراءة سكوتاً تاماً، مع استراحة  
زمنية يتنفس فيها (٢٨)، ويحق له بعد ذلك مواصلة القراءة.

أما دلالتها السيميائية فهي تؤثر إلى استفراغ الدلالة في الجملة  
وغلق فضاء الفكر؛ إذ هي كالحجرة (.) التي تعرقل مسيرة  
فضاء الفكر عن السباحة والتمدد العاطفي والخيالي في ميتا  
شعرية النص، وهي مؤشر إلى وجود حاجز نفسي يمنع من  
الانسياق وراء الرغبة الشعرية، وهي مؤشر إلى ((التوقف





٩٩

**الشاعر ابن سلمان شاعر معاصر،  
استفاد ويستفيد من التقنية الحديثة،  
فهو عندما يوظف تلك العلامات  
ويعطيها بُعداً إبداعياً وسميائياً  
في رسم رؤية فكرية تتسم بالاتساع  
الدلالي الكبير، يتم ذلك عن وعي بها  
وغرض ينسجم مع حداثتها، فهو  
يستدرج علامات الترقيم بقصد؛  
ليستعملها بتقنية، لمصلحة نصه  
الشعري؛ فيوظفها لخدمة الرؤية  
الإبداعية لديه؛ ليتعامل معها دلالة  
لغوية وبصرية، تعكس للمتلقي  
دلالات جديدة ٥٥**

والمكتوب من خلال دلالتها البصرية على توقف صوت  
المنشد مؤقتاً؛ بسبب التوتر الذي يدفعه إلى إسقاط الروابط  
النحوية<sup>(٣٦)</sup>، في أثناء القراءة، لما لها من دلالات تتمتع بنبيرات  
صوتية خاصة، توحى بانفعالات نفسية معينة، كما توضع  
لغرض إعطاء القارئ وقتاً لخلق تخيل في فضاء جمال النص.  
ونجدها في النص الشعري على نوعين في مجيئها: تكون قبل  
جملة القول، وتكون بعد جملة القول:

(١) قبل جملة القول: جاءت في الديوان في موضوع واحد فقط  
في قصيدة الأمل في قوله:

إلى نزهة العمر  
أورحلة المستحيل!  
ولكننا رغم كل الذي  
.. نرتأيه

كل الذي نبتغيه  
نحيها ..  
نزهة .. (٣٧)

يضع شاعرنا نقطة للدلالة على اكتمال التفعيلات وانتهاء الوزن،  
وقد اكتمل الوزن انتهاء في مواضع سابقة، ولم يضع الشاعر  
نقطة، لكن - هنا - أراد أن يغلق الفضاء الدلالي على المتلقي،  
أو ليشير إلى أنه قد أغلق الدلالة، فما على المتلقي إلا أن يغلقها  
كما فعل، ثم يفتح له الفضاء بعد ذلك بياض أول السطر قبل  
كلمة (ومواجهه)<sup>(٣١)</sup> ونقطتين (...) بعدها والسطر الذي بعده  
بياض أكبر من الأول، وكلمة (والشجون) ليستعيد فضاءه  
الفكري في رحاب شعرية النص، ولعل ذلك إيضاح للقصد.

#### ٤- علامة فضاء التفصيل:

النقطتان الرأسيتان (:): تعدُّ علامة للنبرة الصوتية التي  
تحكي دلالتها على انفعالات نفسية معينة في أثناء القراءة،  
(وتسميان نقطتي البيان ونقطتي التوضيح)<sup>(٣٢)</sup> لما هو  
مجمل الذكر قبلها، ونقطتي التفسير<sup>(٣٣)</sup>، وهي بمنزلة  
محطة يستريح فيها الشاعر ليأخذ نفسه، وليستعد لتفصيل  
ما أجمله في النص، كما ((تمثل مفتاحاً نصياً يوعز لما بعده  
بالتشكيل))<sup>(٣٤)</sup> الدلالي.

هذه العلامة لم ترد في الديوان إلا مرة واحدة في آخر قصيدة  
فيه، (مرثية سعيد محمد دحي)، في قوله:

من أين أبتدئ الآن:

قل لي .. وقل لي ؟.. (٣٥)

فدلالتها السيميائية في الانفعال النفسي الذي أحدثته فاجعة  
فقد صاحبه (سعيد محمد دحي)، فأحجم عن الكلام لما أصابه  
من التخبط والحيرة؛ لهذا ابتدأ (من أين أبتدئ الآن)، ثم أخذ  
يوضح هذه الحيرة، فيطلب منه أن يرشده: قل لي .. وقل لي ؟..

#### ٥- علامة فضاء الانفعال النفسي:

هي علامة التوتر (...)، وليس لها وجود في علامات الترقيم،  
(وقد ابتركت نقطتا التوتر في الشعر العربي الحديث،  
ووظفت في إطار التلقي البصري لحسم الجدل بين الشفهي



فالشاعر تتوتر نفسه وتنفعل، فيتوقف قليلاً (...); ليستأنف بعد ذلك حديثه الشعري، فهو يتوقف بقصد المتابعة وبنية الاستمرار؛ ليشد انتباه المتلقي إلى أن الكلام لم يكتمل بعد، لكنه توقف قليلاً ليعبر - رمزاً - عن حالة نفسية وعبرة خانقة، حالت بينه وبين تسلسل كلامه.

(٢) بعد جملة القول: جاءت في الديوان كثيراً، من ذلك:

يا صبري لا تهزم

فأنا إنسان ..

لا يدري (٣٨)

وجود هذه العلامة هنا؛ لإسقاط الروابط النحوية وهي - هنا - الصفة؛ لجعل القارئ يتخير في إثبات الصفة المناسبة للمقام؛ إذ يمكن له أن يقدر في خياله (ضعيفاً، منكسراً، تائهماً، حزيناً... إلخ)، يساعد القارئ على هذا الخيال من التقدير ما جاء في القصيدة:

لو تدري / لو تعلم / لو يملك أن يتكلم

إنسان في لحظة / حزن (٣٩)

## ه- علامة الفضاء المتروك:

هي علامة الحذف في اصطلاح علامات الترقيم، كما يُطلق عليها علامة الاختصار، وقد أعطاه البعض سمة النبيرة الصوتية، التي توحى بانفعالات نفسية أثناء القراءة، ومن ذلك ما جاء في الديوان:

فإذا الدنيا على ...

شفة الشاعر بوح

وغناء

وصلاة (٤٠)

وعلامة المتروك تدل سيميائياً على حذف شعري، وظّفه الشاعر؛ ليسجل للمتلقي سمة الحذف على سطح النص، أو سمة الأداء النفسي في تواصله مع المتلقي، وعلى هذا جاز

التأويل في الأول، أي الحذف التقديم، فيتركب النص: فإذا الدنيا على صدى أو حديث أو منطوق شفة الشاعر بوح وغناء وصلاة.

أما التأويل الثاني وهو الأداء النفسي ففيه دالة على التلعم الذي أحدثه الانكسار المجازي: (الدنيا على شفة الشاعر).

## ٦- القوسان:

القوسان ليسا علامتي تنصيص، فهما ((يوضع بينهما كل كلمة تفسيرية أو عبارة يراد لفت النظر إليها))<sup>(٤١)</sup>، لكن الشاعر وظفها على أنهما علامتا تنصيص، فقد قال في قصيدة له بعنوان: (مرثية قصيرة جداً إلى روح المؤرخ سعيد عوض باوزير)، قال في هامش تلك الصفحة: ((العبارات التي بين القوسين في هذه المرثية أخذت من بعض قصائد ديوان أنهار الملح للشاعر كمال عمار))<sup>(٤٢)</sup>. بهذا يكون الشاعر وظف القوسين للتنصيص وترك القوسين المزوجين، المتعارف على أنها علامتا تنصيص.

ورد القوسان في هذه القصيدة من الديوان ثلاث مرات، دلالة على التنصيص، كما وردت للتنصيص مرة في قصيدة الصلاة: (أرحنا بها)، ودلالة التناص واضحة في هذا وفي قصيدة (مرثية سعيد دحي)، فقد جاءت مرة واحدة: (فجأة تصبح)، ليكون مجموع ما ورد من هذه العلامة في هذا الديوان خمس مرات. فاستعمال الشاعر لهذه العلامة انزياح دلالي<sup>(٤٣)</sup>، تدل على التنصيص، لشهرة الكلام المنصوص عليه في قصيدة (الصلاة)، وبدلالة إعلام الشاعر بذلك في قصيدة مرثية باوزير، كما تدل على لفت نظر القارئ إلى ما بين القوسين بدلالة سيميائية العلامة، بهذا تتراسل الدالتان.

أما في (مرثية دحي) فدلالة للفت النظر إلى الانفعال النفسي بداخل الشاعر، وهول التحول الذي حصل للراثي، وصدمة هذا التحول لديه، ليمثل ما بين القوسين الصوت الداخلي للشاعر (المنولوجي)، ليصبح لدينا صوتان: صوت منخفض داخل الشاعر، وصوت عال خارج من الشاعر.



## الخاتمة:

## النتائج والتوصيات

### النتائج:

١. اهتم الشعراء المعاصرون اهتماماً مبالغاً فيه بالتشكيل الطباعي للعلامات البصرية ضمن تداعيات الحداثة في التحولات المعاصرة.

٢. تعدّ علامات الترقيم تقنية دلالية حديثة يستنطق بها المتلقي النص الشعري للوصول إلى دلالات ربما لا تسعفه اللغة على إنتاجها.

٣. يستطيع المتلقي من خلال التشكيل البصري لسميات علامات الترقيم أن يصل إلى دلالات تأويلية ربما لم يصل إليها قصد الشاعر.

٤. احتوى ديوان (العشق في حضرة الكلمات) على علامات الترقيم، وقد وظفها الشاعر ابن سلمان توظيفاً سيميائياً بحيث يُشكّل مجموعها دلالة سيميائية.

٥. لا يستطيع الباحث والمتلقي الجزم يقيناً بصحة ما وصل إليه من تأويل لما وضعه الشاعر من علامات شعرية، لكنه وصل إلى دلالة قد تكون وافقت قصد الشاعر، وقد يكون أضاف دلالة أخرى.

٦. إن دراسة سيميائية علامات الترقيم تسهم في التعداد الدلالي لما هو خارج اللغة (علامات الترقيم) بالاستعانة باللغة (النص الشعري).

### التوصيات:

١. على كل من يؤلف في قواعد الإملاء وخاصة في علامات الترقيم أن يكتب في علامات الترقيم الشعرية وما تقوم به من وظيفة إنتاجية للدلالات، حتى لا تُفهم وظيفة علامات الترقيم الشعرية بنفس علامات الترقيم الإملائية.

## ٧- علاقتا التنصيص المستعلية (" "):

جاءت في الديوان مرتين، في قصيدة المؤذن عند قوله: "الله أكبر" (٤٤)، وعند قوله: "يرحمك الله" (٤٥)، وليس لهذه العلامة وجود في اللغة العربية؛ إذ يكثر استعمالهما للتنصيص في اللغات الأجنبية، وقد استعملها الشاعر دلالة سيميائية إلى ارتفاع صوت التكبير وانتشاره، ووصله إلى أعلى السماء كما في قوله: الله أكبر، وارتفاع صوت الدعاء بالرحمة للمرثي إلى أرحم الراحمين.

## ٨- الشَّرْطَة (-):

لا نجدها في الديوان إلا مرة واحدة في قصيدة الوطن؛ إذ ابتدأها بشرطة (-)، ودلالاتها السيميائية الفصل بين القصيدتين: قصيدة الشهيد، وقصيدة الوطن؛ إذ إنهما عند الشاعر شيء واحد، فالشاعر جعل قصيدة الوطن في الصفحة نفسها والتي فيها قصيدة الشهيد بخلاف المعتاد في ديوانه (٤٦)، ثم أوضح أنه قالهما في سنة واحدة ١٩٨٨ م.

## ٩- الاستفهام والتعجب (!؟):

لم تأت هذه العلامة في الديوان إلا مرة واحدة في قوله:

ما الذي يستبيح دواخله

ظل يسأل حيرته؟! (٤٧)

هذه الثنائية بين العلامتين غير موجودة في علامات الترقيم في اللغة العربية، فهي علامة شعرية يمتزج عند الشاعر الدهشة بالتساؤل، فيتجاوز علامتي الاستفهام والتعجب، وهذا يشير إلى سيميائية التطرف في مشاعر التعجب والخوف والقلق والاضطراب والحزن، هذا الانزياح في أسلوبية الشاعر في الجمع بين العلامتين اللتين لهما دلالتها؛ إذ العلامة الأولى لها مكانها، والعلامة الثانية لها مكانها، في النحو الآتي:

ما الذي يستبيح دواخله؟ ظل يسأل حيرته!

غير أن الشاعر يؤخر علامة الاستفهام من مكانها؛ ليجمعها مع التعجب في مكان واحد؛ لتحقيق تلك الدلالة النفسية.

٢. أن يعطى هذا الموضوع حيّزاً ظاهرًا من الدراسات الأدبية الأكاديمية في النقد خاصة في مرحلة البكالوريوس.

٣. حث الدارسين والنقاد على دراسة التشكيل البصري والدلالة السيميائية في شعر شاعر أو ديوان معين.

\* باحث دكتوراه جامعة حضرموت.

### الهوامش:

(٢١) ديوان العشق في حضرة الكلمات، للشاعر سالم عبدالله بن سلمان، الطبعة الأولى، دار حضرموت للدراسات والنشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، المكلا: ١٠٢.

(٢٢) التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق: ٢٠٤.

(٢٣) اعترض على تسميتها علامة التعجب؛ لأن التعجب تعبير عن حالة انفعالية واحدة من حالات التأثير والانفعال، ينظر: دلائل الإملاء وأسرار الترتيب، مرجع سابق: ١١٥.

(٢٤) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ٥١. الخط المائل (/) هنا من صنع الباحث للدلالة على أن كل فقرة في سطر مستقل كما وضعها الشاعر.

(٢٥) المرجع السابق: ١١٧.

(٢٦) ينظر: العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ٤٣.

(٢٧) المرجع السابق.

(٢٨) ينظر: الترتيب وعلاماته في اللغة العربية، مرجع سابق: ١٧.

(٢٩) التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق: ٢٠٣.

(٣٠) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ٤٥.

(٣١) المصدر السابق: ٤٦.

(٣٢) دلائل الإملاء وأسرار الترتيب، مرجع سابق: ١١٧.

(٣٣) ينظر: التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق: ٢١٤.

(٣٤) تخطيط النص الشعري معانيته سيميائية لفاعلية العتبة في صناعة الشعري، أ.د. حمد محمود الدوخي، الطبعة الأولى، دار سطور للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، العراق: ١٦٠.

(٣٥) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ١٢٩.

(٣٦) التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، مرجع سابق: ٢٠٤.

(٣٧) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ٥١٥٠.

(٣٨) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ١١١.

(٣٩) المصدر السابق: ١٠٩.

(٤٠) المصدر السابق: ٣٤.

(٤١) الترتيب وعلاماته في اللغة العربية، مرجع سابق: ٢٢.

(٤٢) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ١١٤.

(٤٣) يستعمل الشعراء المحدثون: علامة التنصيص كما يستعملون غيرها من علامات الترتيب، لغير ما تواضع عليها، وقد وقف الدكتور صلاح فضل عند هذا التحول تحت عنوان لعبة الأقواس، ينظر: أساليب الشعرية المعاصرة، مرجع سابق: ٧٥.

(٤٤) العشق في حضرة الكلمات، مرجع سابق: ٩١.

(٤٥) المرجع السابق: ١١٨.

(٤٦) ينظر: المرجع السابق: ٤٨.

(٤٧) المرجع السابق: ٤٦.

### المصادر والمراجع

#### ١- المصادر:

ديوان العشق في حضرة الكلمات، للشاعر سالم عبدالله بن سلمان، الطبعة الأولى، دار حضرموت للدراسات والنشر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، المكلا.

#### ٢- المراجع:

١- أساليب الشعرية المعاصرة، د. صلاح فضل، الطبعة الأولى، دار الآداب، ١٩٩٥م، بيروت.

٢- تحقيق النصوص ونشرها، عبدالسلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، القاهرة.

٣- تخطيط النص الشعري معانيته سيميائية لفاعلية العتبة في صناعة الشعري، أ.د. حمد محمود الدوخي، الطبعة الأولى، دار سطور للنشر والتوزيع، ٢٠١٧م، العراق.

٤- الترتيب وعلاماته في اللغة العربية، أحمد زكي، صدر هذا الكتاب ١٩١٢م، مؤسسة هندواي، ٢٠١٣م، المملكة المتحدة.

٥- التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠م - ٢٠٠٤م)، الدكتور محمد الصفاوي، الطبعة الأولى، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ٢٠٠٨م.

٦- دلائل الإملاء وأسرار الترتيب، عمر أوكان، الطبعة الأولى، أفريقيا الشرق، ٢٠٠٢م، طرابلس.

٧- ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، بيروت.

٨- علم الكتابة العربية، الدكتور غانم قدوري الحمد، الطبعة الأولى، دار عماد للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الأردن.

٩- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، دار الحديث، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، القاهرة.

١٠- الوقف والابتداء في الجملة العربية، دكتور فكري عبد المنعم النجار، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، الأردن.





# قصيدة النثر كما أراها

مبخوت العزي

- بكين -



الموجهات الفلسفية أو الرؤيوية. كما لا ننكر تأثير الشعر المترجم الذي أفقدته الترجمة بعض خصائصه، كبنيته الإيقاعية، واحتفظت بجانب الصورة وبعض التقنيات التركيبية للنص الأصلي فحسب. فهذا بوعي أو دون وعي أوحى أو ألهم الشاعر أن الشعر قد يظل شعراً وإن فقد بعض عناصر شعرية، كالإيقاع، صحيح أن شعرية تخفت، ولكنها لا تنطفئ. وهذا بالمقابل هو حال ترجمة القصيدة العربية إلى لغات أخرى، فهي بدون شك تنقل إلى تلك اللغات منثورة، لا وزن لها ولا قافية، ويظل قرأها من تلك اللغات يستمتعون ويتذوقون شعرية، أقول ذلك من واقع تجربتي في تعليم الناطقين بغير العربية، ولكنه دون شك مذاق يشبه مذاق العصائر المعلبة، محلية أو مستوردة.

أقول ذلك في الحقيقة لأنني أقف بين وجهتي نظر متطرفتين، إحداهما موالية إلى حد التعصب وأخرى معادية إلى حد الفجور في الخصومة، وكلاهما على حد سواء من التطرف. فقصيد النثر لا تمثل ذروة سنام الشعرية العربية المعاصرة، وفي الوقت ذاته ليست نصوصاً لا قيمة لها، فثمة نصوص نتذوقها، وتُحلّق بنا عالياً، وأخرى نمجّها، ونصمّ آذاناً عن سماعها، ونغضّ عنها أبصارنا، وقد نضطرّ أحياناً إلى تعقيم حواسنا من لوثتها. وكاتب قصيدة النثر قد يكون حدثياً، وقد يكون رؤيويّاً، وقد يكون سطحياً وتقليديّاً وإن كتب نصوصاً رائعة، فالأمر ببساطة شديدة كمن يرتدي الثوب والعمامة أو البنطلون الجينز، فقد يكون فيلسوفاً، وقد يكون منفتحاً أو غير ذلك.

من وجهة نظر بعيدة عن النقد ونظرياته، أو في الأقل متخففة جداً منها، أستطيع القول: إن قصيدة النثر لا تمثل بالضرورة ثورة رؤيوية واعية - كما يزعم أنصارها ومريدوها - ضد التراث الشعري أو الشعرية العربية في نموذجها التقليدي القديم؛ القصيدة العمودية، أو الجديدة؛ قصيدة التفعيلة التي سبقت قصيدة النثر، ومثلت في رأيي أحد أهم دوافع وجودها، في الأقل في أولى مراحل ظهورها، وعند غالب من يكتبها حتى اليوم.

فقصيد النثر إنما هي ببساطة شديدة نتيجة طبيعية من نتائج انفتاح الإنسان العربي على ثقافات متعددة، وكتابات وإبداعات تراثية نثرية أو أجنبية، اطلع عليها بلغتها أو مترجمة؛ فكما ارتدى ربطة العنق أو الجنز وأحياناً ثيابه التقليدية، وأكل بالملعقة والشوكة وأحياناً باليد، بحسب الموقف والسياس، فقد وجد نفسه يكتب القصيدة التقليدية إن رغب أو استطاع ويكتب قصيدة التفعيلة، وقصيد النثر بحسب المزاج العام والميول والكفاءة، وقد يكون المتحكم في ذلك موجّهات كثيرة؛ كالميول، وكثرة القراءة ونوعيتها، والوسط الأدبي الذي يحيط به، وأقلها حضوراً - وقد أكون مخطئاً - هي



# المنشد قوقح يتذكر



أحد أقدم حُفَظ الموروث الشعبي بمنطقة بور، لأكثر من ٨٠ عاماً، ولا تزال ذاكرته تحتفظ بالموشحات الدينية (الرمضانية) والأهازيج وقصص الموروث الشعبي كالقناسة وبني مغراه ولعبة الشبواني. وعندما تتناول مجلة حضرموت الثقافية أمثال هؤلاء المعمرين وتشير إليهم – وإن تشابهت تقاليدنا – فهذا تأكيد للهوية لما قبل ١٠٠ عام بقيت في ذاكرتهم.

والمعمر سعيد حق لنا تناوله؛ فقد كان ولا يزال المتصدر في احتفالات القناسة، وأصوات بني مغراه، ولمحارب جبانة بور؛ يصدح بصوته الجميل الجذّاب للأسماع قبل ثمانية أيام من دخول شهر رمضان، مرحّباً به كعادة آل بور في ذلك الزمان.

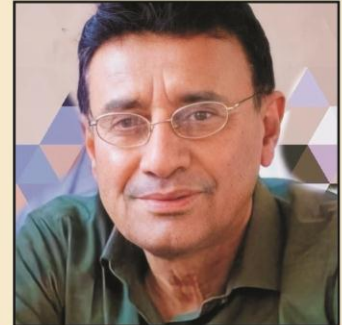
مثل هؤلاء (ذاكرة هوية وطن)، يجب الاهتمام به وأمثاله؛ لأنهم يمثلون الهوية الشعبية للبلد وذاكرتها، ولكل مناطق حضرموت وادياً وساحلاً.

محتفظاً بذاكرته، معتمداً على نفسه في ذهابه وإيابه إلى المسجد، مشاركاً الناس أفراحهم وواجباتهم، لا يتكئ على عصا، هؤلاء حقاً (حفظوها في الصغر فحفظها الله لهم في الكبر).

الأستاذ/ سعيد أحمد قوقح مدير مركز بور الثقافي كان دليلاً إليه في أثناء تنظيم حفل التكريم، المفاجأة التي قالها لي إن زوجة العم سعيد هي أيضاً لها حضور في الإنشاد، ولديها حنجرة مُحفّزة للمشتغلات في الزراعة، كالسناوة، والحصاد وأهازيج الأفراح الرمضانية النسائية.. وهما (والدا زوجته). إذن فنحن أمام زوج وزوجة غاية في التواضع، وحب الناس، لا يزال طبعهم وأخلاقهم ومعاملاتهم بنقاء وصفاء الريف. تحدث للمجلة العم سعيد المنشد الذي ناهز الـ ٩٥ عاماً عن كيفية استقبال شهر رمضان بقوله:

قبل دخول شهر رمضان بشمانية أيام يرحبون به، وهي عادة أهل (بور)، ويكون ذلك في المساجد، وكانت قليلة وقتذاك (الجبانة والجامع وحسن) بقولهم:

## سليمان مطران



في ٢٣ / ٤ / ٢٠١٨م نظم مكتب وزارة الثقافة بالوادي حفل تكريم له بدرع الوفاء، وكذا مركز بور الثقافي، كأحد أقدم حُفَظ الموروث الشعبي، وعرفاناً بدوره في حفظ الموروث الشعبي الشفهي؛ إذ لا تتوافر أجهزة التسجيل، وكان كل الاعتماد على السماع، ثم الحفظ، ثم الحفاظ على المحفوظ. ثمانون عاماً ليست بالقصيرة، فأى ذاكرة يمتلكها المنشد المعمّر العم/ سعيد محمد صلاح قوقح المولود حوالي عام ١٣٥٠ هـ بحرية بمنطقة بور (شمال شرق سيئون، تبعد عنها بحوالي ١٣ كيلومتراً) مُشرفاً على ١٠٠ عام من عمره، ولا يزال





كاتب المقال  
سليمان مطران  
أثناء حديثه  
مع المنشد  
سعيد فتوح

مرحباً يا شهر رمضان مرحباً شهر العبادة  
مرحباً يا شهر رمضان مرحباً شهر السعادة  
ومن التقاليد في رمضان "المثور"، بكسر الميم  
وتضعيف الواو مع كسره، وهو الشخص الذي  
يجوب الشوارع ضارباً على الطاسة، مع ذكر أسماء  
رب البيت، كقوله: (يا فلان بن فلان.. فلاح فلاح)،  
مثلما هو معمول به في أقطار عربية، ويستمر طيلة

شهر رمضان الذي تزداد فيه حركة زيارات الأهل والأقارب  
بعضهم لبعض، وتسمى "التشهير"، نوع من أنواع صلة الأرحام.  
ومن ذكريات العم سعيد الختومات الرمضانية في المساجد،  
التي تبدأ ليلة سبع من رمضان في شاقح، بأهازيج شعبية من  
التراث "الترازيح"، ثم ليلة تسع في ديار آل عبود في بئر المديني  
ثم منطقة صليبة، غير أنه في الوقت الأخير توقفت الختومات  
وبقيت في الجبانة ومسجد حسن. ومن الأهازيج المرحبة  
بشهر رمضان:

رحبوا يا صائمينَ

شهرُ رب العالمينَ

عادةُ الله علينا

وعليكم أجمعينا

وتتجلى فرحة البنات بهذا الشهر، فلهن ترازيح وأهازيج  
خاصة تحت المسجد، يطلقون عليه اسم (تارووه)، وهي  
عادة سنوية رمضانية، يمرون على البيوت المجاورة، خاصة  
إذا كانت بداخلها عروس جديدة، أو مولود حديث، أو وصول  
مسافر، لاشك في أنها نوع من أنواع المشاركة الجماعية في  
التهنئة والمباركة لإدخال الفرحة إلى قلب الزوجة الجديدة،  
وإلى قلب الأم بمولودها، ولمن في البيت، ويحصلون مقابل  
ذلك على بعض النقود أو الحلوى والحنظل.

من أهازيج الأولاد قولهم:

هووي هووي دو حقناه..

هووي هووي دو حقناه

الآن انتهت، وصارت ذكرى من الماضي بروعة وطيبة،  
أهل ذاك الزمان.

وعن أيام المجاعة، ومعاناتهم فيها يقول:

عام ١٣٦٢ هجرية إلى حوالي ١٣٧٠ هجرية، وقتها كانت  
الحياة لا أحد يستطيع وصفها، ناس مساكين متعبون،  
يأكلون قوت الحيوانات أكلوا (الحمط) و(البصّال)،  
وأشياء ما حد يأكلها أكلوها من شدة الجوع، وكثر الموت،  
كل من أكل أكل غير لائق يا هو يا غنمة غبش هو وإياها  
ميت، ولما ما حصلوا قوت هربوا، أحد إلى الساحل  
(المكلا) وأحد إلى السواحل، ومنهم من راح إلى قبلة،  
شلوهم (نهبوهم). أنا تميت (بقيت) في بور ما رحنّا مكان،  
عام ١٣٦٢ هجرية مات أبي.

وعن زواجه قال:

(كانت زوجته بجانبه).

تزوجت وسني ٢٧ سنة، وزوجتي كانت ١٥ سنة (أتقنها)،  
بمعنى أعرفها، من يوم ولدت، وهي طفلة صغيرة أعرف أبوها،  
وهي ما تعرفه.

الجهاز (مهر العروسة) كان ٥٠ شلنًا، وحريم عليهن  
عمد، ما هو حريم الوقت ذا، ما بغين يلقيين شيء، لا شاهي  
بخاري، ولا يدهرن بر، الضوء (نار التنور) يحرقهن.

(أعجبنى استخدامه لفظة الضوء متجنبًا لفظة النار)، سبحان الله.



سألته: كيف معيشتكم كانت؟

لم يقل كيف، لكنه قال: ربنا يلطف بالخلق، الوقت ذا شبعوا معاد يحمدون الله على ما آتاهم من نعمة؛ العددين (القسماء) مليانة بأقراص الخبز، أول ما يلحقون هذا الأكل، يتمنون البسر (التمر قبل ما ينضج) يخرطونه (يسحبونه غصب) من النخل، وهو عادة (نقض) يدقونه، وإذا دقوه قمحوه، عشي (تجمع) في ماصيبرهم، ومات الكثير.

كان وقت سرقة ونهب، يقفزون على البيوت، كله من الجوع يجازيك (يدفعك) إلى السرقة.

العم سعيد معلم ببناء بيوت الطين تنقل من بور إلى عرمة ودوعن حوالي (١١٢ كم)، وقد وصل إلى شبة.

- ما قبل ٩٠ عاماً كيف كان البناؤون يتنقلون بين تلك المدن؟  
أجاب: كُنَّا نسير على الأرجل من بور، وعددنا حوالي ١٥ نفر، إلى صيف، من الصباح الباكر، نعبّر طريق شام، ونبيت (ننام) في العجلانية، قريب قعوضة، نصلي الفروض على الخط، اليوم الثاني نسرح إلى الهجرين، وننام فيها، تستغرق الرحلة ثلاثة أيام.

- ماذا عن أكلكم؟

قبل المسير تقوم الزوجة بترتيب الأكل من تمر وطعام "فتة" يابسة (خبز جاف)، إذا شعرت بالجوع الشديد، تأكل ما يسدك، لكنك ما شبع، الحمد لله على كل حال.

٢٠ سنة قضيناها نشتغل في صيف، ومن البيوت التي بنيناها أذكر بيوت آل باجعيفر، وسعيد سلوم، وباقطيان.

أجرة العامل كانت في عهد الإنجليز الفرائضة، ولما دخلت الجبهة القومية ٥ شلنات ثم ١٠ شلنات.

• سألته: بلدة بور فيها الشاعر سالم عبدالقادر العيدروس - رحمه الله - هل جالسته؟

- الحبيب العيدروس من كبار الشعراء، نحن كنا صغار، نحضر بس نشوف ونسمع جلساته مع مستور وشعراء كبار..

”

كان مهر العروسة 50 شلن،  
وحريم عليهن عمد، ما هو حريم  
الوقت ذا، ما بغين يلقين شيء،  
لا شاهي بخاري، ولا يدهرن بر،  
نار التنور يحرقهن “

لكن أذكر مرة في شبواني في بور كان عمي (أخو أبوي) عوض قوقح شاعر عطاهم قول (شعر) قال:

يا ابن آدم لى لك ترتوب قدام المرض

وإلا كُتِبَ مكتوب قبل شلات الجنازة للتراب

الرزق بيد الله وانت قرب الماء والحطب

ما هو بيد مخلوق مثلك لي بغى منك كتاب

الزارلي في بئر المصلى العام قالوا لي قُطِعْ

اليوم قد قطعوه قالوا لى مئة عبية وألف زير

جوب سالم العيدروس:

يا ودين قوقح با بدل اسمك وبلقي لك لقب

الناس مبعد جنوا وانت قدك في رزيم

قالوا ليش تتعرض تحت با سيف وانت ما فيك دم

قايستنا بدوي من الريده مربى على النصب

• الزار: نوع من النخيل المشهورة في وادي حضرموت.

• بعد شهرين وأربعة وعشرين يوماً من إرسال المقال توفي

المعمر سعيد قوقح (يوم الثلاثاء ٢٧ من ذي القعدة ١٤٥٥

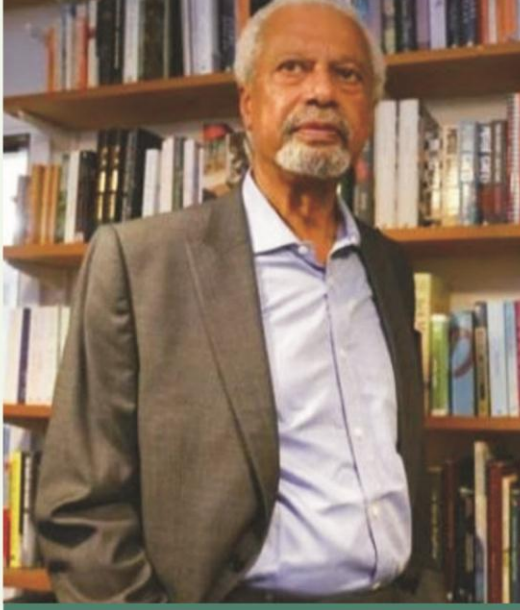
هـ الموافق ٢٨ / مايو / ٢٠٢٤م) رحمه الله.





# عن فيل همنغواي وأفريقية

## عبدالرزاق قرنح



"وعندما أطلق أبوه ثانية، راح الفيل يتهاوى، كشجرة مفلوكة، ترتمي بسرعة نحوهما. لكنه لم يمت بعد. لقد كان راسياً. والآن صار طريحاً في الأرض مكسور الكتف. لم يأت بحركة، لكن عينه كانت نابضة بالحياة، وتنظر إلى ديفد. كانت له أهذاب طويلة جداً. وكانت عينه أكثر شيء ينبض بالحياة، رآه ديفد في حياته. أطلق عليه النار في دهليز أذنه بالبندقية عيار ٣٠٣، قال أبوه: "هيا".

"أطلق عليه بنفسك" قال له ديفد.

مقطع من قصة همنغواي «قصة أفريقية»، في الجزء الثالث من مجموعة القصص الكاملة لهمنغواي، ترجمة د. موسى الحالول.

### إيمان العولقي

### عبدالرزاق قرنح وروح أفريقية:

إلى هذه اللحظة صدرت إلى العربية روايتان للفائز بجائزة نوبل للآداب ٢٠٢١، الكاتب التنزاني عبدالرزاق قرنح: رواية «ما بعد الموت» و«ذاكرة الرحيل» بترجمتين رائعتين متقنتين، للقدريتين نوف الميموني، وعبير عبدالواحد، من إصدارات دار أثر للنشر.

في «ما بعد الموت» يرسم قرنح حياة شخصياته وتقاطعاتها، على مدى حقبة زمنية حساسة من صراعات قوى استعمارية، يخلق مجتمعاً تبلور من تبعاتها، يجعل من سكانه المحليين أبطالاً في السرد الروائي. تتضمن الرواية أيضاً مشاهد ثانوية لجنرالات وجنود أوروبيين وأسرّة أوروبية ارتبط مصيرهم بالأراضي الأفريقية.

في «ذاكرة الرحيل» يقدم قرنح بلسان السارد نصاً روائياً، يتسم بالرائية والنوستالجيا العالية، للأرض والعائلة والأم والحببية، وسعى السارد لترتيب أموره في بلده، يدفعه أمل

إلى الاستقرار فيها، ثم اضطراره إلى الرحيل رغم كل جهوده. بعد إعلان فوز قرنح بجائزة نوبل، أعلنت لجنة تحكيم الجائزة عن دافع اختياره:

"منح الجائزة نظراً إلى سرده المتعاطف والذي يخلو من أي مساومة لآثار الاستعمار ومصير اللاجئين العالقين بين الثقافات والقارات".

وأضافت: "تفاني عبدالرزاق قرنح من أجل الحقيقة، وكرهه للتبسيط، مذهلان".

ويحكم اشتغاله أكاديمياً أستاذاً للآداب ما بعد الكولونيالي في إنجلترا، ثم حصوله على أعلى جائزة غربية، صُف من البعض أديباً في سياق «ما بعد الكولونيالية»، غير أن قرنح يرفض تصنيفه ضمن أي تسميات، فقال رداً على ذلك:

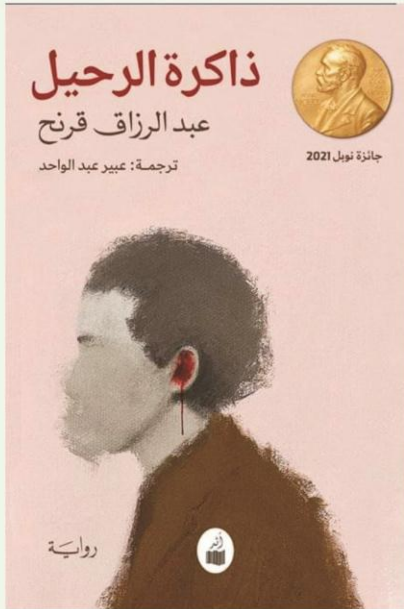
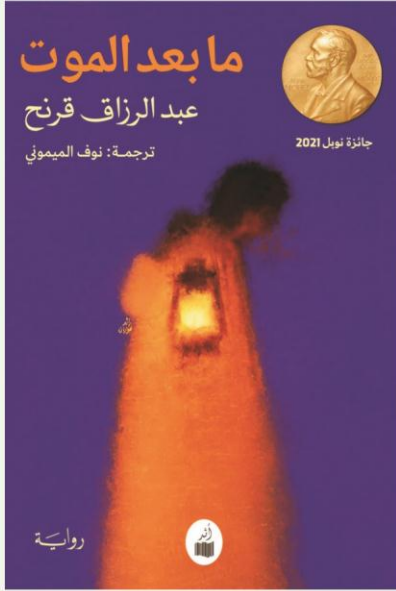
"لا أصنف نفسي ككاتب ضمن أي تصنيفات. في الواقع، لست أكيداً إن كنت أطلق على نفسي شيئاً غير اسمي".

## ما بعد الكولونيالية والديكلونيالية في المرأة

من خلال قراءاتي المتقاطعة، قراءة القصص الكاملة للكاتب الأمريكي آرنست همنغواي، ثم روايتي عبدالرزاق قرنح، تشكلت لدي إشكالية التعبير عن الآخر، وازدواجية تعامل الغرب على مستوى النضال أو الأكاديمية أو الأدبيات حيال الآخر، من جهة الهيمنة الثقافية، ودعم الأصوات الحرة الصادقة، من قلب المجتمعات المهمشة، ذات الشأن في سياق، يسمى بترجمة تحمل نغمة اللغة المصدر «ما بعد الكولونيالية» وتصديره للتشويش، والكلمة لأستاذ الآداب الفرانكفونية في السوربون أنطوني مانجون، على الأصوات الأصلية الآتية من قلب الأمم غير الغربية، كما تؤكده الناقدة الهندية ليلاغاندي. وجدت أمامي عدداً من الجهود البحثية الملموسة، من باحثين آسيويين وأفريقيين ومن أمريكا اللاتينية، لمناقشة هذا التيار وتفكيكه، المراد تنميط كل توجه انتقادي للاستعمار ضمن إطاره. من ذلك المدخل النقدي لحفيدة المهاتما غاندي الناقدة ليلاغاندي المسمى «نظرية ما بعد الكولونيالية، مدخل نقدي» وحوارات الفرنسي جان لو أمسيل والسنغالي سليمان بشير ديباني بتقديم أنطوني مانجون في كتاب «أفريقياً أفقاً للفكر، في مساءلة الكونية وما بعد الكولونيالية».

هذان الكتابان أعدتهما مرجعين مهمين لي، في سعيي للبحث عن عناوين أخرى، للرجوع المستمر إلى الأفكار الفلسفية والأسماء المعنية والكتب والمقالات المكتوبة بصدد هذا النقاش. وملخص ما توصلوا إليه من أن النظرية التي احتضنتها الأكاديمية الغربية ومنحتها الترويج بدعمها اللامحدود وأعدت عليها وافر الانتشار ماهي إلا كما وردت في الأوصاف المرفقة الآتية:

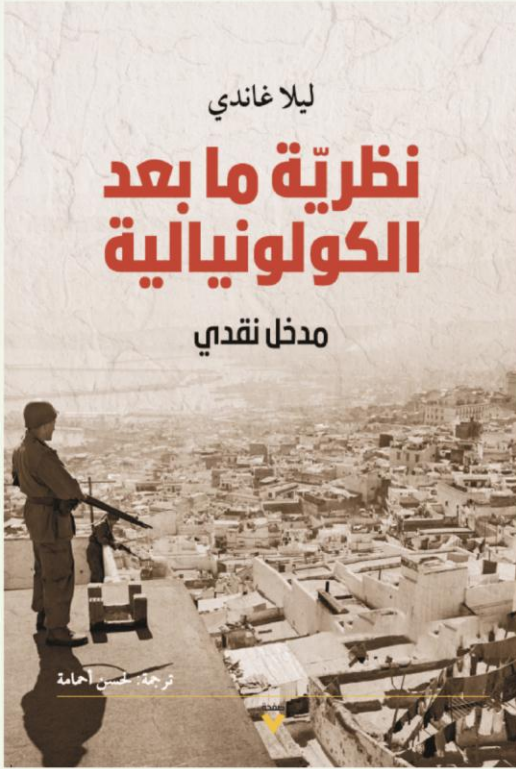
إذ بعد استفاضة موسعة استوعبت مجمل الأفكار المتشعبة بخصوص الجدل ما بعد الكولونيالي تقول ليلاغاندي:



"متى تماهت ما بعد الكولونيالية للغاية الهامة للكولونيالية، تصبح يوتوبيا على نحو زائف أو معلنة بشكل غير ناضج".  
وتضيف بعبارة أخرى: "قد تستمر ما بعد الكولونيالية، رغم أفضل النوايا، ببساطة في توزيع نبذ معتق داخل قناني جديدة".  
في كتاب «أفريقياً أفقاً للفكر» يشرح جان لو أمسيل في أولى مقالاته موقفه منها فيقول:

"ما بعد الكولونيالية تبدو لي، بحيلة جديدة من حيل العقل، الوسيلة الأكثر وثوقاً لإرساء سيطرة الغرب وهيمنته فيما هي تحال أنها تقوم بانقلاب عليه".





ما سبق هو ما تروم إليه النظرية المقابلة لما بعد الكولونيالية، المسماة كذلك بنغمة اللغة المصدر في العربية: «الديكلونيالية». التي أسهمت أيضاً في إظهارها الأكاديمية الغربية ذاتها؛ لما تتمتع به من هامش حرية، ومستوى واسع الأفق، لمناقشة مختلف الأفكار المتضادة واستيعابها وإن نسيباً.

### الإنسانية خيار إلغاء التصنيفات

في مقابلة أثيرة للكاتب الفلسطيني إميل حبيبي، يجيب عن رؤيته الخاصة فيما يخص نجاح إنتاجاته الأدبية، فيوجزها في أمرين أساسيين: التزامه بالصدق، والكتابة عن ما يعرفه من خلفيات اجتماعية وعامة في محيط بلده. ويصرح الفنان الأديب جيمس بلدوين عن نفسه قائلاً إنه مجرد شاهد على أحداث أمريكا الحقيقية.

إذن المصادقية والمعرفة والمعاينة القريبة، ثمة رابط لها جميعاً تؤكده «إنسانية الكاتب»؛ إذ توثق قبوله اللامحدود جغرافياً وثقافياً، من غير التقيد بانحيازات فردية أو جماعية.

أعود إلى نهاية القصة الجميلة لهنغواي التي أعجبتني صياغتها الفنية وروحها الإنسانية، وعلى نحو متصل، الإشادة بالترجمة الرائعة للدكتور موسى الحالول، والإصدار الذي تفردت به منشورات سلسلة إبداعات عالمية مشكورة.

"ثم جلسوا على كراسي للشيوخ، تحت ظل شجرة التين، ينظرون إلى النابيين المسندين إلى جدار الكوخ، ويشربون الشراب بكؤوس من يقطين، جاءت بها فتاة وأخوها الأصغر، خادم الأبطال، الذي جلس على التراب، بجانب كلب بطل صاحبه، بطل يمسك بديك عجوز، رُقي إلى مرتبة صفى الأبطال من الديوك. ظلوا يجلسون هناك ويشربون الشراب، بينما بدأ قرع على الطبل الكبير، وأخذ النغوما يتصاعد نحو الذروة".

والنغوما: تعني الطبل أو الرقص في اللغة السواحلية.

### المراجع:

- (١) رواية «ما بعد الموت»، عبدالرزاق قرنح، ترجمة نوف الميموني.
- (٢) رواية «ذاكرة الرحيل»، عبدالرزاق قرنح، ترجمة عبير عبدالواحد.
- (٣) كتاب «نظرية ما بعد الكولونيالية مدخل نقدي»، ليلا غاندي، ترجمة لحسن أحمامة.
- (٤) كتاب «أفريقيا أفقاً للفكر في مساءلة الكونية وما بعد الكولونيالية»، جان لو أمسيل وسليمان بشير ديان، ترجمة فريد الزاهي.
- (٥) الجزء الثالث من القصص الكاملة، لآرنست همغواي، ترجمة د. موسى الحالول.
- (٦) مقال في عربي عن فوز قرنح بجائزة نوبل للآداب ٢٠٢١.
- (٧) مقابلة أوس يعقوب مع الكاتب الفلسطيني إميل حبيبي في شبكة الويب.
- (٨) مقالة «جيمس بلدوين الشاهد على وجه أمريكا الحقيقي» في شبكة الويب.



# كتاب "الحج والعمرة: الأعمال والتاريخ والتجربة"

لخالد الثقافي الهندي

طالما قرأتُ كثيراً من الكتب والمقالات التراثية والعصرية، التي نشرت باللغة العربية وغيرها من اللغات العالمية والمحلية عن أعمال الحج والعمرة، وتاريخ أماكنها التي تتعلق بها أثناء النسك والزيارة في مكة المكرمة والمدينة المنورة على حدة. وفقاً لتجربتي في مجال القراءة يقتصر بعض الكتب في بيان أعمال الحج والمباحث الفقهية فقط، والبعض الآخر يتركز على سرد تاريخ الأماكن فقط. والكتب المازجة بين الأعمال والتواريخ أندر من الكبريت الأحمر. وعلى هذا الانطلاق يتميز كتاب "الحج والعمرة: الأعمال والتاريخ والتجربة" لخالد الثقافي الهندي، أستاذ جامعة معدن الثقافة الإسلامية، أحد أكبر الجامعات الإسلامية في شبه القارة الهندية، عن كافة الكتب المدونة في الموضوع نفسه.

عبر صفحات كتابه. في الحقيقة يشكل الكاتب دقة علمه في شكل بيان الرحلة والرواية الخيالية الممتعة. يقوم بنقل التواريخ المناسبة للأمكنة بنصه وفصه حينما يصل إليها خلال سفره وزيارته. وعلى سبيل المثال تاريخ مكة والمدينة والمسجد الحرام وجنة المعللة والتنعيم والحديبية وعين زبيدة وبني سعد وغيرها وقت وصوله إليها. فقد لفت أهل ولاية كير لا انتباههم إلى الكتاب نفسه في أسلوبه هذا. وعبر في الكتاب بأسهل اللغة المليالية مع ذروة بلاغته ومتعته في اللغة نفسها.

لقد أدى هذا الكتاب دوراً بارزاً في تكوين الخبرة الجسيمة لأهل كير لا قبل خروجهم إلى هذه الأراضي المقدسة. ولو أنا قرأنا الصفحة الأولى لأخذ الكاتب بمجامع قلوبنا حتى الانتهاء. والأجدر بالذكر لا يزال أهل كير لا يشترطون هذا الكتاب قبل خروجهم إلى الحج والعمرة. لذلك يستحق هذا الكتاب الترجمة إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات العالمية لينال الأنام حلاوة هذا الكتاب ومتعة قراءته.

\* باحث في جامعة معدن الثقافة الإسلامية، الهند.



أحمد جدير \*

قد تلقى الكاتب العلم عن عدد من الشيوخ على مستوى العالم. أولاً قرأ على السيد إبراهيم الخليل البخاري، الذي طار صيته في أصقاع العالم، وهو مؤسس جامعة معدن الثقافة الإسلامية، ومشارك في المؤتمرات الدعوية والإسلامية في أقطار العالم جميعاً. ثم أخذ عن الشيخ أبي بكر أحمد، مفتي الديار الهندية. ثم رحل الكاتب من جديد إلى خارج الهند، وذاق حلاوة العلم من جامعة دار المصطفى بتريم.

ما الذي أعجبني في هذا الكتاب ودفعني إلى كتابة هذا المقال؟ إنه شكله الممتاز الذي اختاره الكاتب للتعبير عن تجاربه وخبراته





# تطريز

## Embroidery

راي برادبري Ray Bradbury



ترجمة/

د. أحمد محمد الجذع \*

- "أذهبي وقشريها إذا كان ذلك سيجعلك تشعرين بالرضا"،  
قالت المرأة الثانية.

- "لا، لن أفعل، ببساطة لن أفعل". قالت الأولى.

تنهدت المرأة الثالثة وهي تعمل على أرقى قطعة تطريز  
وأكثرها دقة على الإطلاق، إذ قامت بتطريز وردة، وورقة،  
وزهرة أقحوان على بساط أخضر. كانت إبرة التطريز تظهر  
وتختفي، بوخزات بارعة، حيث تدس الإبرة بسرعة وتعيدها في  
رحلات لا تحصى. كانت تلقي نظراتها السوداء السريعة على  
كل حركة، زهرة، رجل، طريق، شمس، منزل؛ كان المشهد  
ينمو تحت يدها، جمال مصغر ومثالي في كل تفاصيله الخيطية.

- "يبدو في أوقات كهذه أنك دائماً ما تلجئين إلى يديك"، قالت  
إحداهن. وأومات الأخريان برأسيهما بما يكفي لتحريك  
الكراسي الهزازة مرة أخرى.

- "أؤمن بأن أرواحنا تسكن في أيدينا؛ لأننا نفعل كل شيء  
للعالم بأيدينا. أحياناً، أعتقد أننا لا نستخدم أيدينا بما يكفي،  
ومن المؤكد أننا لا نستخدم عقولنا كما ينبغي". قالت السيدة  
الأولى. حدقن جميعاً باهتمام أكبر فيما تفعله أيديهن، وقالت  
السيدة الثالثة: "نعم، عندما تنظرين إلى عمرك كله، يبدو أنك  
لا تتذكرين الوجوه بقدر ما تتذكرين الأيدي وما صنعت".

ذهبن يستعدن ذكرياتهن عن الأغنية التي رفعنها، والأبواب  
التي فتحنها وأغلقتها، والزهور التي قطفنها، ووجبات العشاء  
التي أعددها، كل ذلك بأصابع بطيئة أو سريعة، حسب طبيعتهن  
أو عادتهن. عند تذكر الماضي، ترى مجموعة من الأيدي،  
كحلم ساحر، تفتح الأبواب على مصراعيها، وتدير الصنابير،

في ضياء العصر الخافت، كان هواء الرواق المظلم مكتظاً  
بوميض الإبر، كتتحرك الحشرات الفضية، المتجمهرة في الضوء.  
كانت أفواه النساء الثلاث ترتعش فوق عملهن. تحركت  
أجسادهن للوراء، ثم تميل للأمام بحركة غير محسوسة،  
بحيث تمايلت الكراسي الهزازة وهمهمت. نظرت كل امرأة  
إلى يديها، وكأنها وجدت قلبها يخفق هناك فجأة.

- "كم الساعة؟" سألت إحداهن.

- "الخامسة إلا عشر دقائق".

- "بعد برهة قصيرة، انهضي واشرعي في تقشير البازلاء  
تحضيراً للعشاء".

- "ولكن" قالت إحداهن.

"آه، نعم، يا لحماقتي" صمتت المرأة الأولى، ووضعت تطريزها  
وإبرتها، ونظرت من خلال باب الرواق المفتوح إلى داخل المنزل  
الهادئ والدافئ، وإلى المطبخ الصامت. وهناك على الطاولة،  
حيث بدا الأمر وكأنه يرمز إلى الحياة المنزلية أكثر من أي شيء  
رأته في حياتها، تكدست أكوام البازلاء المغسولة حديثاً  
في أعماقها البديعة والمرنة، تنتظر أصابعها لإخراجها إلى العالم.



وتستخدم المكانس، وتصفع الأطفال. كان رفرفة الأيدي القرنفلية هو الصوت الوحيد، أما الباقي فكان حلاًماً بلا أصوات.

- "لا عشاء لنعده الليلة، ولا لليلة الغد، ولا الليلة التي تليها".  
قالت السيدة الثالثة.

- "ولا نوافذ لنفتحها أو نغلقها".

- "ولا فحم لنحمله إلى فرن القبو في الشتاء المقبل".

- "ولا صحف لنقص منها وصفات الطبخ".

فجأة بكين، وتدحرجت الدموع بهدوء على وجوههن، وسقطت على القماش، الذي تتمايل فوقه أصابعهن.

وأخيراً قالت السيدة الأولى، وهي تضع ظهر إبهامها على كل جفن سفلي: "هذا لن يفيد بشيء"، ونظرت إلى إبهامها فوجدته مبتلاً.

صرخت السيدة الثانية بانفعال: "الآن انظرُن ماذا فعلتُ أنا!".  
وقفت الأخريان وألقيتا نظرة. رفعت السيدة الثانية تطريزها، لقد كان المشهد كاملاً، كانت الشمس الصفراء المطرزة تشرق على الحقل الأخضر المطرّز، والطريق البني المطرّز ينعطف باتجاه منزل مطرّز وردي اللون. باستثناء وجه الرجل الواقف على الطريق فقد كان مشوّهاً.

- "الآن سيتعين عليّ أن أنقض، عملياً، نقشة التطريز بأكملها؛ لإصلاحها بشكل صحيح". قالت السيدة الثانية.

- "يالللخلج"، قالتا وهما تحدّقان باهتمام في المشهد الذي به شائبة.  
شرعت السيدة الثانية في تنف الخيوط بمقصها الصغير البارع البراق. خرج النقش خيطاً خيطاً. سحبته وجذبت بعنف نوعاً ما، لقد اختفى وجه الرجل. وواصلت انتزاع الخيوط.

- "ماذا تفعلين؟" سألت المرأة الأخرى.

انحنتا ورأنا ما فعلته.

لقد اختفى الرجل من الطريق، لقد أزالته بالكامل.

لم يقلن شيئاً سوى أنهن عُدْنَ إلى مهامهن.

- "ما الوقت الآن؟" سألت إحداهن.

- "الساعة الخامسة إلا خمس دقائق".

- "هل من المفترض أن يحدث ذلك عند الساعة الخامسة؟"

- "نعم".

- "وهم غير متأكدين حقاً مما سيفعله بأي شيء، عندما يحدث ذلك".

- "لا، ليسوا متأكدين".

- "لماذا لم نوقفهم قبل أن يصل هذا الأمر إلى هذا الحد، وهذا الحجم".

- "لقد أصبح ضعف ما كان عليه من قبل، لا، بل عشرات المرات، وربما ألف مرة".

- "هذا ليس مثل الأول، أو العشرات التي تليه. هذا مختلف. لا أحد يعلم ما الذي يمكن أن يفعله عندما يأتي".

انتظرُن على الرواق في رائحة الورد والعشب المقصوص.

- "ما الوقت الآن؟"

- "الخامسة إلا دقيقة".

ومضت الإبر بنيران فضية، سبَحْنَ كسرب من الأسماك المعدنية في الهواء الصيفي المظلم.

بعيداً يُسمع صوت البعوض، ثم رجة تشبه قرع الطبول. حنت السيدات الثلاث رؤوسهن منصتات.

- "لن نسمع شيئاً، أليس كذلك؟"

"يقولون: لا".

- "ربما نكون مغفلات، لربما نستمر بعد الخامسة في تقشير البازلاء، وفتح الأبواب، وتحريك الحساء، وغسل الأطباق، وتحضير وجبات العشاء، وتقشير البرتقال".

- "أوه، كم سنضحك عندما نفكر أننا كنا خائفات من تجربة قديمة!" ابتسمن لحظة بعضهن لبعض.

- "إنها الخامسة الآن".

صمتنَ عند هذه الكلمات، انشغلنَ جميعاً. تحركت أصابعهن بسرعة. كانت وجوههن مُنكّسة على الحركات التي يقمن بها. كنّ يصنعنَ أنماطاً محمومة. صنعنَ أزهار اليلج، والعشب، والأشجار، والمنزل، والأنهار على القماش المطرّز. لم يقلنَ شيئاً، ولكن بإمكانك سماع أنفاسهن في الهواء الصامت للرواق.

مضت ثلاثون ثانية.

أخيراً تنهّدت المرأة الثانية، وبدأت تسترخي، وقالت: "أعتقد أنني سأقوم فقط بتقشير تلك البازلاء للعشاء، أنا".



## الخرجي هنا اختفى

(في رثاء الأخ الفقيه أكرم أحمد باشكيل)



حسين عبدالله  
بامطرف

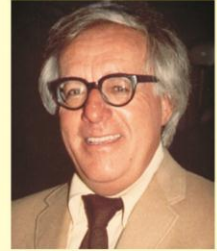
والدمع في العين انفجر  
صعقت من هول الخبر  
في لحظة قد غيرت  
نبضي يترجم موقفي  
من بردها توأحر  
الخرجي هنا اختفى  
وستار دنياه اندثر  
في لحظة والناس فرحى  
قد كان صاعقة لنا  
فجأة غاب القمر  
يا شعله منه أنارت  
لما تلقينا الخبر  
كل درب لم ينر  
أنت الذي سال الممداد  
له ونبع انفجر  
لما نقشت على الحجر  
قد كان حرفك شاهدا  
ك في عبابك قد مخر  
أنت الودود وسرود  
بسمات والوجه الأغر  
يا أكرم يا صاحب الـ  
زلات رحمن البشر  
يغشاك ربي غافرا

لم يكن لديها الوقت حتى لرفع رأسها. في مكان ما، على طرف رؤيتها، شاهدت العالم يتلأأ ويشتع بلهب. أرخت رأسها؛ لأنها كانت تعلم ما هو عليه. لم ترفع عينها، وكذلك الآخرين، وفي اللحظة الأخيرة كانت أصابعهن ترتجف؛ لم يلتفتن حولهن ليرين ما يحدث للبلد، أو المدينة، أو هذا المنزل، أو حتى هذا الرواق. كنّ يحدقن فقط في التصميم الذي بين أيديهن المرتعشة. راقبت المرأة الثانية زهرة مطرزة تختفي. حاولت أن تعيد تطريزها، لكنها اختفت، ثم اختفى الطريق، وأوراق العشب. لقد شاهدت حريقاً في حركة بطيئة، يلتهم المنزل المطرّز، ويزيل قرميده، وينزع كل ورقة مخيطة من الشجرة الخضراء الصغيرة في الإطار، ورأت الشمس نفسها تتفكك في التصميم. ثم اشتعلت النار في نقطة الإبرة المتحركة، في حين كانت لا تزال تومض؛ راقبت النار تأتي على أصابعها وذراعيها وجسدها، وتحل خيوط وجودها المتعبة بحرص بحيث كانت تستطيع رؤيتها بكل جمالها الشيطاني، وتنتزع النقش من القماش الذي في متناول يدها، ما كان يفعله بالمرأتين الأخريين أو الأثاث، أو شجرة الدردار في الفناء، لم تدربه أبداً؛ لأنه الآن، نعم الآن، بدأ ينتزع التطريز الأبيض من لحمها، والخيط الوردي خديها، وفي النهاية وجد قلبها، وردة حمراء لينة مطرزة، فأحرق أوراقها المطرزة الجديدة، واحدة تلو الأخرى.

\* أكاديمي ومترجم.

### نبذة تعريفية

#### عن كاتب قصة تطريز



رايموند دوغلاس برادبري  
المعروف بـ "راي برادبري"  
(22 أغسطس 1920م -

5 يونيو 2012م) أديب وكاتب سيناريو أمريكي. كتب في مجالات متنوعة من الأدب، مثل الفانتازيا والخيال العلمي والرعب والغموض. من أشهر أعماله الرواية الديستوبية فهرنهايت 451 في عام (1953م).

عند وفاته في عام 2012م، وصفته صحيفة نيويورك تايمز بـ «الكاتب الأكثر مسؤولية عن إدخال الخيال العلمي الحديث إلى التيار الأدبي».

# تجاعيد الزمن المنسي

د. سعيد العوادي



## القدس قدسي

يعقوب برك بلسد

القدسُ قدسي، والترابُ ترابي  
ماذا لكم في الأرض يا أغرابي؟!  
لن أنحني مهما تمادى ظلمكم  
الموتُ خبزي، والوفاءُ شرابي  
هذي صقور النصر تعزفُ لحناً  
وتهللتُ من فوقها، أسرابي  
يا غرَّ صبراً، يا تباشيرَ المنى  
أنتِ النقاء، وأنتِ جمعُ حسابي  
أنتِ الضميرُ الحيُّ في زمنِ الردى  
أنتِ السناء، وفي سماكِ سحابي  
وأضأتُ نوراً في دجاجير الجفا  
يا أحرفاً شعَّتْ ندىً بكتابي  
طوفي بطوفانِ الخلاص وأبشري  
يا قبلي الأولى ويا محرابي  
يا أهلَ (غزة) أنتموا عزَّ الوري  
والشرفُ المطبوعُ في الأنسابِ  
يامن أعادَ المجد، والمجدُ لنا  
من بايكم، شعَّ الضياءُ ببابي  
وثقتُ عهدي ما حييتُ بنهجكم  
ونسجتُ من أكفانكم جلبابي  
سيعودُ طيرك والحمامُ محملاً  
بالزهر والزيتون والعنابِ  
ويعودُ لحني باسمًا متهللاً  
ويبوحُ في أفراحكم (زريابي)



قال لي:

كان يَسْتَلُّ سَيْفًا  
إذا احمرَّ أنفُ المروعة،  
أو جاذبَ  
الكبرياءَ  
صَغَارَ

فما حاجةُ السيفِ

إن سَكَنَ الدُّلَّ

في نَصْلِهِ،

وغداً بهرجاً

يستطيبُ الحكاياتِ

عن جدِّه (ذي الفقار)،

وعن يدِ (عمرو) التي

بَطِشَتْ بِالْغُرَّةِ؛

لأن (لميسا) تجلَّتْ.

ولامستِ الأرضَ

أصداؤها

حين ولَّتْ.

قال لي:

كان جدي لأمي

يروِي لنا سيرةَ العشقِ حينَ

يُقبِلُهُ عنترةً.

والرماحُ العوالي

تنهلُ منه؛

لأنَّ خيالاً لعبلة..

قد طاف سِحْراً..

على شفرةِ الموتِ،

أتراها تغار من السيف..

أنْ داعبتهُ

الشفاهُ

الأثيرة؟!

فهقه في غمده المَخْمَلِي.

قال لي:

كان جدِّي ينفُرُ من غمده،

يستطيبُ الدماءَ،

يُعطرُ فوديه بالرهج..

المُسْتَثَار

ولا يستظلُّ بغيرِ القتامِ.

داعبَ النومَ جَفَنِيهِ

لكنه غالبُ النوم..

تمتَمَ لي:

ذاك

عِيشُ

بغِيضُ.

حياةُ

يُحبِّدُها

الأشقياء!



# إنها هي

شعر عمر محمد العمودي



لا أريد أن أتخيّل كيف سأكون لو لم أشبهها،  
لو لم ترسمني بأنفاسها، لوحة من بخار داكن..  
أنا الحيّ بها، إن متّ سيتذكّرني الجميع باسمها..  
غياب ظلّ الآخر فيّ، لمعان طيف أناي أمام الآخر  
وجودي كلّ فيّ، ووجودي كلّ في غيري  
هو تأثيرها عليّ.. هي هي..  
لا شيء ولا آخر غيرها  
الخافتة صوتاً، الصاخبة صدى  
لكم تساءلت كيف تشكّلت أنا؟  
كيف نمت ذاتي؟  
كيف وجدت طباعي فيّ..  
كيف تتكوّن الطباع، وكيف تتفق معها الملامح؟  
ولماذا ينقشهما الزمن معاً على الجبال والوجوه؟  
كانت الإجابات أمامي دوماً، كانت خلفي وفيّ وملء جهاتي..  
كانت هي، إجابة وحيدة وجدتها داخلي:  
لكم صيرّنتني وصقلّنتني وشكّلتني حضر موت

لا أنظر لها، أنا أنظرُ بها.. أتعاليّ بها، وأحتميّ من مزيج  
الآخرين بفردانيّتها  
لأنّ قلبيها المتنافر، لا صلة لي بوطن ولا مدينة ولا بيت  
ولا صلة لي بي، لا أستقرّ في جسدي  
إن انقطعت صلتي بها..  
كيف تلتصق الصفات وممّ تنشأ الصفة؟  
وأي صفة ستبقى لي إن لم تكن هي؟  
كيف لا أصمت حين تحتدم الأشياء وتتداعى؟  
كيف لا أخجل من محادثة نفسي عارياً؟  
كيف تصرّ حياتي أن تكون سمراء لا رمادية؟  
إنها هي، إنها هي  
سلطتها عليّ، وبعض تأثيرها على الإنسان فيّ  
لقد ملأّنتني، ولم أرد يوماً أن أتخفّف منها..  
لكنني لستُ هيّ، أنا لست مثلها  
لأنّني لستُ إلاّ بعض شيء من أشياءها  
أنا الهاديّ كالليل، المتفادي زحام الانتماءات والهويات  
المنشغل بي، الناحت إيّاي، والناقش خصوصيّتي على  
المكتظ والفارغ من الزمان والمكان.



# "لا تضرب في حديد بارد"



أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعفيدي

وهذه المقولة الحديدية نجدها بصيغة مباشرة وواضحة عند أهل الشام بقولهم: "دق الحديد وهو حامي"، وهي مطابقة من حيث المعنى لما هو شائع: "اضرب على الحديد وهو سخن"، اختلفت الكلمات والحكمة واحدة، أما الصيغة الحضرمية للمقولة "لا تضرب في حديد بارد"، فهي تشترك مع الصيغ السابقة في أنها ابنة أصيلة لورش الحدادة التقليدية، لكنّها تختلف في الفعل، الذي يسبقه لا الناهية أو (الغاضبة)، كما تحلّ عندهم لفظة البرودة محلّ السخونة، وهذا التحوير الحضرمي للبرودة الظاهرة في المقولة أضفى عليها دلالات عميقة في السخونة، ولادعة في النصيحة.

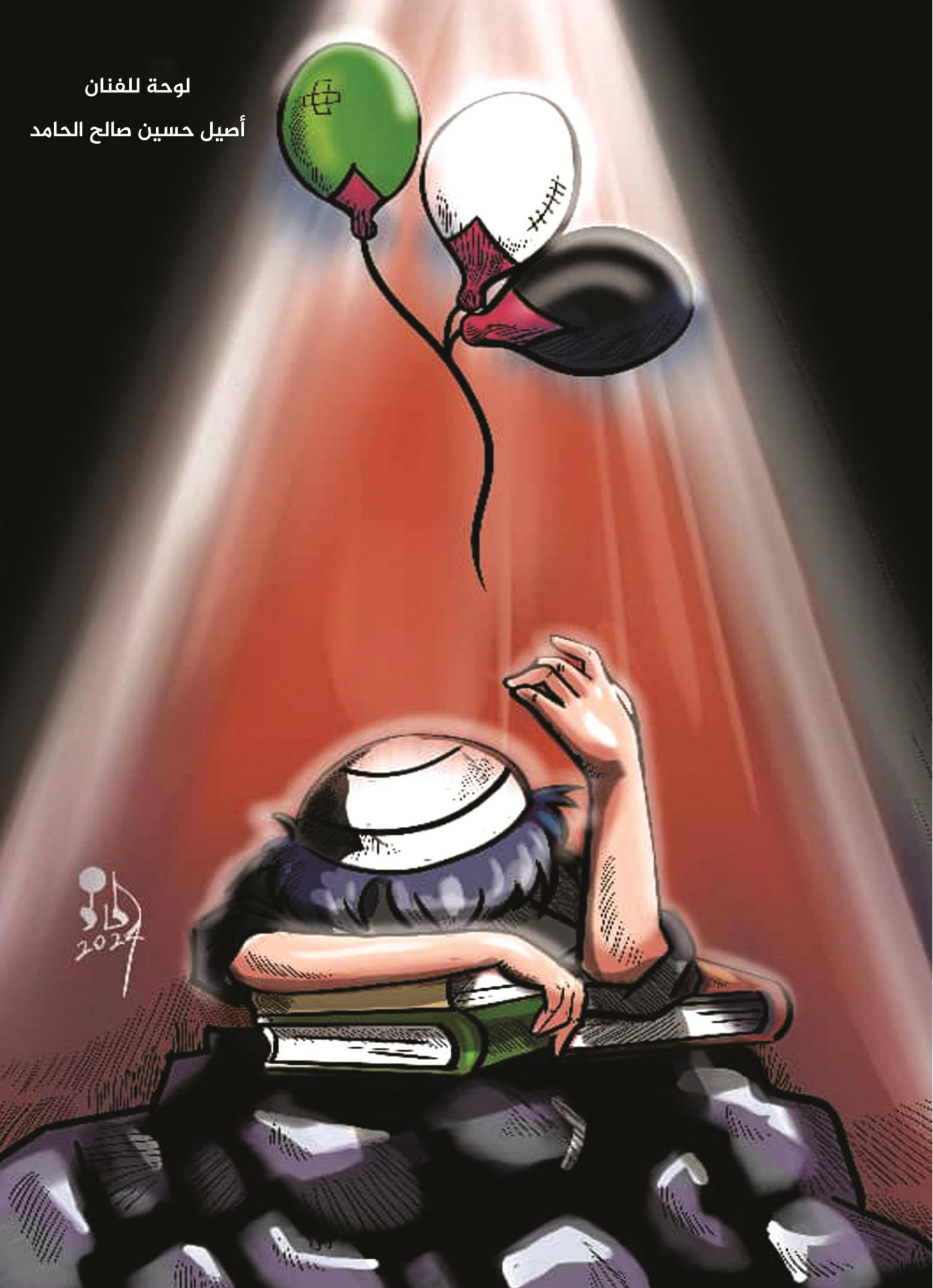
ولمعرفة تطبيقات أوجه الشبه والاختلاف في حكمة الحديد الواحدة سنجد مقولة (السخونة) تشغل على معنى واحد، يستوعب الكثير من المناسبات والمواقف لتأكيد تزامن القرارات مع الظروف المواتية، في حين أنّ مقولة (البرودة) تشغل على ثنائية السخونة والبرودة حسب مقام الاستخدام، وبهذا فإن (السخونة) حسب الصيغة الحضرمية عكسية أو ضمنية، في حين أنّ (البرودة) تقع في أصل مفردات المقولة، واستحسنها الثقافة الشعبية لتوصيل رسالة صارمة، فيها من السخرية كما فيها من الغضب. ولتقريب الدلالات فإن هذه الصيغة تحضر - على سبيل المثال - عند مخاطبة طرف أوّل بالحاح طرفاً آخر ليأتي بكلمة قاطعة أو يحدد موقفاً واضحاً أو يتخذ قراراً حاسماً في أمور لا تحتمل التأخير أو التسويف أو المماطلة، ومقابل ذلك تجد هذا (الكائن) في وضع الجامد أو الخامل الذي لا تهزه الأخطار المحدقة، ولا يستوعب فظاعة المآلات كما يراها الطرف الأول، ومن دراماتيكية سخونة الطرح وبرودة الاستجابة تشرّب مقولة الحديد (الحضرمية) طازجة من قائلها للحاضرين؛ بوصفها مشهد النهاية، الذي كما أنّ فيه الكثير من اليأس الصريح فيه قليل من الأمل الدفين، وبعد أن يؤلّي الناس الدبر ترتفع حكمة الحديد إلى أن ينادي منادياً، فتتنزل على من يستحق وهجها، ويستلهم معانيها النافعة.

يلاحظ الناس مشهد تشكّل هذه المقولة عند وقوفهم على مسرح بقايا ورش الحدادة التقليدية، التي ما تزال تقاوم للبقاء؛ بوصفها مصدراً للرزق عند أصحابها الذين يردّون في أثناء انهماكهم بالضرب على كتلة الحديد الساخنة، الموضوع فوق السندان أصواتاً موزونة سريعة، تتناسب مع ضرباتهم التي تسابق الزمان لتشكيل منتجاتهم من المشغولات المنزلية، وأدوات الصيادين والنجارين وغيرها، هذا التناغم بين الضربات والأصوات غالباً ما يتكون من جملة واحدة بكلمتين - بدع وجواب - أو أربع كلمات بحسب متطلبات وتيرة الضرب، هذه الأراجيز بقدر ما تساعد على قوة التحمل والاندماج في العمل؛ فإنّها تحدّ من احتمالية التشابك بين المطارق، وتيسر تناوب الضربات بانتظام لتحقيق الفعالية المطلوبة.

إنّ هذه الحرفة تُعطي دروساً حيّة أو مباشرة لاحترام العمل؛ بوصفه من القيم المثلى، التي تحترمها المجتمعات الحيّة، وتقدّر فيها السواعد التي تكافح تحت النار لاكتساب لقمة العيش الكريمة، ورغم الضجيج في ورش الحدادة و"حدّاد ما يسمع حدّاد" كما يقال لكن هذه المهنة صنعت ما يمكن وصفه بحكمة الحديد الصامته التي من تجلياتها الحضر - والحديد سخن - على استغلال الفرص، واختيار الزمان والمكان المناسبين للحركة، وعند اتخاذ القرارات الحاسمة.



لوحة للفنان  
أصيل حسين صالح الحامد







# مُنْتَدَى عَمِيدِ الْوَفَاءِ الثَّقَافِيِّ

Ameed Alwaffa Cultural Forum

